العدد ٣ أغسطس ٢٠٢٢ محرم ١٤٤٤

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

أنصار النبي

تصدر عن
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الهجرة.. المعاني المتجددة

الافتتاحية: بين الهجرة والنصرة
محمد الصغير

ثلاث وقفات كبرى في ذكرى الهجرة
محمد إلهامي

معوقات الهجرة
سامي الساعدي

الهجرة والفريضة المحكمة
حازم صلاح أبو إسماعيل

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطَّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

محتويات العدد

AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

علماء الهيئة

الافتتاحية: بين الهجرة والنصرة ٤
د. محمد الصغير

الإسلام الذي لا تطيقه الجاهلية! ثلاث وقفات كبرى في ذكرى الهجرة ٧
محمد إلهامي

معوقات الهجرة ١٤
الشيخ سامي الساعدي

الهجرة مقدمة بناء الأمم ٢٣
د. أحمد موفق زيدان

الهجرة النبوية رؤية مختلفة (١) الهجرة سُنة نبوية وكونية ٢٨
د. عبد السلام البسيوني

بناء الدولة وإحياء الإنسان (وقفات مع أحداث الهجرة) ٣٨
الشيخ مختار بن العربي مؤمن

نحو انطلاقة جديدة لأمتنا ٤٥
الشيخ حسن قاطرجي

الهجرة النبوية .. المعنى والمغزى ٥٠
د. عطية عدلان

دور المرأة في الهجرة النبوية ٥٤
د. رغد محمد ديب الحاجي

تواضع العظماء «بل عبدًا رسولاً» ٥٨
د. بسام محمد صهيوني

التخصص بنصرة النبي ﷺ ٦٣
عبد الله الطبلوهي

أئمة الهدى

طلائع الهجرة — الشيخ محمد الغزالي — ٦٩

من دروس الهجرة — الشيخ عبد الحميد كشك — ٧٦

الهجرة من أجل لا إله إلا الله — الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز — ٨٤

هجرة النبوّة من مكة إلى يثرب — الشيخ محمد البشير الإبراهيمي — ٨٨

المقصد العظيم من الهجرة النبويّة — الشيخ محمد الطاهر بن عاشور — ٩٢

التهيئة لمباحثات قيام الدولة — الأستاذ منير الغضبان — ١٠٠

تأملات في الهجرة — الرئيس علي عزت بيجوفيتش — ١٠٨

ثلاث عشرة سنة للنبوة في مكة — الشيخ محمد سليمان سلمان المنصورفوري — ١١٤

الصادعون بالحق

الهجرة والفريضة المحكمة — الأستاذ حازم صلاح أبو إسماعيل — ١٢٣

درس في الوطنية — الشيخ ناصر العمر — ١٣٠

النقلة البعيدة — د. سلمان العودة — ١٣٤

لا هجرة بغير تضحية — د. خالد أبو شادي — ١٤٣

من القيد إلى الحرية .. كيف كانت الهجرة تحريراً للإنسان — الشيخ أحمد التلفيتي — ١٥٢

الوعد والأجل .. لماذا يتأخر تحقق الوعد الرباني؟ — أشرف عبد المنعم — ١٥٦

كيف انتقم الله ممن سب الرسول عبر التاريخ؟ — د. عادل باناعمة — ١٦١

إلّا تَنصروه فقد نصرَه الله — د. عبدالمحسن الأحمد — ١٦٩

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

٣ تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

•• ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

•• ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : admin@ansarmag.com

الافتتاحية

بين الهجرة والنصرة

د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة التي نورت برسول الله ﷺ، كانت علامة فارقة بين مرحلة الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية، حيث كان النبي عليه الصلاة والسلام في مكة داعية إلى دين جديد، وأتباعه قلة يلاقون صنوف التنكيل والتعذيب، ومع استقراره في يثرب تغيرت الصورة تماما، حيث أصبح حاكماً على المدينة بكل من فيها، وطال التغيير ملامحها ومناحيها، فتغير اسمها من يثرب إلى المدينة، وتغير مناخها من بلدة توطنت فيها الحمّى ونسبت إليها «حمى يثرب» إلى طيبة الطيبة التي طابت من الشرك والمرض، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول للمريض : بسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا». متفق عليه.

وتعد الهجرة أبرز معالم النصرة: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

ومن بعد الهجرة توالت انتصارات الإسلام، وظهرت معالم دولته، وبدأت دولة الشرك في الأفول، وحدث أول انتصار لجيش المؤمنين على عساكر الكافرين، في العام الثاني من الهجرة، في غزوة بدر التي أسماها القرآن الكريم يوم الفرقان:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:٤١].

ومع كون محبة الأوطان من الفطرة، إلا أن الهجرة من السنن الكونية في الدعوات الربانية، وهذا تحديداً أول تعليق سمعه رسول الله ﷺ على رسالته، عندما قال له ورقة بن نوفل: ليتني أكون فيها جزعاً إذ يخرجك قومك، فقال عليه الصلاة والسلام: أَوَ مُخرجيَّ هم؟ فرد ورقة: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي!

ولم تكن مفارقة مكة والتحول عنها إلى غيرها بالأمر السهل أو اليسير، على نفس النبي ﷺ وأصحابه، حيث روى عبدالله بن عدي قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ واقفًا على الحزورةِ فقالَ: «واللهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللهِ، وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ ما خرجتُ».

سنن الترمذي.

وتروي أم المؤمنين عائشة حال الصحابة بعد الهجرة فتقول: لَمَّا قدِم رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ اشتكى واشتكى أصحابُه، واشتكى أبو بكرٍ وعامرُ بنُ فُهَيرةَ مولى أبي بكرٍ وبلالٌ، فاستأذَنتْ رسولَ اللهِ ﷺ في عيادتِهم فأذِن لها، فقالت لأبي بكرٍ: كيف تجِدُكَ؟ فقال:

«كلُّ امرئٍ مُصبَّحٌ في أهلِه .. والموتُ أدنى مِن شِراكِ نَعلِه»

وسألَتْ عامرَ بنَ فُهيرةَ فقال:

«إنِّي وجَدْتُ الموتَ قبْلَ ذَوْقِه .. إنَّ الجبانَ حتفُه مِن فوقِه»

وسألَتْ بلالًا فقال:

«ألا لَيْتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً .. بفَجٍّ وحولي إذخِرٌ وجليلُ»

فأتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فأخبَرتْه بقولِهم، فنظَر إلى السَّماءِ فقال: «اللَّهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ، كما حبَّبْتَ إلينا مكَّةَ وأشَدَّ، اللَّهمَّ بارِكْ لنا في صاعِها ومُدِّها، وانقُلْ وباءَها إلى مَهْيَعَةَ» وهي الجُحفةُ. صحيح ابن حبان.

ومع مرارة الاغتراب، ولوعة مفارقة الأوطان، إلا أنها بداية النصر، وأولى مراحل التمكين: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠].

وأول علامات النصر، مراغمة أعداء الله بنجاة المؤمنين من بين أيديهم، ثم السعة في أرض الله الواسعة، لذا على أتباع الأنبياء وأصحاب الرسالات، أن ينتبهوا إلى مرحلة الهجرة، ويجددوا النية لله، ويعقدوا العزم على اتخاذها مرحلة إعداد ليوم الفتح الموعود، ويوم النصر المنشود، فإن كانت الهجرة فيها صورة انتفاش الباطل وزهوه بنفي أهل الحق، وحرمانهم من أوطانهم وملاعب صباهم، فإنها أول درجات النصر، وبها يؤرخ ليوم الفتح وعودة المهاجرين، وأيام السيرة وصفحات التاريخ خير دليل.

الإسلام الذي لا تطيقه الجاهلية!

ثلاث وقفات كبرى في ذكرى الهجرة

محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

رغم شدة تعلق المسلمين بنبيهم ﷺ وحرصهم الشديد على تتبع سائر أموره، إلا أنهم حين اختاروا التأريخ لأنفسهم لم يختاروا تاريخ مولده ولا بعثته ولا وفاته، بل اختاروا تاريخ هجرته، ذلك أن الهجرة هي مولد الأمة، وهي انبعاث الأمة، وهذا هو التحقق العملي لرسالة نبينا ﷺ، فإنما وُلِد النبي وبُعث ليقيم الإسلام، ويُخرج أمةً ويؤسس دولة!

فالهجرة هي اللحظة العظمى في تاريخ الإسلام، فما قبلها هو خلاف ما بعدها، إنها لحظة الانتقال الكبير من الدعوة إلى الدولة، من الضعف إلى القوة، من الاضطهاد إلى التمكين.. ولولا الهجرة لما قامت دولة الإسلام، ولا نهضت حضارته، ولا أشرقت شمسه على العالمين!

الهجرة هي اللحظة التي تقف في حلوق العلمانيين، لأنها تثبت أن الإسلام ليس مجرد دعوة، وأن النبي ﷺ ليس مجرد داعية، بل الإسلام دولة، والنبي زعيمها وقاضيها ومفتيها..

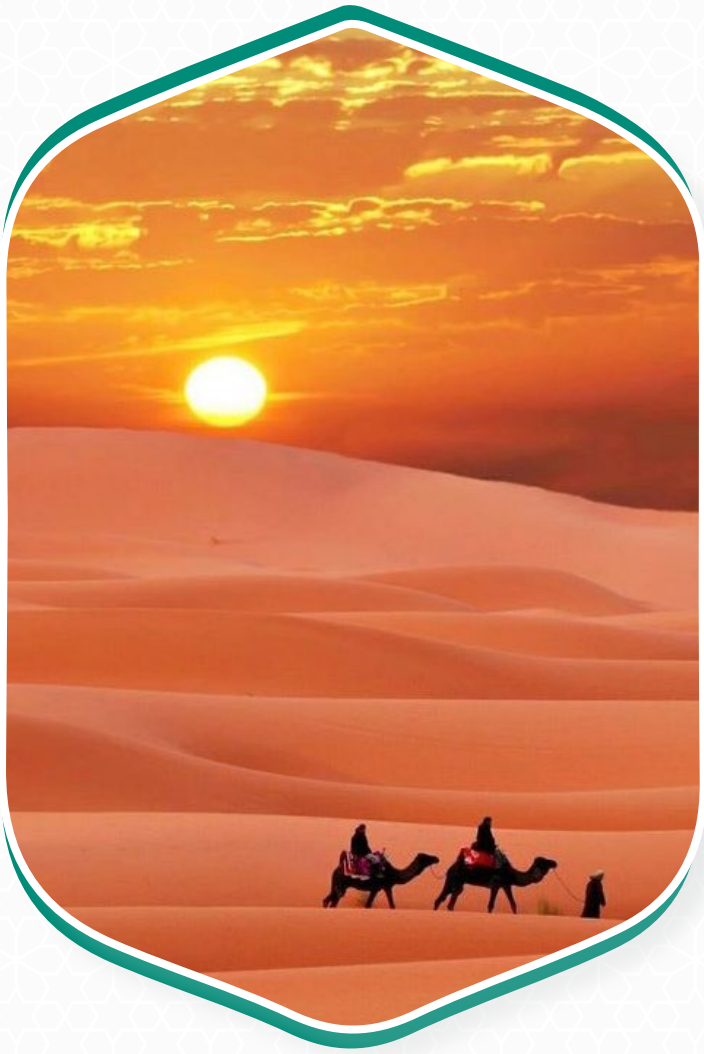

وبالهجرة يظهر أن النبي ﷺ ليس مجرد خطيب، وإنما هو مقاتل ومُنفِّذٌ للشريعة، فهو يقيم الحدود، ويطبق العقوبات، ويفصل في المنازعات..

وبالهجرة يتجلى أن النبي ﷺ ليس مجرد صالح بل هو مصلح! وليس مجرد مصلح بالبيان والكتابة والفصاحة والنداء، بل هو مصلح بالعمل والتأسيس وإقامة السياسة والأمن والحرب والاقتصاد وسائر وجوه الحياة..

أليس مثيراً للتفكير وباعثاً على التأمل أن أتباع النبي ﷺ انقسموا على ميزان الهجرة، فهؤلاء مهاجرون، وهؤلاء أنصار! فالذين اتبعوه قبل الهجرة هم المهاجرون، والذين اتبعوه بعد الهجرة هم الأنصار! ولما تنافس الصحابة على سلمان الفارسي، وهو حالة ملتبسة من الهجرة والنصرة، قال المهاجرون: سلمان منا معشر المهاجرين. وقال الأنصار: سلمان منا معشر الأنصار. فإذا بالنبي يرفع سلمان فيقول: سلمان منا آل البيت! وتأمل في قوله ﷺ: «لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلكت شِعْبَ الأنصار»!

فتأمل كيف كانت الهجرة أمراً فاصلاً تمايز به المسلمون في مقامات نصرة النبي ﷺ واتباعه!

الهجرة هي اللحظة التي إذا توقف أمامها المسلمون اليوم، وتأملوا في دروسها ومعانيها لظهر لهم أن كثيراً مما يفعلونه من سياساتهم في الدعوة والحركة إنما تحتاج إلى مراجعة!

وهذه ثلاثة حروف في دروس الهجرة، كلٌ منها يحتاج وقفةً طويلة وتأملاً كبيراً:

١

لا يقوم الإسلام بغير دولة وحُكْمٍ وسُلْطان، ولو كان الإسلام يقوم بغير هذا لما تكلف النبي أن يهاجر من بلده التي هي أحب بلاد الله إلى الله وإليه، ولا تَكلّف أن ينزع قوماً من ديارهم وأهاليهم وعصبتهم، في ذلك الزمن الذي كانت عصبة المرء وقبيلته هي هويته وبلده وانتماؤه وحصنه ونصيره! فهجرة العربي في ذلك الزمن هي بمثابة تخلي المرء عن جنسيته وهويته، وسائر ما يترتب على هذا التخلي، فيتحول إلى مطارَد منبوذ ومطلوب!

كان لا بد للإسلام من دولة يتحقق فيها واقعاً على الأرض، ولولا هذه الدولة لكان الإسلام مجرد فلسفة ونظرية كالتي أخرجتها عقول الفلاسفة والمفكرين، ترقد على المكتبات ويلوكها الباحثون، ثم ينصرف كل واحدٍ منهم ليتعامل مع الواقع المفروض عليه.. ما كان الإسلام هكذا، بالهجرة قامت دولة الإسلام التي جعلته حقيقة في التاريخ، وقوة في الواقع، وصفحة لا يمكن إزالتها من سجلات البشرية!

وفي المدينة، أي في دولة الإسلام، نزلت التشريعات والأحكام، ورأينا سيرة النبي ﷺ في السياسة والاجتماع والاقتصاد والعمران والأمن والحرب، والتعامل مع الأقليات ومع مشكلات الفقر والجهل واللجوء، والانقسامات الاجتماعية وقرب العهد بالجاهلية.. بغير الهجرة وإقامة الدولة ما كان كل هذا ليكون ولا ليُعرف، وإذا حذفنا هذا كله من الإسلام فلم يعد هو الإسلام الذي نزل من عند الله!

وأولى الناس بفهم ضرورة الدولة للدعوة هم المسلمون اليوم، أولئك الذين تحولوا بالفعل إلى أيتام على موائد الدول والقوى العظمى، منذ أن ضعفت خلافتهم ثم سقطت، فما من زمن هم أشد ضعفاً وتفرقاً فيه من هذا الزمن الذي هم فيه بلا دولة ولا خلافة.

" إن الدولة أهم وسائل الإصلاح، وهي أيضاً أهم وسائل الإفساد، وما من أصحاب دعوة ورسالة كانوا صادقين مع أنفسهم إلا وسعوا من فورهم إلى الحصول على الدولة والحكم والسلطان، فالناس على دين ملوكهم، وإذا فَهِم المسلمون هذا كانوا أشد بذلاً واستعداداً وتضحيةً في سبيل استعادة الحكم والدولة والسلطان، فما من مفسدة في عالمنا اليوم إلا وللسلطة فيها النصيب الأكبر! ويكاد المسلمون إذا لم ينتبهوا لهذا أن يدخل عليهم الإلحاد والشذوذ في بيوتهم! "

وأدلُّ دليلٍ على أهمية إقامة الدولة الإسلامية، انتفاضةُ أعداء الإسلام ليحولوا دون قيامها، ومؤامرتهم المستمرة ألا يكون أبناء الإسلام في موقع الحكم والسلطة، إنها مسيرة ليس أولها مؤامرة القرشيين لقتل النبي، ومطاردة المهاجرين ليحولوا دون هجرتهم، وليس آخرها صناعة المؤامرات وتدبير الانقلابات العسكرية ودعم المستبدين، بل النزول بالجيوش -إن اقتضى الأمر- لمنع سقوط الأنظمة التي صنعوها على أعينهم!

٢

هاجر المسلمون هجرتين: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، فهجرة الحبشة هي فرارهم بالدين، وهجرة المدينة هي لإقامة الدين..

وهذا أعظم ما يشرح لنا معنى «الوطنية»، ومعنى الارتباط بالوطن، وهو يحدد لنا العلاقة بين الدين والوطن، وماذا لو تناقضا! ففي كلا الهجرتين كان الدين فوق الوطن!

في الهجرة إلى الحبشة كان المسلمون يفرُّون من وطنٍ لا يطيق دينهم، فيختارون أن يهجروا وطنهم وأهلهم إلى بلد غريب، يستطيعون فيه أن يحافظوا على دينهم، وفي الهجرة إلى المدينة كان المسلمون يفرون من وطن لم يعد صالحاً لأن يكون أرضاً لدينهم فخرجوا إلى بلدٍ اختار أهله أن يكون عاصمة الإسلام.

وبعد استتباب الأمور في المدينة، قدم إليها المهاجرون إلى الحبشة، وقد قدموا إليها كأنهم يرجعون إلى بلدهم لا كأنهم يهاجرون مرتين!

وفي الحديث العظيم الذي يرويه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري عن عودة مهاجرة الحبشة إلى المدينة، يظهر بقوة علوّ الدين وتفوقه على معنى الوطن! ففيه يقول عمر بن الخطاب لأسماء بنت عميس -وكانت من مهاجرة الحبشة-: «سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم».

وتأمَّل هنا في استشعار عمر لشرف الهجرة، وشرف السبق إليها، فأجابته أسماء بنت عميس: «كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ.. ونحن كُنّا نُؤذَى ونُخاف».

فتأمل هنا في أنها وصفت أرض الحبشة بدار البعداء البغضاء مع أنها كانت آمنة فيها، وذلك أنهم كانوا يدينون بغير الإسلام، ومع أنهم كانوا في حماية ملكها إلا أن الأمر لا يخلو من بعض الأذى، ومن الخوف والقلق أن يتغير عليهم الملك والناس! وهذا شعور يعرفه المهاجر جيداً في عصرنا هذا.

وحتى لما فُتِحت مكة ودخلها الإسلام، بقي النبي ﷺ وصحابته في المدينة، لقد صار وطن الإسلام هو وطنهم، وانبتّ ما كان بينهم وبين وطنهم الأول!

إدراك هذا الفارق بين الدين والوطن مهم غاية الأهمية، لأنه يرتب أولويات المسلم، وبه يفهم المسلم طبيعة انتمائه وولائه، وهو أشد أهمية في عصرنا هذا الذي يُراد فيه أن تكون «الوطنية» وثناً جديداً يُعبد من دون الله، ويعلو حتى على رابطة الدين. نحن الآن في عصر تُسبغ فيه معاني الفخامة والتقديس والتعظيم، على الوطن والدستور والقانون، والحدود والأمن القومي، والمصلحة العليا للبلاد... إلى آخر هذه الطنطنات التي تحمل في طياتها أن الوطن أهم من الدين وفوق الدين! حتى إن البعض ليتخذ هذا الكلام مدخلاً نحو التطبيع مع الصهاينة، وتبريراً لحصار وتجويع المسلمين، واعتذاراً عن إهمال المسلمين وقضاياهم والوقوف إلى جانب أعدائهم وقاتليهم!

٣

تثبت لنا الهجرة أيضاً أن الإسلام دينٌ لا تطيق الجاهلية التعايش معه، مثلما لا يطيق هو التعايش مع الجاهلية أيضاً، فأما أن الجاهلية لا تطيق التعايش مع الإسلام فهذا شأن المرحلة المكية كلها، وهو الذي انتهى إلى التدبير لقتل النبي ﷺ بعد سلسلة من محاولات التضييق والتعذيب والمساومات. وأما أن الإسلام لا يطيق التعايش مع الجاهلية فهذا شأن المرحلة المدنية، فمنذ اللحظة الأولى أسس النبي النظامَ الإسلامي في المدينة!

ها هنا وقفة مهمة، ومعنى من أخطر وأعظم المعاني التي يجب أن يستحضرها المسلم والعامل للإسلام..

لقد كان مجتمع المدينة ممزقاً، فإن نظرت إليه من جانب الدين رأيت فيه مشركين ويهوداً ومسلمين، وإن نظرت من جانب القبيلة، رأيت فيه الأوس والخزرج وقبائل اليهود، وأشتاتاً جاءت مسلمة من سائر القبائل. وكان يعاني مشكلات اقتصادية مزمنة، فهو تحت السيطرة اليهودية الربوية وهم أهل السوق، وقد تدفقت عليه أعداد من المسلمين (اللاجئين) الذين يجب البحث لهم عن المأوى وسبل العيش. وكان يعاني من أزمة سياسية، فأهل المدينة بعد حرب بعاث الكبيرة اصطلحوا على تولية عبدالله بن أبيّ بن سلول زعيماً عليهم، وكانوا يرتبون إجراءات التنصيب، ثم إن المدينة منذ الهجرة انفتحت عليها أزمة سياسية مع محيطها، بل مع عاصمة الجزيرة العربية وأهم مدنها: مكة والطائف!

ورغم كل هذه المشكلات الخطيرة والكبيرة، لم يقبل النبي أن ينزل المدينة داعية يطلب الحماية وحرية الدعوة، في ظل الرئيس التوافقي عبدالله بن أبي بن سلول، بل أسس النبي دولة الإسلام، وكان هو رئيس الدولة وزعيمها ومرجعيتها التشريعية، وسلطتها التنفيذية والقضائية، كما قرّر ذلك في صحيفة المدينة. لم تحمله ﷺ هذه المشكلات على أن يفكر في تأجيل إقامة الدولة أو الاكتفاء بمجرد الدور الدعوي، فما لهذا كانت الهجرة إلى المدينة.. لقد كانت هجرة تأسيس الدولة ولم تكن هجرة فرارٍ من الاضطهاد والأذى!

إن هذا المعنى إذا فقهه المسلمون اليوم، عرفوا أنهم يخطئون خطأ فادحاً حين يزهدون في تأسيس الدولة، أو يبحثون عن رئيس توافقي، أو عن إجماع وطني، أو عن إرضاء لنفوذ إقليمي أو دولي. إن لحظة تأسيس الدولة هي لحظة يجب ألا تفلت أبداً، ومهما كان حجم التحديات والعوائق يجب ألا يُنظر إليها بوصفها معيقاً عن اقتناص هذه اللحظة. ونحن في زماننا هذا، وفي تجاربنا القريبة المعاصرة، نرى إلى أين أوصلنا تقديم غير أبناء الإسلام بحثاً عن توافق وطني، أو إرضاء لرغبة أجنبية، أو تجنباً لضرب التجربة! فما هي إلا أن ضُربت وعدنا كما بدأنا!

إن في الإسلام قوة عظيمة لحل المشكلات، ولا يزال المسلمون بحاجة إلى دراسة الإجراءات الأولى التي اتخذها النبي عقيب دخوله المدينة، والتأمل فيها وكيف استطاعت حل هذه المشكلات، فالمسجد الذي يلتقي المسلمون فيه خمس مرات في اليوم الواحد هو أسرع السبل لتحقيق التماسك الاجتماعي بين أبناء القبائل المختلفة، والإخاء الذي ابتدعه النبي كان أفضل وسيلة عبر التاريخ لحل مشكلات اللاجئين، وهي المشكلات التي تعجز أمامها اليوم الدول الكبرى ذات الإمكانات الضخمة، وكتابة الصحيفة كانت خير طريقة لتحديد الحقوق والواجبات، وتوزيع المهمات والمسؤوليات، وإنشاء السوق كان هو الإجراء الاقتصادي الذي حرر اقتصاد المدينة من سيطرة اليهود، وأوجد فرص عمل للمهاجرين، وخفف الضغط عن موارد الأنصار! والمقام لا يتسع للتفصيل، وفي هذا الشأن كلام طويل طويل.

والخلاصة أن لحظة الهجرة هي لحظة حافلة بالدروس والعبر التي نحتاجها في حياتنا المعاصرة، وقد اخترنا في هذا العدد أن نطوف حول الهجرة في ذكرى بداية العام الهجري الجديد، وسيرى القارئ كيف أن معايشة السيرة تنير أمام الأمة طريقها، بشرط أن تكون المعايشة حقيقية، وأن يكون التعامل مع السيرة تعامل التلاميذ مع أستاذهم، والأتباع مع قائدهم، لا أن تكون مجرد حكاية في مجلس يُتلى كأنه حديث الذكريات!

السيرة ليست مجرد ذكريات.. السيرة هنا، السيرة الآن!

معوقات الهجرة

الشيخ سامي الساعدي

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

نصب الله سبحانه وتعالى شمائل وصفات جعلها درجات ومعايير، تكون للمؤمن مقياسًا يعرف بها نفسه ومن حوله. والهجرة أحد هذه المنازل، إذ لا يمكن أن تخطئ عين القارئ احتفاء آي القرآن الكريم بالمهاجرين في مواطن كثيرة.

إليك مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤]

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ⋆ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢] وغيرها من الآيات.

ولا يغفلنّ القارئ المتدبر في كثير من هذه الآيات عن ورود خصلة الهجرة فيها متوسطةً بين الإيمان والجهاد، وقد يكون من الوضوح بمكانٍ أن يتقدم الإيمان على الهجرة والجهاد، إذ لا يُقبل جهاد ولا هجرة ولا غيرهما من أعمال البر إلا إذا كان العامل مؤمناً، ولكن لماذا تقدمت الهجرة على الجهاد؟

والجواب: أن الهجرة قرينة الجهاد، وقد قال النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» [رواه النسائي وغيره].

فليست الهجرة فِراراً سلبياً محضاً، بل هي من جنس انحياز المجاهد في الغزو حيث يباح له ذلك، ولهذا عدّ أهل العلم الهجرة مقدمةً من مقدمات الجهاد، وقد ذكر ابن قدامة في المغني صنفاً من الناس تُستحب لهم الهجرة ولا تجب عليهم، وذكر الحكم الكامنة في ذلك الاستحباب وأن منها: تقوية المسلمين المهاجرين والتقوي بهم فقال:

«والثالث: مَن تستحب له ولا تجب عليه. وهو من يقدر عليها، لكنه يتمكن من إظهار دينه، وإقامته في دار الكفر، فتستحب له، ليتمكن من جهادهم، وتكثير المسلمين، ومعونتهم، ويتخلص من تكثير الكفار، ومخالطتهم، ورؤية المنكر بينهم».

والهجرة في أصل معناها: «الاسم من الهجر، ضد الوصل... ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض وتَرْكِ الأولى للثانية، يقال منه: هاجر مهاجرةً». [النهاية في غريب الحديث والأثر]

وهَجَرَهُ يهجُره هَجراً وهجراناً: صرَمَه، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم: الهجرة، وفي الحديث: (لا هجرةَ بعد ثلاث) يريد به الهجر ضد الوصل». «ومنه حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: (ولا يسمعون القرآن إلا هجراً). يريد الترك له والإعراض عنه. والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض، والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبي مشتق منه، وأصل المهاجرة عند العرب: خروج البدوي من باديته إلى المدن... وكذلك كل مخلٍ بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه فقد هاجر قومه. وسُمّي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر، فهو مهاجر». [لسان العرب]

إن استدعاء المعنى اللغوي هنا يُبقي في نفس المؤمن معنى شعورياً فياضاً، يزيده بغضًا للأرض التي تركها لله، ولو كانت مزدانة بألوان النعيم، ما دام الظلم فيها فاشيا والفساد فيها رائجا، ليعيش في بقعة نظيفة من أوضار الجاهلية، يعبد فيها ربه بحرية، ويؤازر المؤمنين ويتقوى بهم على لأواء الطريق وعقباتها.

فالمعنى اللغوي يحمل النفس على استحضار معاني النفور والكره والبعد عن البقعة المهاجَر منه، فيكون ذلك معيناً له على إغراءات البقاء، ومعوقات الهجرة.

فالنفس تحن إلى مراتع الصبا ومنازل الشباب، كما قال ابن الرومي:

وحَبّبَ أوطـانَ الرجال إليهـمُ .. مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكروا عهدَ الصَّبا ذكّرَتْهُمُ .. عهودَ الصبا فيها فحنُّوا لذلكا

وقوله أيضًا:

بلدٌ صحبتُ به الشبيبةَ والصِّبا .. ولبستُ ثوبَ العيش وهْو جديدُ

فإذا تمثل في الضمير رأيته .. وعليه أغصان الشباب تَميدُ

رسولنا وقدوتُنا سيد الخلق ﷺ - والذي آنسه ربه بتقريبه واصطفاه بمناجاته - لم يُخْفِ لوعتَه، ولم يحبس عَبرته وهو يودع مكة وقد أُخرج منها كرهاً، فالتفت إليها وقال: «والله إنك لأَحَبُّ البلاد إلى الله، وأَحَبُّ البلاد إليّ، ولولا أن قومَك أخرَجوني منكِ ما خرجتُ». [رواه الترمذي وابن ماجه]

ومن أجل هذه المشاق الحسية والمعنوية، كانت للمهاجرين هذه الرتبة التي تشرئب لها الأعناق. وكان هذا الاحتفاء بهم. فإلى جانب آيات القرآن، وردت جملة من الأحاديث تنوه بفضلهم؛ فمن ذلك ما رواه مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:

«... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدي. قال: «ما لك يا عمرو؟» قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»؟

ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤم القومَ أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سناً».

وكما تقرر في وصف الأنصار من أن وصف النصرة ليس خاصا بالصحابة، فكذلك منزلة الهجرة يدخل فيها كل من هاجر فراراً بدينه من الفتن، أو تكثيراً لسواد المهاجرين وتقوية لهم أو استقواءً بهم، وإن كان للصحابة منه أوفر نصيب. قال النووي في شرح الحديث السابق: «قال أصحابنا: ... الهجرة باقية إلى يوم القيامة عندنا وعند جمهور العلماء».

وقد عرف الصحابة رضي الله عنهم للهجرة منزلتها، وأن أهل دار الهجرة يمتازون على غيرهم، ففي مدينتهم نضجت المعارف، وتربت النفوس، وتطهر القوم من جفاء الأعرابية، ورعونات الفوضى، وخفة الأحلام.

فحين أراد عمر رضي الله عنه عندما قال رجلٌ في موسم الحج: «لو قد مات عمر بايعت فلاناً وهل كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة؟» وغضب عمر وأراد أن يخطب في الناس لينبههم على خطورة هذه المقالة، قال له عبدالرحمن بن عوف: «إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإني أرى أن تمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسُنة، وتخلص لأهل الفقه، وأشراف الناس، وذوي رأيهم، قال عمر: لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة». [رواه البخاري]

من معوقات الهجرة

ولما كانت الهجرة بهذه المثابة، كان من المتوقع ألا يتسنمها إلا ذوو النفوس الأبية؛ ممن اقتحموا عقباتها، وعالجوا غصصها، من جواذب المادة وشواغل الأموال والقرابات، أو مغريات الوظائف والتجارات، وتحرروا من سطوة الخوف من أخطارها. وقد ذكر القرآن ما يقوي نفوس المهاجرين ويشحذ عزائمهم:

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ★ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ★ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ★ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ★ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥٦-٦٠]

ففي هذه الآيات أمر الله تعالى بالهجرة لمن ضاقت عليه بلده، وكثير من الناس إذا همّ بالهجرة تمثلت له بعض تلك العوائق:

منها: الخوف من الموت بسبب مخاطر الطريق، فبيَّن الله تعالى أنه كتب الموت على الجميع مَن هاجر ومن قعد، وهناك من تهيج به ذكرى المساكن والقصور، فساقَ الله تعالى له مِن ذكرِ غُرف الجنة ما يزهده في بيوت الدنيا ويشد عزيمته للتشمير لسكنى الجنان، ثم نوه الله تعالى بذكر الصبر والتوكل، فمتى تزود بهما المهاجر ذلت له العقبات.

ثم ختم السياق بما يطرد وساوس الخوف على الرزق، ويطهر النفس من هواجسه، فذكّر المهاجر في سبيله بأن ربه ضمن رزق البهائم السيارة في أرضه دون أن يحوجها إلى حمل الزاد معها، وكأنه يقول له: أفلا يرزقك يا ابن آدم وأنت أكرم عليه وقد خرجت مهاجراً إليه؟!

وتتعلل بعض النفوس الضعيفة بعلل لا تقوم على ساق، وانما هو انعكاس لضعف النفس، وإجابة لداعي الكسل؛ فيحتجون باستضعاف كاذب أو متوهم، فبيّن الله تعالى لعباده زيف هذا التبرير، وفصل بين استضعافين: الأول زائف موهوم، صاحبه متوعد بالعذاب، والآخر حقيقي واقع وصاحبه معفو عنه، غير مؤاخذ ولا ملوم، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]

قال الشيخ عليش: «فهذا الاستضعاف المعفو عمن اتصف به غير الاستضعاف المعتذر به في أول الآية، وهو قول الظالمين أنفسهم «كنا مستضعفين في الأرض»، فإن الله تعالى لم يقبل الاعتذار به، فدل على أنهم كانوا قادرين على الهجرة من وجه ما، وعفا عن ذي الاستضعاف الذي لا يستطاع معه حيلة ولا يُهتدى سبيل بقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، فالمستضعف المعاقب في صدر الآية هو القادر من وجه، والمستضعف المعفو عنه في عجزها هو العاجز من كل وجه» [فتح العلي المالك]

وسيأتي السؤال الذي وُجه إلى الشيخ عليش وكان في جوابه هذا التفصيل.

وكما أن للنفوس الأمارة بالسوء في ذلك رعونات، فللشيطان في هذا الباب نصيب.

فقد روى النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأَطرُقِه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك،؟ وإنما مثَل المهاجر كمثل الفرس في الطِّوَل، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتُقتل، فتُنكح المرأة، ويقسم المال، فعصاه فجاهد». فقال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة...».

فقول الشيطان لمن أراد الهجرة: (مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّوَل) تثبيط له عن الهجرة وصدٌّ عن سبيلها، والطِّوَل هو الحبل الذي تربط به الفرس إلى الوتد، يريد بذلك تخويفه من الهجرة وأن المهاجر مقيد بقيود الغربة، بخلاف من بقي في بلده بين أهله، ولكن الله وعد المهاجرين بعكس ما يوعدهم به الشيطان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، وهذا الوعد الإلهي مفردة من مفردات سنة إلهية، ذكرها النبي ﷺ بقوله: «إنك لن تدع شيئاً لله عز وجل إلا بدّلك الله به ما هو خير لك منه» [رواه أحمد]

وهكذا يقف المسلم أمام عتبات الهجرة إذا لاحت له معالمها، يصارع نفسه بين لمة الملَك ولمة الشيطان، والمنصور مَن نصَره الله.

وهذا الصراع يتكرر على مر التاريخ، ويمكن التمثيل له بما حصل بعد سقوط الأندلس حين غلب عليها النصارى ونكلوا بالمسلمين أيما تنكيل، ومَن قبِل شروطهم ورضي بالذل تركوه حياً ورموا له بالفتات، ففُتح باب الهجرة إلى المغرب وهاجر إليها من هاجر، لكن قوماً ممن رضوا بشيء من الزينة الملوثة بغبار المهانة، ندموا على هجرتهم ورغبوا عنها قائلين: (إلى ها هنا يهاجَر؟!)

فأرسل بعض المسلمين استفتاء إلى بعض علماء المغرب فكان الجواب رسالةً سماها الإمام الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤هـ: (أسنى المتاجر في بيان أحكام مَن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر) وهي تعد بحق وثيقة مهمة في السياسة الشرعية والعلاقات الدولية.

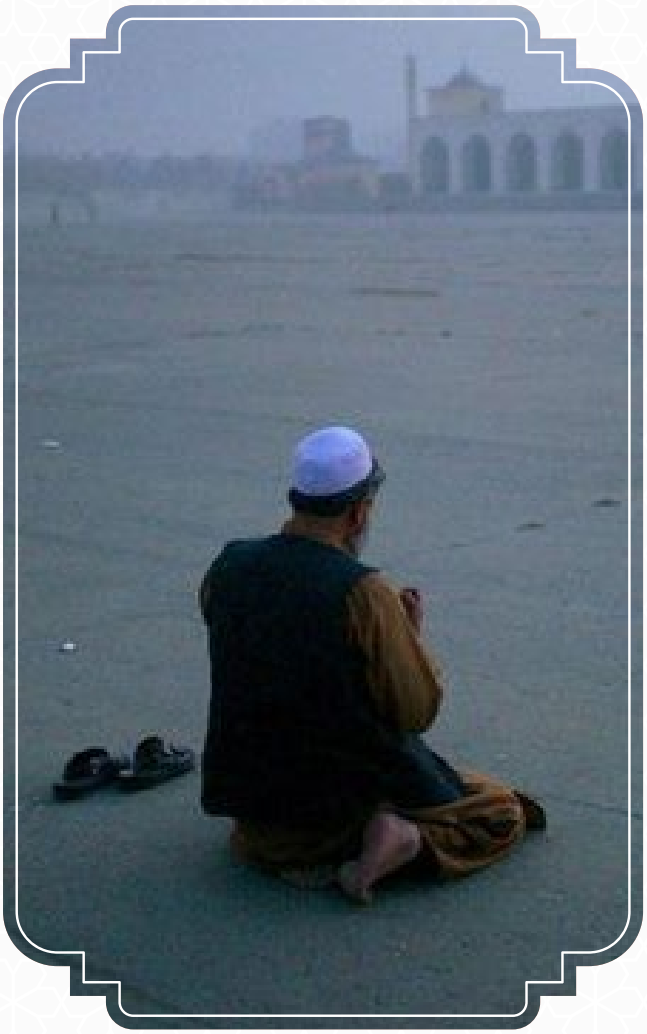

وقد سئل الشيخ عليش المالكي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ عن: «إقليم من المسلمين هجم الكافر على بلادهم وأخذها... وبقيت جبال في طرف الإقليم لم يصلها، ولم يقدر عليها وهي محروسة بأهلها، وهاجر إليها بعض أهل الإقليم... وبقي من بقي تحت حكم الكافر... وضرب عليهم خراجاً يشبه الجزية... فصار التشاجر بين فريقي العلماء... فأفيدوا الجواب...».

فكان بداية جوابه أن نقل كلام الونشريسي في (المعيار) «إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل... قال في العارضة: فإن قيل: فإن لم يوجد بلد إلا كذلك قلنا يختار المرء أقلها إثماً».

وعضد جوابه بفتوى (أسنى المتاجر) [فتح العلي المالك]

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن ترك الهجرة والبقاء في ديار الكفار قد يكون في بعض الأحيان هو الأولى أو المتعين، وذلك إذا ارتبطت بالبقاء مصلحة راجحة من دعوة أو تعليم أو اطلاع على ما يفيد المسلمين من أحوالهم أو غير ذلك من المصالح المعتبرة.

قال الخطيب الشربيني: «لو رجا ظهور الإسلام بمقامه ثَم كان مقامه أفضل، أو قدر على الامتناع والاعتزال ثَم ولم يرج نصرة المسلمين بالهجرة كان مقامه واجباً» [مغني المحتاج]

وقال الشوكاني: «وإذا كانت المصلحة العائدة على طائفة من المسلمين ببقائه ظاهرة، كأن يكون له مدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في تعليم معالم الخير، بحيث يكون ذلك راجحاً على هجرته وفراره بدينه، فإنه يجب عليه ترك الهجرة رعاية لهذه المصلحة الراجحة» [السيل الجرار]

والحديث عن الهجرة وأحكامها وحِكَمِها طويل، ولكن المقام لا يسمح بمزيد من البسط. وبقي أن نقول: يلقى المسلم أحياناً في بلاد الغرب من حرية العبادة والدعوة إلى الله ما لا يلقاه في بعض بلاد المسلمين، فإلى الله المشتكى.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الهجرة مقدمة بناء الأمم

د. أحمد موفق زيدان

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

ونحن في ظلال سيرة هجرة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، من أحبِّ البقاع إليه مكة المكرمة، إلى طيبة المدينة المنوّرة، التي تنوّرت بمقدمه، جدير أن نفتح ملفاً مهماً في دور هذه الهجرة في بناء الدول والأمم، فمن قبل قال سيدنا المسيح عليه السلام: «ليس لنبي كرامة في وطنه»، وهو ما وضع أسس بناء الدول والأمم، فكان حقًّا على الأنبياء والرسل ومن بعدهم من المصلحين أن يهاجروا من بلادهم للدعوة لمبادئهم، فالأُلفة تُذهب الدهشة كما قيل، ولذا قد يستغرب من عايش صاحب الدعوة أن يتقبل إمارته وقيادته، فكان الحلُّ بالهجرة وبناء القاعدة الصُلبة بعيداً عمّن ألفه وعرفه، فطول التعاشر يورث القِلى أي البغض،

وكما قال أبو العتاهية:

وما غربة الإنسان في غير داره •• ولكنها في قرب من لا يشاكله

لقد أدرك عمق ذلك ومنذ الوهلة الأولى للرسالة المحمدية ـعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلامـ ورقةُ بن نوفل، وهو ابن عم أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فسارعت السيدة خديجة مع النبي عليه السلام، لتعرض على ابن عمها ما حصل لزوجها، حين التقت الأرض بالسماء، محمدٌ مع جبريل عليهما السلام، وطلبت من النبي عليه السلام أن يروي لورقة رؤيته لجبريل عليه السلام، فأخبره النبي عليه السلام بما رآه، فكان جواب ورقة سريعاً وحاسماً، وراسماً طريقه إلى الهجرة، هجرة المكان، وهجرة الأشخاص، فقال له: «هذا هو الناموس الذي نزّله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً، إذ يخرجك قومك»، فقال رسول الله عليه السلام: «أو مخرجيَّ هم؟» قال: «نعم! لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عوديَ».

استثمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنواته الأولى في مكة المكرمة بالدعوة السرية، وتربية أصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فشدّد عليهم بتحاشي استخدام القوة والسلاح، لأن فرض الوقت يومها هو البناء العقدي والفكري، والتعرف على تضاريس الأعداء والخصوم وجغرافيتهم، ووزنهم الحقيقي، فالحكم على الشيء فرع عن تصوّره، فكانت الفترة المكية فترة بناء أشبه ما تكون بالبنية التحتية للدعوة الإسلامية، وهي أقرب ما تكون للبنية التحتية للمدن والبلدات، التي قد تستهلك كُلفة بنائها نصف الوقت والجهد والمال المبذولين، بينما كلفة البنى الظاهرة للعيان في عالم المدن والبلدات قد لا يصل للنصف المكمل.

اتجه النبي عليه الصلاة والسلام إلى اختيار الرواحل القادرين على حمل أنفسهم، وحمل دعوتهم، وهو القائل: «الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة»، ولذا رأينا كل من أسلم على يديه في مكة المكرمة لم يتخلف عن الهجرة وندائها، بل رأينا كيف أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، يهيِّئ ويرتب رحلة الهجرة مع الحبيب المصطفى عليه السلام، بشكل دقيق وحذر، فوظف كل إمكانياته

الأسرية والخدمية، وعلاقاته مع كفار قريش، في التحضير لها، وحين بشّرة النبي عليه السلام بمرافقته في الهجرة التي كانت لحظة فارقة في تاريخ البشرية: «الصحبة يا رسول الله فأجابه المصطفى نعم الصحبة يا أبا بكر» .

لم تكن الهجرة إلى المدينة المنورة أولى تجاربه عليه السلام، وتجارب صحابته في هذا المضمار، فقد سبق ذلك تجارب وأشبه ما تكون ببروفات لها، حين خرج بعض الصحابة رضوان الله عليهم بتوجيه من الحبيب المصطفى عليه السلام للهجرة إلى الحبشة، فكان على رأسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وزوجته رقية ابنة النبي عليه السلام، ونفر من المهاجرين لا يزيدون عن ستة عشر صحابياً، لكن لم يطل بهم المقام طويلاً حتى ترامى إلى أسماعهم أنباء عن وقوع هدنة بين المشركين والنبي عليه السلام، فعادوا إلى مكة ليتبين لهم كذب الشائعة، فحزنوا للعودة كثيراً، وهي مناسبة مهمة للتحذير من الشائعة وسرعة تصديقها.

عودة المهاجرين إلى مكة المكرمة أغْرت قريشاً وكفارها بمضاعفة الأذى على العائدين، فما كان من رسول الله عليه السلام إلا أن أشار على صحابته بالهجرة الثانية، والتي كانت أشقّ من سابقتها، واستعدّت قريش لإحباطها، لكن حذر الصحابة رضوان الله عليهم كان أسرع، فخرج فوج صحابي مكوّن من ثلاثة وثمانين رجلاً، وتسع عشرة امرأة، ويسّر الله لهم السفر صوب النجاشي، حيث الأمان وطيب الجوار والوفادة. كل ذلك تمّ بتخطيط نبوي عميق، فحين نظر عليه السلام في خريطة من حوله، فلم يجد أفضل من النجاشي الذي وصفه مبكراً وهو لم يره: «لو خرجتم إلى الحبشة، لوجدتم ملكاً، لا يظلم عنده أحد». فمعرفة الواقع وتنقيح مناطه من أهم صفات القائد باني الدولة والأمة.

استطاع الصحابة رضوان الله عليهم بهذه التجربة الثريّة العميقة أن يستكشفوا العالم من حولهم، وإن كان بعضهم قد سبق أن ساح بالبلاد تجارة، حيث عُهِد عن قريش التجارة إلى الشام، ولكن الحبشة ولقاء ملكها، والتعرف على مطبّات مصالح الأمم والشعوب وتعاريجها ـ كما حصل في طلب قريش للمسلمين الفارّين إلى النجاشي ـ كان جديداً على الصحابة، لكنهم خرجوا منها منصورين، ولعدوهم قاهرين خاذلين، فعاد وفد قريش من عند النجاشي مخذولين، دون أن يحصلوا على ما أتوا من أجله، وهو إعادة الصحابة لمكة، موقف أكسب الدعوة بُعداً عالمياً، واكتسبت معه الدولة المقبلة حليفاً ونصيراً خفياً، تجلّى ذلك حين وفاة النجاشي، فعلّق عليه النبي عليه السلام بقوله لصحابته: «قوموا فصلّوا على أخيكم».

واصل النبي عليه السلام دعوته في مكة المكرمة، والتمهيد للحظة الهجرة، فكان أن عقد بيعة العقبة الأولى تمهيداً للأرض في المدينة، حيث حراثة الأرض مطلوبة قبل زرعها، فضلاً عن جني ثمارها، وبعث مع مسلمي المدينة الجدد المبايعين له، أحد الثقات الذين عرفتهم مكة شاباً ذا عزٍ وجاه، مصعب بن عمير، الذي يصفه مؤرخو تلك الفترة بأنه من أعطر أهل مكة، ولد في النعمة وغُذّي بها، وشب تحت خمائلها، فلم يكن لفتيات مكة ونسائها حديثاً إلا مصعب، الذي لا يلبس إلا الحرير، ولا يجلس إلا على الوثير، الابن المدلل لأمه وأبيه.

تعهد مصعب حراثة أرض المدينة وفلاحتها وزراعتها، قبل قدوم النبي وصحابته إليها، فعكف على تفقيه أهل المدينة بالدين، ليعود إلى النبي عليه السلام قبيل الموسم الحافل، فيخبره بما حظي الإسلام من قبول في المدينة، ويبشره بدخول جموع غفيرة في الإسلام.

قرر النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن تيقن من فلاحة أرض المدينة على يد مصعب ابن عمير ورفاقه، أن يوجه صحابته إليها، ليلحق بهم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فالهجرة كما وصفها الشيخ محمد الغزالي في كتابة فقه السيرة النبوية: «إنها إكراه رجل آمن في سربه، ممتدِّ الجذور في مكانه، على إهدار مصالحه، والتضحية بأمواله، والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره ـ وهو يصفّي مركزه ـ بأنه مستباح منهوب، قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم، لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان». فأمر الهجرة خطير، وهي قرين قتل النفس كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

فالهجرة تتطلب التخلي عن أرزاق الأجداد، وأجداد الأجداد، بل والتنازل حتى عن الأموال السائلة، كما حلّ بصهيب الرومي حين أراد الهجرة، وقال له كفار قريش: «لقد أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك»، فقال لهم صهيب: «أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلُّون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ربح صهيب».

بيد أن عقلاء قريش وعلى الرغم من عداوتهم للنبي عليه السلام ودعوته، أدركوا بفطرتهم الاجتماعية أن خروج الصالحين والشرفاء من الأرض نذير شؤم عليهم وعلى بلدهم، فحين مرّ عتبة وأبو جهل على دار بني جحش بعدما غُلّقت، وقد هاجر رب الدار وزوجه،

نظر عتبة إلى الدار تخفق بأبوابها، لا ساكن فيها، فقال واصفاً حال مكة حاضراً ومستقبلاً:

وكل دار وإن طالت سلامتها •• يوماً ستدركها النكباء والحُوب

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصديق، وقريش تجدُّ في طلبهما، ومع مشاق الهجرة، وصعوبات الفراق، نشهد رسول الله وهو يخاطب من أدركه من فرسان قريش، سراقة بن مالك الذي ابتغى مكافأتها إن أعاد النبي وصديقه إلى مكة، فقال له: «كيف بك يا سراقة وقد لبست سواريّ كسرى بن هرمز؟». كلمات كلها ثقة ويقين القائد الداعية بنصر الله له ولمنهجه وأتباعه، وتبشيره لأتباعه بالفتح، وإذاعة الروح الإيجابية التفاؤلية بين الأتباع، ولم يطل الوقت حتى تحققت نبوءة المصطفى عليه السلام ولبس سراقة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب سواري كسرى، بعد أن فتح الله على المسلمين المدائن، ومع وصول النبي عليه السلام إلى المدينة، بدأ مشروع أهمه كثيراً وهو بناء الدولة وعينه ترنو على مكة وعلى عالمية دعوته، فالهموم على قدّر الهمم.

الهجرة النبوية رؤية مختلفة ١

الهجرة سُنة نبوية وكونية

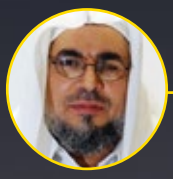

د. عبد السلام البسيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

•• اللهم صل وسلم، وزد وبارك، على السيد المصطفى، والحبيب المجتبى، وعلى آله، وصحبه، ومن نهج نهجه، واقتفى أثره، وأوردنا اللهم حوضه، وارزقنا شفاعته، وأسعدنا بجواره، يا ذا الفضل العظيم.

أما بعد؛ فأستعين الله لأسوق جملة أفكار حول الهجرة البشرية عامة، والنبوية خاصة، ودورها الإيجابي في حركة الحياة، والعمران، والأفكار، وهي تقبل المناقشة والحوار، أجملها ثم أفصلها:

كثير جدًّا من عناصر الطبيعة تهاجر: الحيوان، والطير، والأسماك، والماء، والرياح، والسحاب، والكواكب، وغيرها؛ وربما كان ذلك الأصل!

- الدول التي تقوم على سواعد المهاجرين، من أقوى الدول وأغناها، ويوم تتوقف الهجرات تشيخ الأمم، ولنا مثَل في دولة المدينة المنورة، ثم في دول المهاجرين: أميركا، وكندا، وأستراليا، وإسرائيل، وحتى دول الخليج العربية!

- كل أنبياء الله عليهم السلام، من آدم حتى محمد ﷺ، هاجروا، أو هُجروا رغمًا عنهم، وتركوا ديارهم، وأهليهم، وأموالهم، ولو عادوا لها بعد أن تبدلت الأحوال!

- هجرة المؤمن فريضة إذا وجد مخارج يحفظ بها دينه، وإيمانه، وينشر بها عقيدته!

- حدث الهجرة في الإسلام، هو الذي ثبت دعائم الدين، وأسس الدولة، ونشر النور لأقصى أرجاء الدنيا! وفطن لذلك سيدي عمر الملهَم المحدَّث فجعله بداية التأريخ للأمة!

- المهاجرون المسلمون هم السبب الحقيقي في نشر الإسلام، في مصر، والعراق، والشام، وشمال أفريقيا، ومنطقة الروملي، وأوربا الغربية حتى الأندلس! وأرخبيل الملايو، وامتداده شرقًا للصين!

- للهجرة آثار سلبية عالجها رسول الله ﷺ، ولا نحسن الآن علاجها!

- ثم سأقف أطْول أمام حدث الهجرة بعد ذلك لو وفق ربي سبحانه!

- **أولًا:** كثير جدًّا من عناصر الطبيعة تهاجر، إن لم تكن كلها: الإنسان، والحيوان، والطير، والأسماك، والماء، والرياح، والسحاب، والكواكب، وغيرها، وربما كان ذلك الأصل!

أعتقد أنني لا أحتاج لجهد للتدليل على أن الهجرة نمط شائع في الكائنات كلها من صغيرها لكبيرها بشكل يحتاج تأملًا وقراءة متفحصة، فإذا افترضتُ صحة أن آدم وحواء عليهما السلام التقيا وتعارفا في مكة على عرفات، أو على جبال أرارات، أو في مجمع أي بحرين، أو أي سهل، فإن أبناءهما بعدهما تكاثروا، وانساحوا مهاجرين في أرجاء البسيطة، ليعمروها، مهاجرين لاتجاهات مختلفة، حتى اختلفت مع الزمن ألوانهم، وألسنتهم، ومعطياتهم الحضارية!

ونرى وبأعيننا، ونقرأ عن هجرات الطيور والأسماك، حتى إن طائرًا صغير الحجم «يقطع أكثر من ٧٠٠,١١ كلم في رحلة واحدة بدون توقف في هجرته من ألاسكا وحتى نيوزيلاندا» كما عثر على نسر روسي «قطع آلاف الأميال خلال رحلاته على مدار ٢٠ عامًا، منطلقًا من روسيا في الشتاء مرورًا بدول شمال شرق آسيا جميعًا حتى السودان والسعودية وبعض دول الخليج العربي! وقد نُشرت خارطة رحلاته، وهي مدهشة حقًّا!

ونرى وبأعيننا، ونقرأ عن هجرات الطيور والأسماك، حتى إن طائرًا صغير الحجم «يقطع أكثر من ٧٠٠,١١ كلم في رحلة واحدة بدون توقف في هجرته من ألاسكا وحتى نيوزيلاندا» كما عثر على نسر روسي «قطع آلاف الأميال خلال رحلاته على مدار ٢٠ عامًا، منطلقًا من روسيا في الشتاء مرورًا بدول شمال شرق آسيا جميعًا حتى السودان والسعودية وبعض دول الخليج العربي! وقد نُشرت خارطة رحلاته، وهي مدهشة حقًّا!

ورأينا الحيوان يهاجر بصورة واسعة، والأسماك، والرياح اللواقح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض، والماء «الذي لا يمر بالمكان نفسه مرتين» وحركة الكثبان الرملية التي تشبه الهجرة، والانزياحات الأرضية، وحركة القارات قديمًا، بل حتى الكواكب، فقد قرأت عن «هجرة الكواكب Planetary migration الناتجة عن التفاعلات الجاذبية بين كوكب، أو تابع نجمي آخر، مع كوكب مصغر، أو مع قرص الكوكب الأولي الذي يقع حول النجم، الذي يدور حوله هذا الكوكب؛ ما يغير مداره، ولا سيما نصف محوره شبه الرئيسي الأمر الذي يسبب في هجرة الكوكب نحو أو بعيدًا عن نجمه! معدلات الهجرة محدودة بشدة بالنسبة للإجرام المنخفضة الكتلة، ولكنها مفهومة بشكل معقول في حالة الكواكب العملاقة»!

وليس هنا مجال الكلام عن هجرات الكائنات وأسبابها، وأنواعها، ونتائجها السلبية والإيجابية!

• • **ثانيًا:** الدول التي تقوم على سواعد المهاجرين، من أقوى الدول وأغناها، ويوم تتوقف الهجرات تشيخ الأمم، ولنا مثَلٌ في دولة المدينة المنورة، ثم في دول المهاجرين: أميركا، وكندا، وأستراليا، وإسرائيل، وحتى دول الخليج العربية!

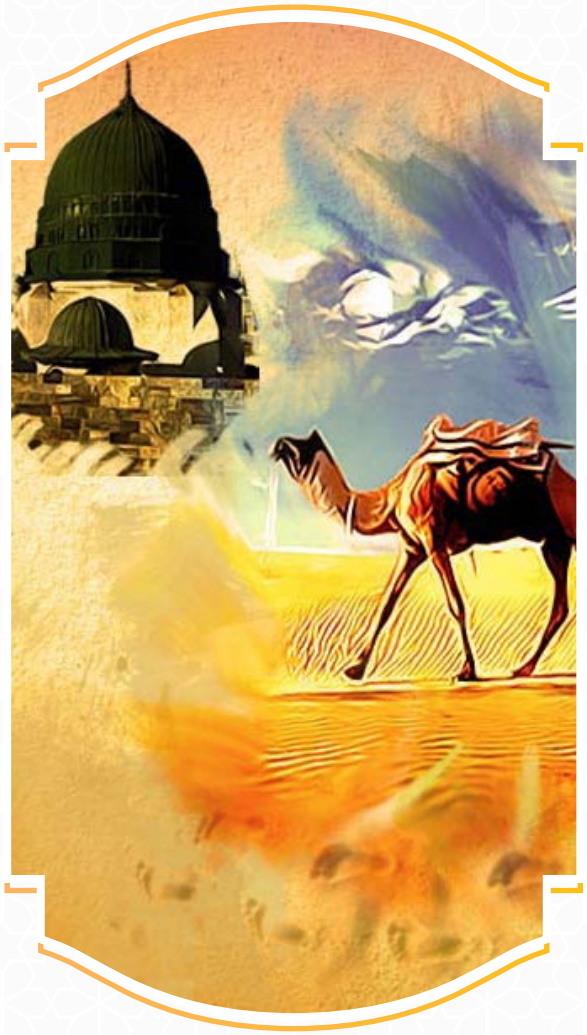

فأما دولة المدينة التي وفد إليها مؤمنو أهل مكة، ثم المسلمون بعدُ فقد غيرت وجه العالم دون خلاف، وأما المَهاجرُ المعاصرة، فتحسن امتصاص طاقات المهاجِرةِ، والإفادة منهم، ونسبةَ عطاءاتهم لها، فأميركا متورمة بالمهاجرين من أنحاء العالم، وعطاءات كثير منهم في التكنولوجيا، والطب، والمعلوماتية، وعلوم الطبيعة، وغيرها، لمهاجرين، نجحت في استقطابهم، أو الإفادة منهم، وصيرتهم شواحنَ طاقةٍ في جسدها! وحسبك أن تعلم أن ثلاثة أرباع النساء العاملات في وادي السيليكون: الذي يدير عقل الدنيا، في مجالات الحواسيب، والرياضيات، والهندسة، والمعمار، وأن ٧٠ بالمائة من الموظفين الرجال مولودون خارج أميركا! وجلهم آسيويون![١]!

وهنالك عدة دراسات قامت بها الجامعة العربية ومنظمة يونسكو والبنك الدولي بأن منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي تسهم بثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية، وأن ٥٠% من الأطباء و٢٣% من المهندسين و١٥% من الكفاءات والعقول العربية يهاجرون إلى أوروبا وأستراليا وكندا وغيرها من البلاد. بدأت ظاهرة هجرة العقول العربية منذ قرن التاسع عشر وازدادت في القرن العشرين، وخصوصًا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية! وأن ٥٤% من الطلاب العرب الدارسين بالخارج لا يعودون لبلادهم، ويشكل العرب وحدهم ٣٤% من مجموع الأطباء في بريطانيا. ويهاجر نحو ١٠٠ ألف من العلماء والمهندسين والأطباء كل عام من مصر، والأردن، والعراق، تونس، المغرب، والجزائر[٢]. ”

---

١. Foreign-Born Engineers Dominate Bay Area Tech Jobs spectrum.ieee.org/foreign-born-engineers-dominate-bay-area-tech-jobs-says-joint-venture-silicon-valley

٢. reachimmigration.com

• • **ثالثًا:** دعوى أن كل أنبياء الله عليهم السلام، من آدم حتى محمد ﷺ - خصوصًا الخمسة الكبار أولي العزم - هاجروا، أو هُجِّروا، وتركوا ديارهم، وأهليهم، وأموالهم، ولو عادوا بعد تبدل الأحوال! ثم لأسباب مختلفة هاجر أبناء آدم لكل أصقاع الأرض، من أشدها حرارة لأقرصها برودة، وعاشوا وأقاموا حضارات، وثقافات، وتركوا آثارهم خلفهم: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ . وبالليل أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ؟ الصافات:١٣٧]!

فقد أُخرج آدم أبونا عليه السلام من الجنة أو هُجِّر، لحكمة لم تعرفها الملائكة، ولعلها إقامة هذه الحضارات، والعطاءات البشرية، واصطراع الخير والشر، ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]!

كما أهبط إلى الأرض بمعرفة كاملة، فقد علمه ربه العلام الأسماء كلها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] وأوتي معها سنة المدافعة والاصطراع؛ ابتلاء؛ ولئلا يستنيم وأولاده للدعة، ويركن للراحة: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:٢٢]! كما أن بسنة المدافعة ينجلي التفكير، وتهطل الاختراعات، والإبداعات الإنسانية، والإمكانات التي غيرت وجوه الحضارات عبر القرون!

ثم هاجر نبي الله نوح عليه السلام، راكبًا فُلكًا مشحونًا انتقل به بعيدًا، حيث استقر على الجودي؛ بعد أن غسل الله تعالى الأرض من الشرك، والكفر، والمحادة لله تعالى، ولنوح رسول الله! لتبدأ البشرية بداية جديدة، تقوم على توحيد الله عز وجل.

هاجر بعد إذ هدده قومه بالموت رجمًا بالحجارة: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:١١٦]، وكان الرجم سائدًا في الأمم الوثنية والهمجية بشكل كبير، منذ قوم نوح فمن بعدهم حتى جاء الإسلام، وعقَّده...

وكانت تلك المرة الثانية التي تمحض فيها كلُّ من في الأرض مسلمين، فلم يحصل هذا قبل إلا مرة واحدة، حين أهبط آدم من الجنة، ثم بعد ذلك ما تمحضت الأرض لأهل الإيمان قط ولن تتمحض، لكنها ستكون لأهل الكفر فقط عند قيام الساعة! كما في مسلم/١٩٢٤: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر من أهل الجاهلية»! «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله» مسلم:١٤٨! وبذلك كانت هجرة نوح عليه السلام نجاة بالمؤمنين، وحياة للدين، وهلاكًا للكافرين، وبعثًا لحضارة جديدة، وناس مختلفين!

وهاجر صالح عليه السلام، بعد أن عانده قومه، ورفضوا دعوته، وذبحوا الناقة الآية، وتحدوا ربه، وقالوا: ليُنزل علينا عذابه إن شاء: ولم يرع عميان البصائر، ولم يفهموا الرسالة، ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩]، وخرج عن القرية قبل نزول العذاب، وأوعدهم ثلاثة أيام، وانتقل عنهم لا يُصبْه العذاب: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود:٦٥-٦٨]!

وقبلهم أوعد سيدي هود عليهم السلام أمة غبية أخرى، هي عاد، في الأحقاف - جنوبي جزيرة العرب ما بين اليمن وعمان، على تخوم الربع الخالي الجنوبية - بعد أن دعاهم إلى توحيد الله تعالى، وحذرهم، فاستعصموا بأوثانهم، ودين آبائهم، وتحدوه أيضًا أن يُنزل عليهم العذاب: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٢١-٢٢]! وأرسل الله عليهم عذابه عاجلًا فعلا!

والغريب أنهم حين رأوا السحاب المركوم الذي يحمل العذاب، عموا وصموا، واستكبروا، وكذبوا، وقالوا: هذا مجرد سحاب، يحمل لنا الخير والمطر: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٤-٢٦]!

وهاجر نبي الله إبراهيم عليه السلام، بعد أن وجد معاندة ومعارضة، وسوادًا في القلوب، وتهديدًا بالقتل من أقرب الناس له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم:٤٦]، فانطلق عن قومه بعيدًا ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الصافات:٩٩]، وتنقل عليه السلام، من بابل العراق، للشام، لمصر، لجزيرة العرب، وترك ابنه وسريته في مكة التي بارك الله فيها بعد أن أذن بالحج، ودعا ربه بأن تجبى إليها ثمرات كل شيء ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧] وأن تهفو إليها أفئدة الناس، إلى قيام الساعة ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم:٣٧]وبذلك كانت هجرة إبراهيم عليه السلام توسعة لأرض التوحيد، وزيادة لرقعتها، وإرهاصًا بمحمد ﷺ، الذي جعل ربه له الأرض كلها ميدانًا للدعوة/ والبشر كلهم من بعثته ليوم الدين، أمة الدعوة/ والزمان كله له؛ حتى قيام الساعة زمنًا للدعوة!

ثم ﴿آمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦]، متبعًا خطا نبي الله إبراهيم عليه السلام، ثم هاجر ثانية، من سدوم وعمورة، بعد أن آذاه قومه، وضيقوا عليه، وهددوه بالنفي من بلده: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء:١٦٧]،وعلم أنهم معذَّبون، فأسرى بأهله بقطع من الليل، حتى انتقل إلى عالم أرحب، وأصلح للدعوة لله تعالى!

وبعد أن ألقى بنو يعقوب عليه السلام أخاهم يوسف في الجب، حُمل إلى مصر صغيرًا، وظل بها، حتى عزّ وحكم، وتمكن في الأرض، واستهجر أباه يعقوب، وإخوته، فجاؤوا إلى مصر، في حركة هجرة عن قوة، إكرامًا من يوسف عليه السلام، الذي: ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف:٩٩] إكرامًا وتحقيقًا للرؤيا! وظل يعقوب فيها سنين حتى قاربه الأجل، فعاد إلى الخليل ليدفن مع أبويه إبراهيم وإسحق، عليهم صلوات الله وسلامه!

وهاجر موسى - وهارون عليهما السلام- من مصر إلى مدين، خوفًا ونجاة بنفسه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:٢١]وبقي فيها عشر سنين أو أكثر قليلًا، وقضى الأجل، وسار بأهله، عائدًا، ليحاج فرعون عليه لعائن الله، الذي استمر في غطرسته، وتمرده، وادعائه الألوهية، وصادم موسى ﷺ، ونوى إقامة مذبحة ثانية لبني إسرائيل، بعد مذبحة الأطفال المشهورة، فاضطر سيدي موسى عليه السلام ثانية للخروج بقومه، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ [يونس:٩٠]، ففر موسى للنجاة بنفسه وبقومه، واتجه عليه السلام إلى فلسطين، في هجرة دائمة، فبقي الإسرائيليون حتى أبيدوا، بما كسبت أيديهم!

وهاجر نبي الله شعيب عليه السلام، بعد أن خيره قومه بين الكفر بما أُرسل به، وبين التهجير من البلد: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف:٨٨]، فخرج بمن آمن به، وأهلك الله تعالى الظالمين الجاحدين من قومه بالصيحة: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود:٩٥]!

وخرج سيدنا يونس عليه السلام، مغاضبًا قومه، قبل أن يأذن الله له بالهجرة، لعله يجد قومًا آخرين، ألين قلوبًا، وأنقى طبيعة، وأطوع للهداية: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، وركب ﷺ البحر، لتجري عليه أقدار الله تعالى، من التقام الحوت إياه، ثم لفظه بعد حين، بعد أن استغفر ربه، وأناب إليه: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء :٨٧]، ثم ليعود إلى قومه، النادمين على خروجه، فآمنوا به واتبعوه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [سورة الصافات:١٣٩-١٤٨].

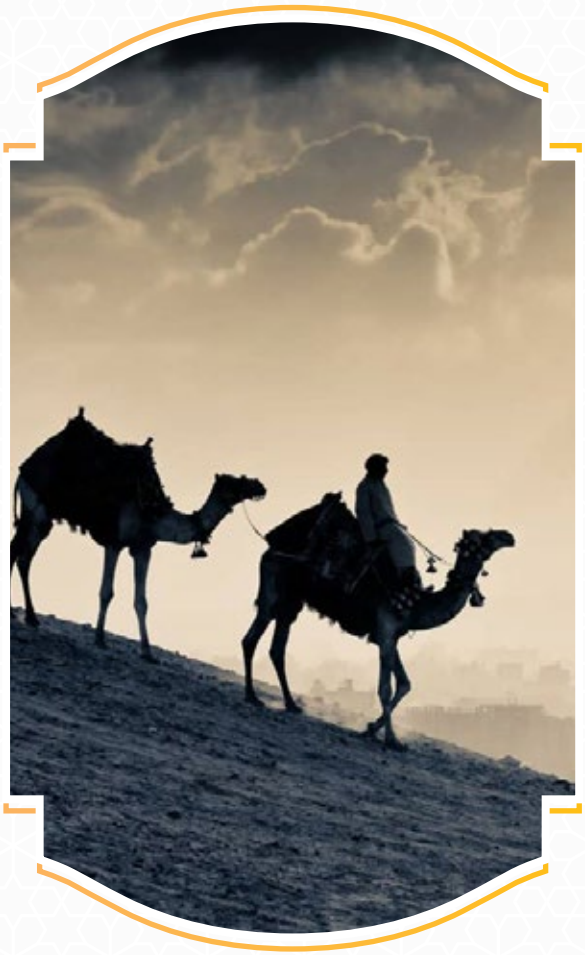

وهاجر سيدنا عيسى المسيح عليه صلوات الله وسلامه - أو هاجرت به أمه- فرارًا من بطش اليهود والرومان! (وقد نشرت جامعة كولون بألمانيا لأول مرة بردية أثرية ترجع إلى القرن الرابع الميلادي، (sis.gov.eg/section/502/12472?lang=ar) تتحدث عن فترة وجود السيد المسيح والعائلة المقدسة في مصر، مؤكدة أن طفولة السيد المسيح استمرت نحو أربع سنين (ثلاث سنوات، وأحد عشر شهرًا) مهاجرًا في مصر!

وهاجر محمد ﷺ لينطلق بدينه إلى آفاق أرحب، وقلوب أطوع، وليؤسس دولة كتب الله تعالى لها البقاء حتى يرث سبحانه الأرض ومن عليها؛ مع مراوحات بين القوة والضعف، والانكسار والمنعة!

ولعلها كانت مختلفة في أسبابها، وأهدافها، ونتائجها، عن الهجرات السابقة للنبيين، خصوصًا وأنهم عليهم السلام عادوا إلى بلادهم سريعًا؛ لكن محمدًا ﷺ، بعد أن فتح الله عليه مكة رفض أن يستقر بها، وآثر طيبة الطيبة عليها! يقول العلامة القرضاوي:

إن عددًا من أنبياء الله هاجروا، ولكن كان لهجرة النبي ﷺ سمات خاصة، فلم يكن الهدف منها فرارًا من العذاب؛ ولكن كان الهدف منها إقامة دولة الإسلام، من خلال هذه الهجرة المباركة. ولم تكن هجرة محمد عليه الصلاة والسلام كهجرة موسى عليه السلام حينما قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢]، بل كانت سعيًا حثيثًا لإقامة مجتمع جديد، مجتمع إسلامي بمعنى الكلمة: كانت سعيًا لإقامة مجتمع وبناء أمة، وإنشاء دولة جديدة، تقوم على الربانية والإنسانية والأخلاقية والعالمية، كان هذا هو هدف محمد عليه الصلاة والسلام من هذه الهجرة، وفعلًا استطاع أن يقيم هذه الدولة، وأن يؤسس هذا المجتمع، وينشئ هذه الأمة الجديدة خير أمة أخرجت للناس!

• • **رابعًا:** جعل الله تعالى هجرة المؤمن فريضة إذا ضُيِّق عليه، وأوذي في دينه، ولم يستطع أن يقوم به في نفسه، وينقله للعالم، ووجد مخارج يحفظ بها دينه، وإيمانه، وينشر بها عقيدته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٧ - ١٠٠]!

وقد ندب النبي ﷺ الانتقال إلى مناطق تسود في العدالة، والأمن على الدين، ففي سير أعلام النبلاء ٢٠٨/١ عن سيدتي أم سلمة رضي الله تعالى عنه: لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفُتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، وأن رسول الله لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان هو في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، مما ينال أصحابه. فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكًا لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا». فخرجنا إليه أرسالًا، حتى اجتمعنا، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا.

❁ وكانت هجرة رسول الله ﷺ - بأمر الله تعالى - أنموذجًا تطبيقيًّا لحركة الهجرة الراشدة، بأحكامها التي سيأتي الحديث عنها بعد: ففي البخاري من حديث سيدتي أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها/ ٢١٣٨: لَقَلَّ يوم كان يأتي على النبي ﷺ، إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، فلما أُذن له في الخروج إلى المدينة، لم يرعنا إلا وقد أتانا ظهرًا، فخبر به أبو بكر، فقال: ما جاءنا النبي ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث، فلما دخل عليه قال لأبي بكر: «أخرج من عندك»، قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، يعني عائشة وأسماء، قال: «أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج». قال: الصحبة يا رسول الله، قال: «الصحبة»!

بناء الدولة وإحياء الإنسان

وقفات مع أحداث الهجرة

الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

لقد عرف العلماء الهجرة بأنها انتقال من أرض إلى أخرى، وفي المصطلح الإسلامي هي: الخروج من أرض الكفر إلى أرض الإسلام. والهجرة من وطن إلى آخر لها ظروف كثيرة تصنعها، فتختلف بحسب الزمان والمكان والأقوام، فمهاجر من أجل دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، أو لقمة عيش يحصلها، أو مكره على الخروج لنشوب الحروب وحدوث الزلازل وغيرها.

وتلك لعمر الله هجرة قاصرة بحسب أهلها ورؤيتهم المحدودة والمكتوبة حتماً لهم، ولكن الهجرة لنصرة الدين وإرادة التمكين هي الهجرة الحقة التي تبنى بها الأجيال، وتتحقق فيها الآمال، وتصقل فيها مواهب الرجال، وتصنع منها خيوط الأمل فتصبح واقعاً كالجبال، ولقد كانت هجرة الأنبياء والرسل أمراً من الله سبحانه وتعالى لتثبيت الرسالة، وإحياء للخليقة من موات الشرك إلى حياة النور، وبذراً في أرض قابلة للحياة، حينما تضيق الجاهلية بالدعوة الوليدة التي تسفه أحلامها، وتنسف أصنامها، وتبطل أحكامها الظالمة الجائرة. فهذا خليل الرحمن عليه السلام من أوائل الصادحين بها ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦] فما أعظمها من كلمة تنسف الهجرة لغير الله تعالى، وتعلق العبد بمولاه.

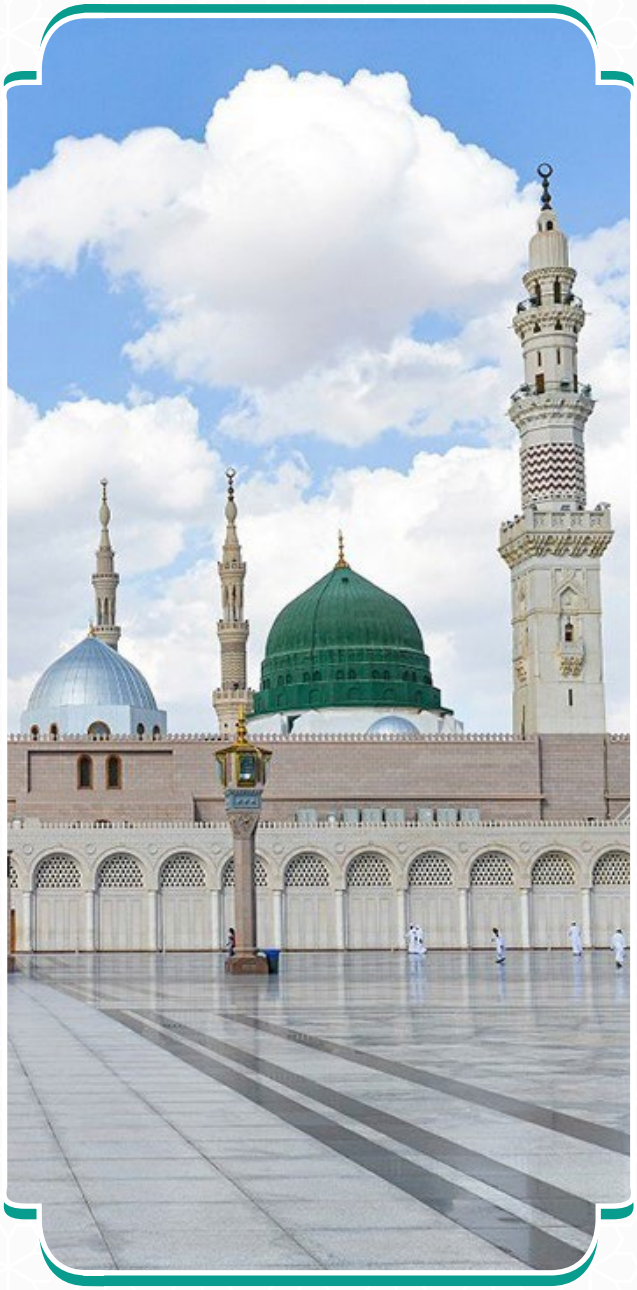

إن الهجرة لله تتسع أمامها آفاق، وتزداد في رحابها أرزاق، وتجتمع حولها خلائق لها فطر نقية، وأذواق راقية. لقد ضاقت أرض مكة بما رحبت أن تضم دعوة النبي ﷺ فاحتاجت الدعوة إلى أرض جديدة تستقبل الهادي المنير، وكان لزاماً أن تبحث الدعوة الوليدة عن كنف لنشرها وصيانتها وتأمينها وحماية أتباعها من بطش الجبارين. لئن كان النبي ﷺ قبل وفاة عمه أبي طالب في منعة من قومه، فإن كثيرا من الصحابة لم يجدوا من يحميهم من بطش آلة الكفر والبغي والاستكبار، فما كان منه ﷺ إلا أن أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لأن فيها ملكاً عادلاً لا يُظلم عنده أحد، ولأن أرضه صالحة لاحتضان المضطهدين، وإن كانت لا تصلح لاحتضان النبي ﷺ لعدة فروق، فهاجروا ووجدوا عنده مأمناً على عقيدتهم، ودينهم، فامتد شعاع النور ليغزو قلب الملك وبعض حاشيته فأسلم، فربحت بذلك الدعوة أرضاً محتملة لبناء الدولة، ولكن جاء الإذن للمدينة لتستقبل خير مهاجر عرفته البسيطة.

ولطالما بحث النبي ﷺ بين قبائل العرب عن قبلية تؤويه وتنصره، ولكن كانت شروطهم لأنفسهم لا لله فتركها، لأن الدعوة تحتاج إلى تجرد وتوحيد من غير شرك النديد، ولم يتقدم للنبي عليه الصلاة والسلام الإذن في الهجرة إلى أرض خارج مكة كرمها الله، اللهم إلا ما كان من خروجه للطائف فما لقي منهم لطائف.

الفئة المباركة

هاهي يثرب تلقي بفلذات أكبادها في رحاب البيت العتيق لتفوز بالنصرة لنبي الإسلام، فلم يكد ينصرم عام من رد أهل الطائف وجفوتهم للهدى، حتى فتح الله قلوب الأوس والخزرج فوافوا النبي ﷺ في العقبة مبايعين له على أن ينصروه ويحموه مما يحموا منه نساءهم وأبناءهم، فهنيئاً لأهل الدار بخير جار، ولقد تدرج معهم الهادي البشير في بيعتهم لتكون الأرض القادمة صلبة البناء تصد كل صنوف العداء، فبايعهم في الأولى على الأخلاق والفضائل والطاعة، فلما كان منهم السمع والطاعة بايعوا على النصرة والجهاد، فوفوا ما عاهدوا الله عليه.

في طريق البناء

خرج عليه الصلاة والسلام مهاجراً واتخذ جميع الأسباب الحسية والمعنوية لنجاح المسيرة، ولتقتدي به الأجيال في الأصال والبكور والظهيرة، واصطحب معه خير صاحب ونصير سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، واحتملوا الزاد واختاروا الدليل والرواحل، وسلكوا سبيلاً لتضليل الطالب، ونيل المطالب، وبذلك كان يشرع ﷺ في كل خطوة ونفَس لأمته عملاً لتقتدي به، وهذا الذي تحتاجه الأمة اليوم من هذه الهجرة المباركة، في رسم خطة جديدة تهجر بها الإفك والعصيان، وتفك عنها الحصار، وتتزود بزاد التقوى، وتصطحب الأخيار لتخرج للعالم بثوب تتجدد معه معالم الدين، فتوقظ الغافلين وتنقذ المضللين من حياض الإسلام السمح الذي يحمل طوق النجاة، ومخارج الفرج من نكد الحضارة البائسة، القلقة المضطربة، الحائرة في دروب الضياع والتيه. فيا لها من هجرة تغنى بها الإنس والجن، والأخضر واليابس، وطربت لخطوها السماء واحتضنتها البسيطة:

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائهِ •• رفيقينِ قالا خيمتِيْ أمّ معبـدِ

هما نزلاها بالهدى، واهتدتْ بهِ •• فقدْ فازَ منْ أمسى رفيـقَ محمدِ

فيا لقصيٍّ مـا زوى اللهُ عنكمُ •• بهِ من فخـارٍ لا يبـارى وسؤددِ

ليهنِ بَنِي كعبٍ مقـامُ فتاتهـمْ •• ومقعـدهـا للمؤمنيـنَ بمرصـدِ

سلوا أختكمْ عن شاتهـا وإنائهـا •• فإنكمُ إنْ تسألـوا الشـاةَ تشهـدِ

هجرة الداعي لخلاص المدعو

إنه من دواعي فقه الهجرة للدعاة اليوم أن يسلكوا طريقاً للهجرة النفسية والروحية، هجرة من الركود والتنازع، إلى الحركة والتآخي، هجرة من التفكك والضياع وكيل التهم، إلى الوحدة والتصافي والتلاحم، هجرة من التصنيف إلى توظيف الرسالة بكل أبعادها، هجرة من المكر والخديعة إلى الصفاء والنقاء والسير خلف ركب الرسل والأنبياء.

هجرة لإنقاذ البشرية من زيغ الإلحاد، وضلال أبرهة في صناعته لدين جديد يجمع بين حناياه الكفر والإيمان، في صورة مقززة تجمع بين عابد البقرة والصليب، وبين المسلم صاحب التوحيد في طهره الرحيب. هجرة ترد الحاكم للشريعة، والمرأة للفضيلة والحياة البريئة، هجرة ترد المعلم لتربية الجيل، والتاجر للنبل والرحمة والرفق الأصيل. هجرة ترد المجتمع من ضياعه، وتوقظه من سباته لحمل الراية، وبناء الحضارة، وترشيد الأجيال القادمة، وتقويم الحاضرة، والاستفادة من الماضية، فيرسو البناء ويثبت الانتماء.

الهجرة وبناء الدولة

«بلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة وقصده المدينة، وكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد حر الشمس رجعوا على عادتهم إلى منازلهم. فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة خرجوا على عادتهم فلما حمي حر الشمس رجعوا. وصعد رجل من اليهود على أطمة من آطام المدينة لبعض شانه فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يتمالك وصرخ بأعلى صوته يا بني قيلة - وقيلة امرأة تنسب لها الأوس والخزرج - هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم - أي حظكم - الذي تنتظرونه».

❁ ووالله لهو نعم الحظ العظيم الذي جعله الله من نصيب الأنصار محياهم ومماتهم.

فبادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله ﷺ، وسُمعت الرجة والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه، وخرجوا للقائه فتلقوه وحيوه بتحية النبوة فأحدقوا به مطيفين حوله والسكينة تغشاه والوحي ينزل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وما إن وطأت قدماه الشريفتان تراب المدينة حتى سارع لتوطيد وإرساء الحقوق المشتركة للتعايش بين الأطراف المتنافرة والمتباينة، فعقد وثيقة تحفظ لجميع الأطراف حقوقها وتحدد مسؤوليتها، وتبين عواقب هدم الوثيقة ونقضها، ثم أسس الجامع لتجتمع القلوب، وتتآخى الأرواح المؤمنة، وليكون مدرسة الحياة وسفينة النجاة في تعليم الناس دينهم، واستقبال الوفود، وعقد ألوية الحق لزهق الباطل حيثما كان في أودية الضلال ما دام الباطل صاداً عن سبيل الله، مانعاً البشرية من ارتشاف رُضاب الدين المعسول.

ثم ثلّث بشراء البئر ليستقل المسلمون في معيشتهم، إذ كانوا أصحاب زروع ونخيل وحيوان، فاشتراها سيدنا عثمان رضي الله عنه بخير منها في الجنان.

وربّع بإنشاء السوق لتكون محلاً لإدارة اقتصاد الدولة الناشئة بعيداً عن جشع اليهود وسماسرة المال، الذين ضاعت أخلاقهم وراء سعار الماديات، كما يفعلون اليوم تماماً، وهل تنسى الأفعى سمها؟ هيهات، ولكننا نحن الذين نسينا أو أُنسينا عبر عجلة تدور آناء الليل وأطراف النهار لتمحو ذاكرة خلصتنا من الاستعباد المادي والروحي، ومن تراث زاخر رفعنا من الحضيض إلى الريادة، فيا ليت قومي يعلمون أننا كنا بعد الهجرة سادة الدنيا وقادتها فأصبحنا نستحي من ماضينا، ونعاديه حباً في رضا الغرب الكافر.

وخمّس بعقد ألوية السرايا ليحصن الدولة الناشئة خشية أن تتخطف في مهدها، كما تفعل المنظمات الدولية في قرصنتها ومحاربتها كل من تسول له نفسه إحياء مجد الأمة وردها لعزتها وحضارتها، وهل الشريعة إلا مصحف يهدي وسيف ينصر؟

إن تلك المعالم عندما ضاعت من واقع أهل الإسلام تحكم في لقمة عيشهم الغريب والقريب، وحينما تاهت بوصلة التربية والتزكية من الجوامع نشأت أجيال مشوهة العقيدة متزعزعة الأخلاق تتقاذفها الشبهات، وتغرقها في حماتها الشهوات، وحينما نضب ماء الحياة من جداولها يبست أغصانها الوارفة وثمارها الطيبة.

لا هجرة بعد الفتح

لقد كان لفتح مكة وقع فاصل بين مرحلتين عاشتهما الدعوة، وقد رفعت صحائف من قاتل وأنفق قبل الفتح حينما كانت الدعوة تسقى بالداء والدموع والآهات والتشريد، والتقتيل والتجويع والحصار، وعندما انتقلت إلى السعة والتمكين والمنعة، فشتان بينهما.. قال تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠].

لقد تغيرت الموازين وحق لها أن تتغير حينما وجدت الدعوة بعد الهجرة أرضاً آمنة مطمئنة، وعصبة مؤمنة تبيع النفوس من أجل دينها رخيصة لإعلاء كلمة الله فتعلو بها في الدارين، حينها انقطع فضل الهجرة، وبدأ عهد البناء وصرح الحبيب ﷺ أنه لا هجرة بعد الفتح، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح، فتح مكة:

«لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استُنفرتم فانفِروا».

أهم العبر من الهجرة

١ أن الحق مهما حوصر فلابد من النصر.

٢ أن الفئة المؤمنة لا ينبغي أن تكبلها قوانين الجاهلية بل لها أن تبحث دائماً عن موطن تمتد فيه، ومن ثم لابد من محاولة التنوع في إيجاد أكثر من حاضنة للمشروع الدعوي.

٣ التنازع وعدم رؤية الهدف مدعاة للذوبان في المجتمعات الجاهلية.

٤ اختيار الصحبة الصالحة الواثقة بنصر الله الآخذة بالأسباب، من أهم الركائز في بناء مجتمع واعٍ بدينه، متمسك بقيمه، متوثب للعطاء دون كلل ولا ملل.

٥ تهيئة الأنصار الصالحين لحمل المشروع في بيئات مختلفة قد يكون من أهم أسباب النجاح.

٦ وأخيراً الثقة بنصر الله ورمي الاتكال على الأسباب مع الأخذ بها سبيل الفوز والفلاح في الدارين.

والله الموفق، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

نحو انطلاقة جديدة لأمتنا

الشيخ حسن قاطرجي

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

تُذكِّرُنا دومًا مناسبة قُدوم عام هجري جديد، بحدث عظيم فريد بنوعه وحجمه وأهدافه في التاريخ البشري، هو حدث الهجرة النبوية المباركة، وبنجاح أعظم نهضة نَعِمت البشرية بهدايتها وآثارها الحضارية لقرون طويلة، في الوقت الذي لا يزال (مشروع النهضة) اليوم - بعد تراجُع المسلمين المُزري - مُلقياً بثِقَل تعثُّره وبالتحدّيات الضّخام في وجهه على كاهل هموم واهتمامات المؤمنين بحتميّة هذا المشروع، وهداية أهدافه وإنسانية منطلقاته، وبواجب حشد الجهود والطاقات لإنجاحه.

وهذا يُوجب على كل المسلمين الغيارى، وفي طليعتهم حَمَلة المشروع النهضوي الإسلامي وهمِّ واقع الأمّة الإسلامية ومستقبلها، ومستقبل الدور الذي كلفها الله به، والذي بتراجُعها المريع عن فهمه العميق وتهيئها له، والسير في رسم مخطط تستعيد بتنفيذه مجدها ونهضتها.. يوجب عليهم التعمّق في تحليل الأسباب، ووضع برامج العلاج والسير بإيمان عميق وعزة قعساء، وبعقلية علمية، وعزيمة حديدية؛ لردم فجوة الخسارة التي خسرتها هي، كما خسرت معها البشرية خسائر فادحة استراتيجية بعدم قيامها به! وقد فصّل صوَر حَجْم هذه الخسارة ومجالاتها المفكّر الإسلامي العلّامة الداعية الإمام أبو الحسن النَّدْوي رحمه الله في كتابه الفذّ: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟»

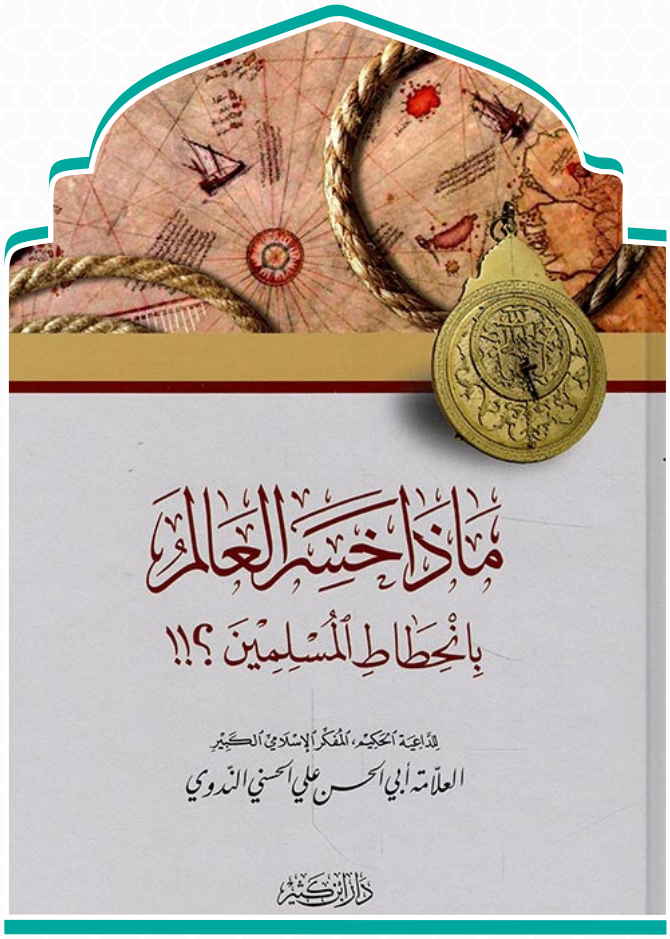

١ ولنبدأ بمعالجة القضية من الحجر الأساس

لا يوجد دين أو فلسفة أو أيديولوجيا تُداني الإسلام - الدين الحق - في اعتنائه بالإنسان، وتحقيق التوازن بين مكوناته وأبعاده، ولا في تفجير طاقاته وإشعاره بدوره العظيم الكريم في الحياة.

وليس هذا بمستغرب أو عصيّ على الاقتناع.. ذلك أن هذا الكون المذهل وسُنَنه الدقيقة هو خَلْق الله العظيم، وهذا الإنسان بتركيبته وطبيعته الطينية، والنفخة العُلوية المركَّب منها، وبرسالته المحدَّدة، اختيار الله جلّ وعلا ومشيئته، وهذا الإسلام هو دينه وتشريعه للإنسان، ليسير على هداه ويحقق هدف وجوده.

ولقد أحدثت بعثتُه المباركة نُقلة هائلة في التعاطي مع الإنسان، واستثمار طاقاته إلى أقصى مدى في كل مجالات الحياة، مع مراعاة التنوّع بين الطاقات البشرية، والتخصُّص الذي يمكن أن يتفوّق به كلُّ واحد بحَسَبِ مواهبه وقُدُراته.. وهذا سرّ آخر من أسرار عظمة الإسلام!

ذلك أن هذا الدين العظيم كما قالت مهتدية إلى الإسلام برتغالية اسمها ماريا جو « Meria Joauo »: «مثل آلة هندسية مفعمة بالألوان، كل جزء فيها يُكمل بتناغم الجزءَ الآخر». وكما عبّر مهتدٍ آخر كان يهودياً

ثم أسلم وهو نمساوي تعمّق في دراسة الإسلام حتى عُدّ من المفكرين المسلمين المهمّين في القرن العشرين وهو د. محمد أسد (ليوبولد فايس سابقاً) في مقدمة كتابه القيّم (الإسلام على مفترق الطرق) فقال: «الذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل والمتناسق الذي لا يمكن وصفُه»!

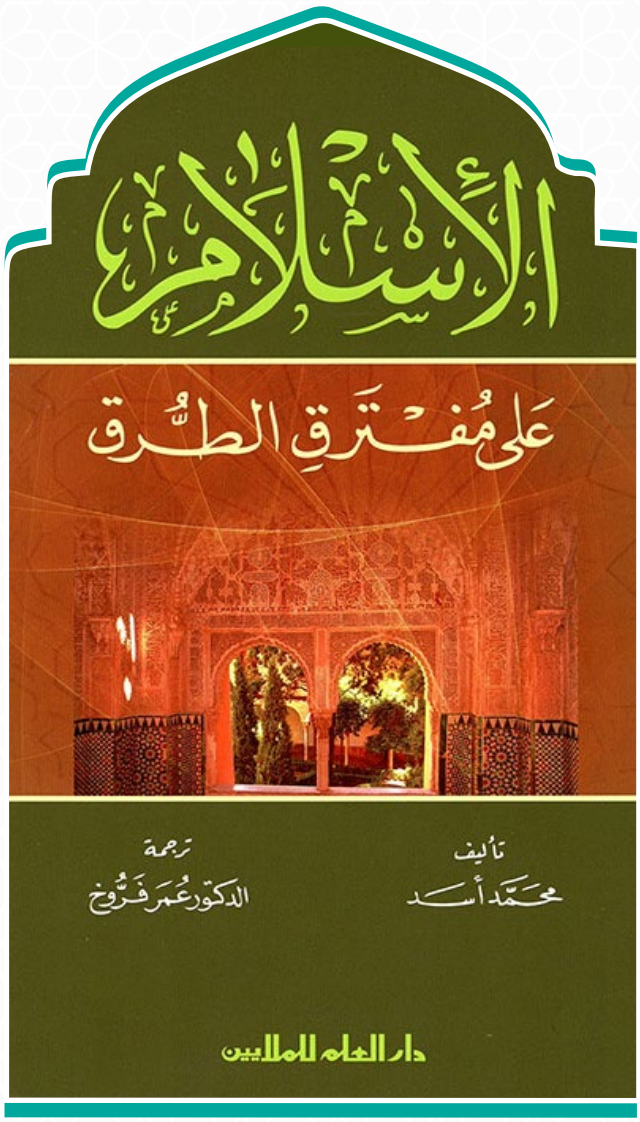

وبعد تراجع دور أُمّتنا وهزيمتها السياسية منذ نحو قرنين، تنصبّ جهود كل الغيارى من النُّخَب المثقفة التي تنطلق من الإسلام عقيدةً وفكرًا، ومن شريعته التزامًا وانضباطًا، ومن غاياته توجُّهًا وأهدافًا، لتستنهضَ طاقات الأُمّة في سياق برامجها النهضوية لإعادة دورها في عالم اليوم وتجديد رسالتها ولن يتم ذلك إلا وَفْق المنطلقات التالية:

٢ فَهم الإسلام

عقيدة وأخلاقاً، منهجًا وتشريعًا، فهماً واضحاً شاملًا للحياة كلِّها، وبالتالي الانتقال في الصلة به من الانتساب الشكلي أو التقليدي أو الطائفي، إلى الانتماء الإيماني الحقيقي والالتزام القانوني والرسالي الفعلي، فالله سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وهو الذي نبّه غاية التنبيه وبالتفصيل إلى أن الانتماء الشكلي والتقليدي لا يدل على صدق التدين والإيمان الحقيقي، وإنما القلب العامر بالإيمان، والبذل عن طيب نفس، وبالالتزام بحُسن الأخلاق وأداء العبادات بروحية مفاعيلها القلبية والسلوكية والاجتماعية، فيكون هذا بمجموعه هو الدليل على فَهم الإسلام حقيقة، وقد جاء هذا التنبيه بقول سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

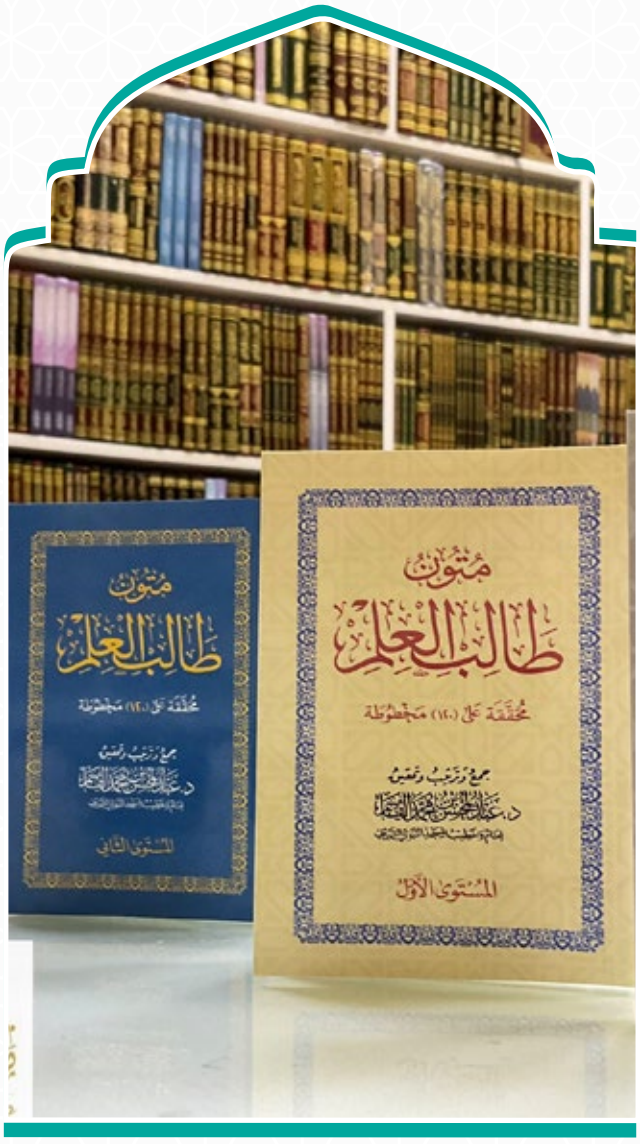

٣ الإقبال عليه دراسةً وتعلُّمًا

على أيدي علماء عاملين موثوقين من منابعه الصافية: القرآن العظيم والأحاديث النبوية الصحيحة والوقائع الثابتة في السيرة المحمدية وفهم الأئمّة المعتبرين في الاجتهاد لتشريعاته، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] وقال الرسول ﷺ: «تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي». [الموطّأ]

٤ الاعتزازُ به

وطرحُه طريقًا وحيدًا لسعادة الإنسان في الدنيا وفَوْزِه في الآخرة، لأنه هُدى الله المُنزَل يتحقق به خَلاص البشرية المعذَّبة من أزمتها الحضارية في عالَم الحروب المدمّرة والصراعات، والإفلاس والأزمات، ومن انحطاطها الأخلاقي وجُمُود مادّيتها القاسية.

ومن دون هذا الاعتزاز، وهذا الإيمان وهذه الثقة، مستحيل أن تُصنَع نهضة لأمّة الإسلام، وأن تُستعاد عزة مفقودة، وبهذا الاعتزاز - مع شروط أخرى - حقق المسلمون الأوائل الوصول إلى مركز الريادة بين الأمّم.. ولنا في موقف الصحابي رِبْعي بن عامر مع رستم قائد الجيش الفارسي الذي كان يُضرَب له ألف حساب أعظم عبرة وأكبر درس!

٥ تعاون وتكامل أدوار الموقنين بدور الإسلام القادم الإنقاذي والحضاري

وذلك لتجميع الطاقات وتوزيعها على جبهات (الصراع الثقافي والحضاري مع الشرّ العالمي) وَفْق مخطط مدروس رائد، خاصة إذا استيقنّا بالحقيقة العظمى التي التفت إليها د. محمد أسد - المذكور سابقاً - رحمه الله: «لا يزال الإسلام بالرغم من جميع العقبات التي خلّفها تأخُّرُ المسلمين أعظمَ قوة ناهضة بالهِمَم». [كلمة نفيسة سطّرها في مقدمة كتابه (الإسلام على مفترق الطرق)].

٦ استعادة الوظيفة الكبرى للأمّة

التي شرَّفَتْها طيلة تاريخها وأعلَتْ مكانتها وميّزتها عن سائر الأمم والشعوب، واللهُ عز وجل هو الذي حدّدها - وليس غيره - بقوله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

هذه الوظيفة هي الكفيلة بإبراز الأمّة الرسالية، بتصدّيها لنشر الهداية بكل طاقاتها وإمكانيّاتها، وبأدوار رجالها ونسائها وسائر شرائحها، وهذا الأمر بالمعروف كله من رأسه وأساسه، وهو معرفة الله بتوحيده وحاكمية شرعه وقانونه، إلى إقامة العدل والتعامل بالرحمة ونشر الخير إلى أقل جزئياته؛ والنهي عن المنكر كله من رأسه وأساسه، وهو الشرك والظلم والطغيان والإجرام والفساد، إلى أقل جزئيات المنكرات، وأضعف الأسباب الجالبة لقساوة الحياة وبؤسها، وللجفاف في العلاقة بين الناس عندما يكون همّهم التسابق إلى التسلّط، وظلم بعضهم، والتكالب على شهوات الدنيا، ولو على حساب أمنهم وسعادتهم.

وبناءً عليه فإن الأُمّة بكل قطاعاتها، وخاصة علماء الدين الأحرار العاملين، والنُّخب المتخصّصة والشباب الواعين - هذه الشرائح التي هي روحُها الوثّابة وحَيَويّتُها المتدفّقة وعزيمتُها الفتيّة - مدعوّة لمضاعفة جهودها، وللمشاركة الفعليّة وبكامل روحها الحماسيّة في ساحات (النهوض الحضاري الإسلامي الجادّ والأصيل) لإنجاح مشروع النهضة العظيمِ النفع لها ولكل البشرية، والله الهادي إلى الخير، ومنه العون لتحقيق هذا وهو وليّ ذلك والموفق إليه.

الهجرة النبوية
المعنى والمغزى

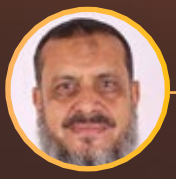

د. عطية عدلان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد..

صحيحٌ أنّه لم يَعُدْ بعد الفتح هجرة، لكنّ الهجرة التي انقطعت بالفتح هي - تحديدًا - الهجرة الحسّية من مكة إلى المدينة، أمّا الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، فهي باقية على الدوام، ما دارت الأيام والأعوام، هاتان حقيقتان ثابتتان، لذلك لا تعارض بين الحديثين، حديث: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ»، وحديث: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ»، وأمّا الهجرة العكسية أو الإقامة في دار الكفر أو التجنس بجنسيتها، فتلك مسائل أخرى، لها مأخذ آخر، ولها تفاصيل تجعل الحكم يختلف من حالة لأخرى، ومن مكان لآخر، ومن زمان لآخر، وغالباً ما تكون خاضعة لقواعد السياسة الشرعية، ومندرجة تحت قاعدة: (لا ينكر اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان)، وليس ها هنا مكانها.

ها هنا الحديث - تحديداً - عن الهجرة التي وقعت في العهد النبويّ بفعل النبيّ ﷺ وصحابته الكرام، والتي انقطعت في جانبها الحسيّ من مكة إلى المدينة، واتصلت بعد ذلك من دار الكفر إلى دار الإسلام، هذه الهجرة - سواء ما انقطع منها أو اتصل - لها جانب معنويّ سرمديّ وأبديّ، لذلك جاء في الحديثين ذِكْرُ أمورٍ عظيمةٍ باقيةٍ، لا تتأثر بانقطاع هذه أو اتصال تلك، ففي الحديث الأول ذُكِرَ الجهادُ والنفير، وفي الثاني ذُكِرَتْ التوبةُ المتجددة، وها كم النصيّن: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[1]، «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[2].

إنّ معنى الهجرة ومغزاها لكبير جليل، وإنّنا لفي مسيس الحاجة إلى استحضار هذا المعنى وهذا المغزى، إنّ الهجرة الدائمة الدائبة؛ من الضعف إلى القوة، ومن التبعية إلى الاستقلال، ومن العبودية إلى الحرية، ومن الخنوع إلى النضال، ومن أغوار الجهل إلى أنوار العلم، ومن العَيّ إلى المواثَبة والمغالبة، ومن الفُرقة والاختلاف إلى الوحدة والائتلاف، ومن اتباع كل نَاعِقٍ إلى اتباع الهدى بوسطيته وربانيته وحنيفيته السمحة؛ إن هذه الهجرة هي المعنى والمغزى، هي الجوهر الذي لا تمثل الهجرة الحسية إلا غلافه الخارجي؛ لذلك كانت التوبة المتجددة هجرة متجددة، وفي الحديث: « وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[3].

لم تكن هجرة النبيّ ﷺ وصحابته إلى المدينة ومِنْ قَبْلُ إلى الحبشة مُجَرَّدَ فرارٍ - ولو بالدِّين من فتنة الكفار والمشركين، بل كانت قبل ذلك هجرة الاستقلال والتمكين، كانت الهجرة من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، من حالٍ حَتَّمَتْ فيه الظروفُ العملَ تحت سقف النظام إلى حال لابد فيه من خرق السقف وتقويض أعمدة النظام.

---

١. متفق عليه، البخاري برقم (٢٧٨٣) ومسلم برقم (١٣٥٣)

٢. رواه أحمد برقم (١٦٩٠٦) وأبو داود برقم (٢٤٧٩) والدارمي برقم (٢٥٥٥) وصححه الألبانيّ راجع صحيح الجامع برقم (٧٤٦٩)

٣. رواه البخاري برقم (٦٤٨٤)

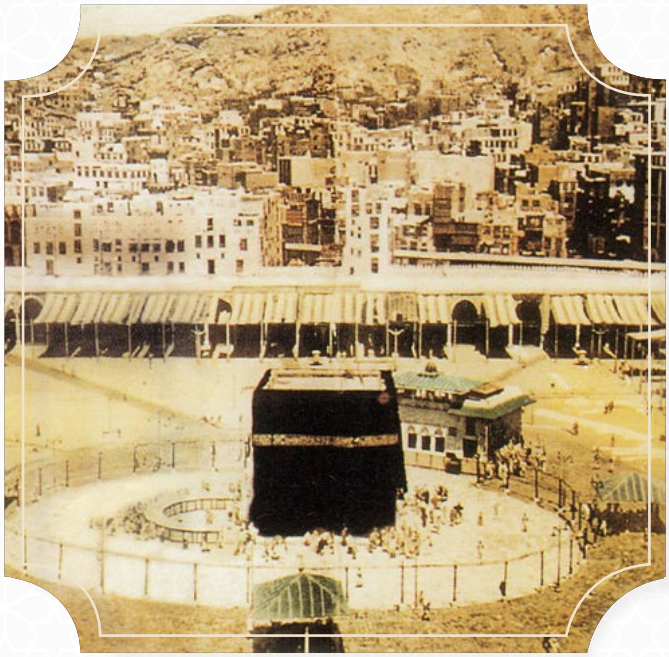

والذي يراجع سيرة النبيّ ﷺ قبل الهجرة، وكيف كان يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج من كل عام، يعرف كَمْ كانت إرادتُه متوجهةً بإصرارٍ صوبَ التغيير، بل إنَّ من تأمّل السُّوَرَ القرآنية التي كانت تنزل قُبَيْل الهجرة - كَسُوَرِ القصص ويوسف ويونس وهود والإسراء والكهف وغيرها - لوجدها تهيئ الأمة المسلمة للانتقال والتحول من حال الاستضعاف إلى حال التمكين، هكذا يجب أن تُولَدَ فِينَا الإرادةُ، إرادةُ الخلاص، إرادةُ التحول، إرادةُ التغيير.

ليس معقولاً أن نظل هكذا أبد الدهر: ندعو ونربي ونبني الجيل، ثم لا يلبث هذا الجيل بعد أن اشتد عودُه واستوى على سوقِهِ أن يعدو عليه السبع فيلتهمه من بين أيدينا، ويبدده في المتاهات المهلكة، إمّا في السجون والمنافي، وإمّا في أزقة الشهوات والشبهات، ثم نعاود الكَرة ونبدأ من أول السطر؛ ليعاود السبع الكرة هو الآخر فيلتهم ويزدرد وهو مُنْتَشٍ بما يصنع، لابد أنّ هناك خللاً كبيراً، آن لنا أن نعرف أين الخلل، وأن نرتب لهجرة بذلك المعنى وذلك المغزى، هجرة إلى العزّ والمنعة وإلى الفعل لا رد الفعل.

لقد كانت سورة القصص من السور التي نزلت لتهيئ المسلمين للتمكين، واستهلت بهذه البشرى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، وما إن انقضت البشرى حتى جاء بعدها الخبر بالرحيل المبكر من المواراة والمداراة، إلى المواجهة والوقوف على الخط الساخن، فها هو الرضيع الذي سيناط به التغيير تزج به العناية الإلهية في وقت مبكر؛ ليدخل القصر وهو لا يزال في المهد، وليكون للطغيان عدواً وحزناً: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]، بينما كانت أحلام أمّه متعلقة بما وراء القصر من السلامة والدعة والسكون.

وتحكي لنا سورة يوسف كيف مكنت العناية الإلهية ليوسف في الأرض، وكيف خطت له طريق العلو والرفعة بالاستعلاء على الفتنة بكل صنوفها وكافّة أشكالها، لتقع بهذا الاستعلاء الإيماني معجزة ثورية يكفي لإدراك مداها بالمقارنة بين حال يوسف وآل يعقوب قبل الهجرة إلى مصر وبعده، والمقارنة أيضاً بين حال

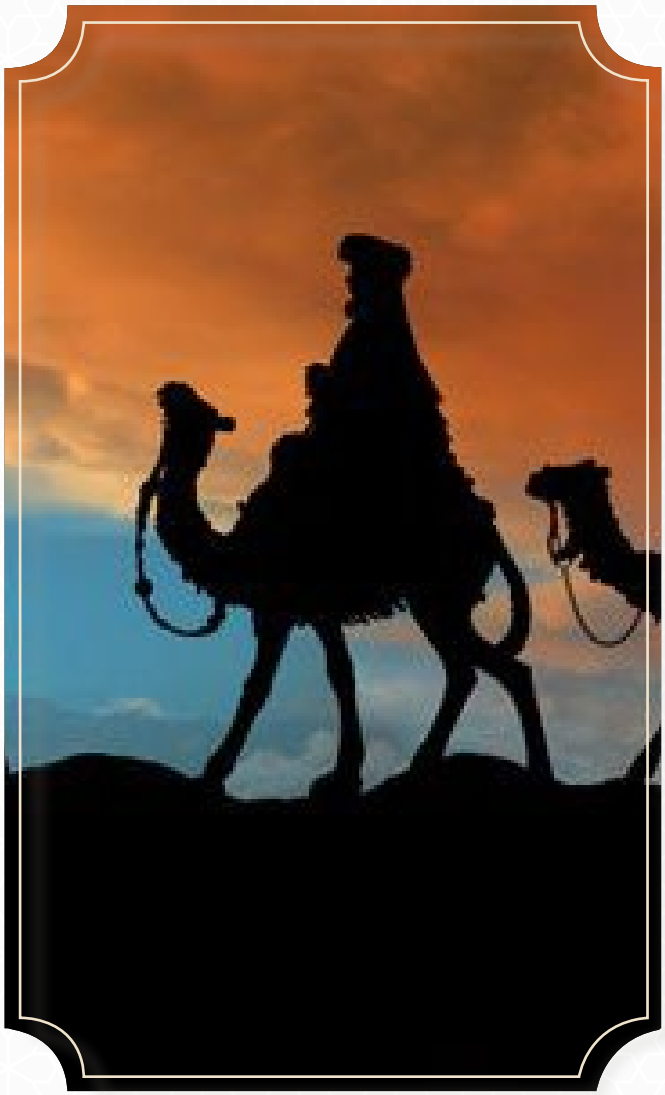

أهل مصر قبل أن يفد عليهم يوسف عليه السلام وحالهم بعد أن مكّن الله تعالى له، بينما استعرضت هود مصائر الغابرين استعراضاً يشي بقرب هلاك كل طاغية وتصرم بنيان كل طغيان.

أمّا الإسراء والكهف فتتجاوزان بالفئة المؤمنة المستضعفة في مكة حدود ذلك القبو الضيق الذي لا يُرَى فيه أبعدَ من تلك الجبال الراسية التي تحيط بأمّ القرى إحاطة الأسوار بالسجون المغلقة، تتجاوزان بالفئة المؤمنة حدود الحاضر المغلق إلى آفاق المستقبل الرحيب، حيث الهجرة في طلب العلم ولو مضى المهاجر في سبيله حُقُباً، وحيث التمكين شرقاً وغرباً لمن سيؤتيهم الله عز وجل من كل شيء سَبَباً، وحيث لا يلبث الطغيان بعد أن يستفز أهل الإيمان من أرضهم وأوطانهم إلا قليلاً.

إذَن، فنحن بحاجة إلى هذا النوع من الهجرة قبل كل شيء، ولكي يتحقق لنا هذا لابد من توافر الإرادة والعزيمة، فإنّ الإرادة سابقةٌ لكل أمرٍ ذِي بالٍ يكون فيه صلاحُ الحال، لقد كانت الهجرةُ النبويةُ الحدثَ الأبرزَ، والأكثرَ أثراً في مسيرة الأمّة الإسلامية في صدرها الأول؛ إذ كانت الجسرَ الذي عبر عليه الجيل الأول من حال الذل والاقتهار إلى حال العزّ والاقتدار، ولا يزال الحدث إلى اليوم والغد ملهماً وباعثاً.

فكيف يمكن أن نوظف هذا الإلهام من أجل إحياء الأمة وبعثها من جديد؟ لتنتقل في زماننا هذا من حال التبعية والاستبداد، إلى حال الاستقلال والرشاد؟

هذا هو السؤال الأجدى من بين الأسئلة التي تطرح نفسها على بساط الذكرى السنوية التي نحييها في رأس السنة الهجرية.

دور المرأة في الهجرة النبوية

د. رغد محمد ديب الجاجي

أمينة سر لجنة المرأة في الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

•• منذ اليوم الأول للبعثة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، كان لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها دورٌ مهم في تحديد مسار الهجرة النبوية، حين هدّأت من روع زوجها خاتم الأنبياء محمد ﷺ، واحتوت خوفه وحيرته، ثم حين ذهبت به إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل، ليروي له ما جرى مع جبريل عليه السلام، ليقدِّم ورقةُ بدوره له المشورةَ والنصح، ويخبره بما سيكون من إخراج قومه له.

وحين وقعت الهجرة، برز دور المرأة المسلمة ممثلة بأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، التي كانت من السابقات للإسلام، وأسلمت عن عمر لا يتجاوز الرابعة عشرة، وقد تشرّفت بلقب (ذات النطاقين) ببركة الهجرة النبوية، يوم شقّت خمارها نصفين، نصفاً تربط به زاد رسول الله وصاحبه، ونصفاً تختمر به، فدعا لها الرسول ﷺ بقوله: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة».

ومع صغر سنها كانت تقوم في جوف الليل بعيداً عن أعين قريش، قاطعة نحو ثلاثة أميال يومياً لإيصال الزاد والماء للنبي الكريم ﷺ وصاحبه، بعد أن تخففا من ذلك في سفرهما.

لقد جعل النبي أسماء وأختها عائشة رضي الله عنهما موضع ثقته وسره، ولم يخشَ منهما على أمر الهجرة، وهي أعظم حدث في تاريخ الإسلام، وحين أصرّ أبو جهل على سؤال أسماء رضي الله عنها عن وجهة النبي ﷺ وصاحبه بعد خروجهما من مكة المكرمة، تمسكت بالصمت ورفضت البوح بالسر على الرغم من لطمه لها، رضي الله عنها.

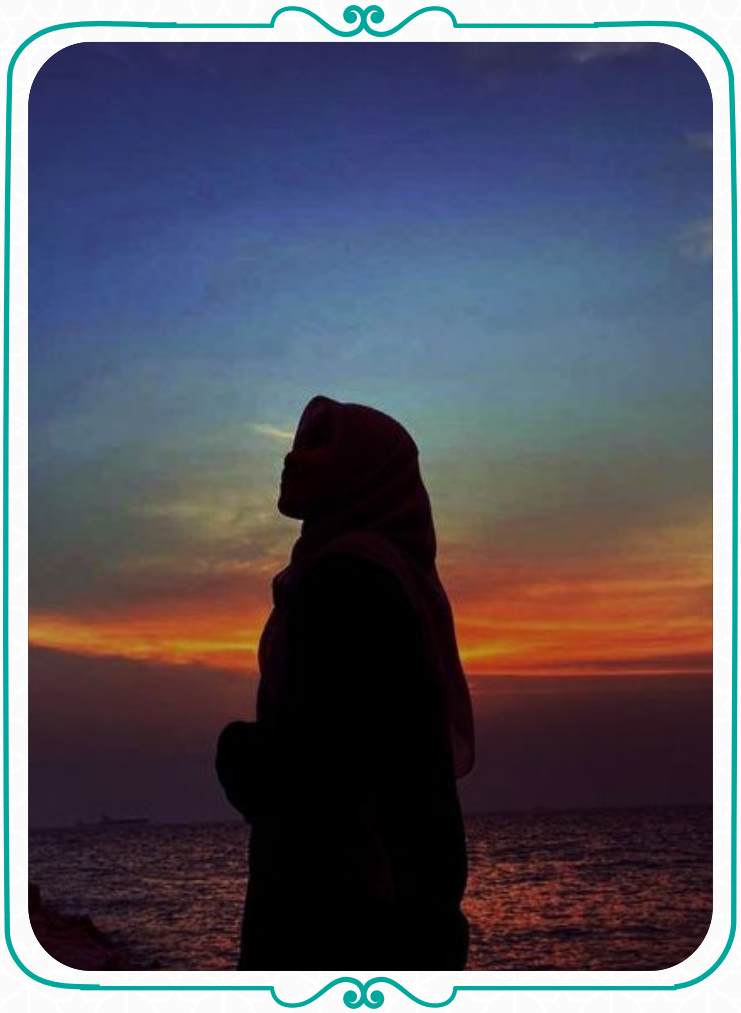

ولما خرج الصديق مهاجراً مع النبي الكريم ﷺ أخذ معه ماله كله، ومقداره ستة آلاف درهم، ولم يترك لعياله شيئاً، فعلم والده أبو قحافة برحيله، وكان ما يزال مشركاً، فجاء إلى بيته وقال لأسماء: «والله إني لأراه قد فجعكم بماله، بعد أن فجعكم بنفسه» فقالت له: «كلا يا أبتِ! إنه قد ترك لنا مالاً كثيراً»، ثم أخذت حصى ووضعته في الكوة التي كانوا يضعون فيها المال، وألقت عليه بثوب، ثم أخذت بيد جدها - وكان مكفوف البصر - وقالت: «يا أبتِ، انظر كم ترك لنا من المال». فاطمأنّ الشيخ. وقد أرادت أن تسكن نفسه فلا يحزن، كما أرادت ألا تجعله يبذل لها شيئاً من ماله، مخافة أن يكون لمشرك فضلٌ عليها.

وينبغي ألاّ ننسى دور رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف، وهي أم مخرمة ابن نوفل، الصحابية الفاضلة التي بلغت من العمر عتياً، حيث تجاوزت المائة عام، لقد حذرت رسول الله ﷺ من مؤامرات قريش وخبثها في ليلة الهجرة، حيث قالت له: «إنّ قريشاً قد اجتمعت تريد بياتك الليلة»، فكان أن أوصى بأن ينام ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراشه.

وقبل هذا كان للمرأة المسلمة دور بارز في الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة، حيث كان عدد نساء الهجرة الأولى إلى الحبشة أربعة من أصل ١١ شخصاً، وفي الهجرة الثانية للحبشة شكلت المرأة خُمس عدد المهاجرين، وكانت أم سلمة من أوائل الذين عزموا على الهجرة مع زوجها أبي سلمة المخزومي. أما أمّ كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها، فقد كانت أول من هاجر من النساء، ولا تُعرف قرشيةٌ خرجت من بين أبويها مسلمةً مهاجرةً إلى الله ورسوله إلا هي.

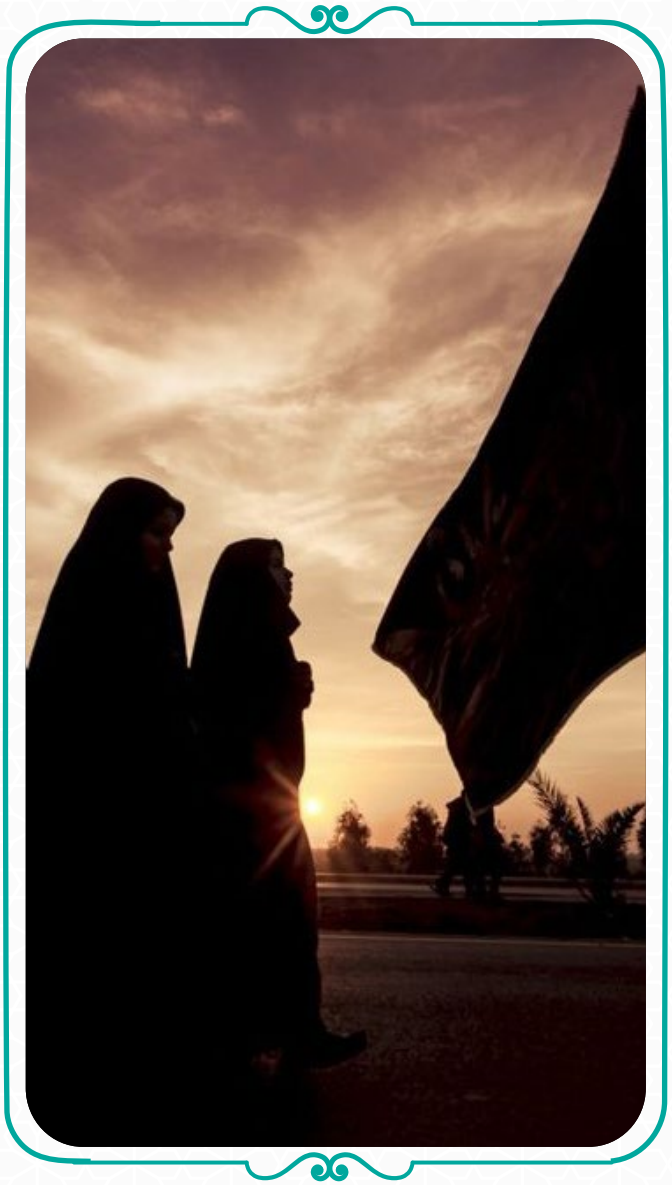

وحين كان رسول الله ﷺ يلتقي الخزرج في العقبة الأولى والثانية كانت النساء جزءاً أصيلاً من المبايعين والمبايعات له، فكان على رأسهم الصحابيتان: نسيبة بنت كعب المازنية، وأم منيع أسماء بنت عمرو السلمية، اللتان لعبتا دوراً مهماً في إدخال الإسلام إلى بيوت المدينة المنورة.

وفي طريق الهجرة كان للمرأة المسلمة دور لم يحظَ به حتى الرجال، يوم تشرّفت أم معبد بالإسلام حين التقت النبي ﷺ وقدمت له شاة ليذبحها، فمسح ضرعها، حتى حلت فيه البركة بعد أن جف، فملأ عدة أكواب. ومع وصول النبي ﷺ إلى المدينة رأينا كيف استقبل أبو أيوب الأنصاري النبي ﷺ في بيته، وكيف فرحت معه أم أيوب بضيفهما، إذ سعت لتوفير ما تستطيعه وتقدر عليه من أساليب الراحة.

"إنَّ دور المرأة المسلمة في الهجرة ليس بجديد، فإن الهجرة ودور المرأة فيها يعود إلى زمن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ودور السيدة هاجر، التي لها من اسمها نصيب في الهجرة، وهجر الشرك وأهله، فكانت هجرتها الى الموضع الذى وصف بأنه غير ذي زرع، فكانت نموذجاً وقدوة لكل نساء العالمين."

وفي هذه الأيام الفضيلة التي تستذكر فيها أمر الهجرة، وما كان من نصرة الصحابيات للدعوة، وهي أيام شاعت فيها هجرة المسلمين من بقعة إلى أخرى، إما بحثاً عن ملاذ آمن، أو هرباً من بطش حاكم، أو طلباً للرزق، فإننا نذكّر المرأة بدورها البارز في تثبيت أمر الدعوة، وقدرتها على مساعدة الرجل، وموقفها المطلوب للوقوف إلى جانب الحق، والذود عن المظلومين، وتنشئة أبنائها على هدي كتاب الله وسنة نبيه، وتذكيرهم على الدوام بالهدف الذي يحيا المرء لأجله، ألا وهو عبادة الله وحده، مهما تبدلت الأماكن، وتغيرت البلاد.

ولا يزال للرجل والمرأة شرف الهجرة بهجران الباطل وأهله، والشرك وشيعه، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، أما نحن في هذا العصر فإن كنا قد حُرمنا نصرة النبي الكريم ﷺ والهجرة معه، فأمامنا بابٌ عظيمٌ لنصرته والذبّ عنه، والتعريف بهجرته وسيرته العطرة، ولعل الباب الذي فتحته لنا جميعاً الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ فصلٌ مهمٌ في الحياة معه على مدار الساعة.

تواضع العظماء

بل عبدًا رسولاً

د. بسام محمد صهيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

طبيعة الملك والسلطة تفرض على صاحبها نهجاً وسلوكاً يختلف عن بقية الناس، فترى الملوك والسلاطين لهم ترتيبهم الخاص في تعاملهم مع من حولهم، فعندهم الحراس والبوابين، والوزراء والخدام، فلا يصل إليهم عامة الناس إلا ما ندر، وهذا عرف قديم جرى العمل عليه في كافة المجتمعات.

إلا أن هناك ثمة شخص يختلف عن بقية الملوك والرؤساء والزعماء، إنه سيد الخلق ﷺ، الذي كان نبياً رسولاً، وحاكماً وخليفةً على المسلمين، ومع أنه كان باستطاعته ﷺ أن يكون له المال والقصور وأبهة الملك، إلا أنه اختار أن يكون عبداً رسولاً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق، قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، أفملكاً نبياً يجعلك، أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبداً رسولاً»[1].

الرسول الأكرم لم يتخذ زياً ولا لباساً يميزه عن بقية الناس

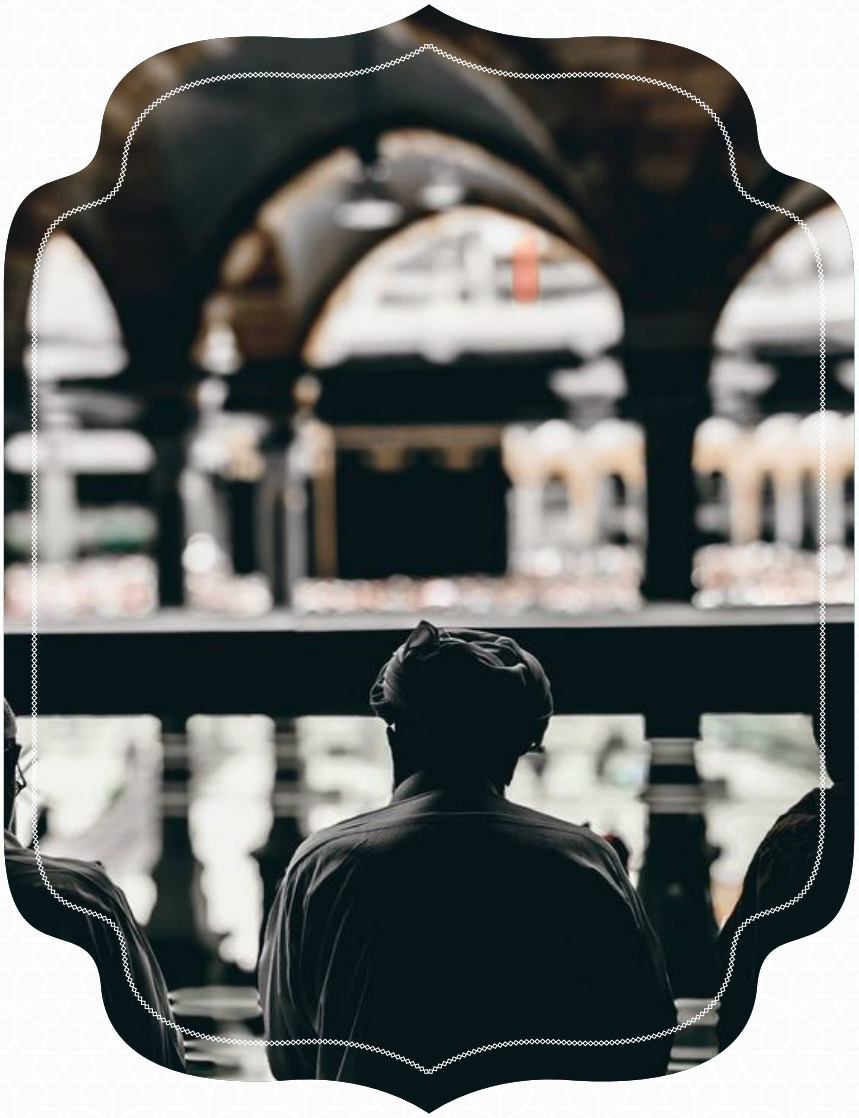

كانت عادة الملوك والسلاطين أن يلبسوا التيجان والملابس الفاخرة، التي تميزهم عن بقية الناس، وكانت لهم العروش والقصور المزينة، أما سيد الخلق صلوات ربي وسلاماته عليه لم يكن له لباس يميزه عن بقية الناس، ولا ثوب مختلف، ولا تاج مرصع، إنما كان كواحدٍ من المسلمين في لباسه، يلبس كما يلبسون، ويجلس كما يجلسون، حتى إن الغريب الذي لم يلتقه سابقاً، لا يعرفه ولا يميزه من بين جلسائه وأصحابه.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: ابن عبد المطلب ؟ فقال له النبي ﷺ: «قد أجبتك»... الحديث[2].

---

١. مسند أحمد ط الرسالة (١٢/ ٧٦) رقم ٧١٦٠.

٢. صحيح البخاري - البغا (١/ ٣٥) رقم ٦٣.

"فهذا الرجل الغريب دخل إلى مجلس النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فلم يجد عرشاً ولا كرسياً، ولا علامةً تميز النبي ﷺ، ولا حرساً ولا خدماً حوله، فسأل عنه، وهو موجود في المسجد ﷺ."

كما جاء أيضاً عن ابن شهاب الزهري: أخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم[٣] من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك[٤].

فهؤلاء الذين لم يكونوا رأوا النبي ﷺ لم يعرفوه، لأنه لم يكن يرتدي لباساً يميزه، واتجه الناس إلى أبي بكر الصديق يسلمون عليه يظنون أنه رسول الله، بسبب وجود شيء من الشيب فيه.

لم يتخذ الرسول الأكرم ﷺ قصراً

لم يكن للنبي ﷺ قصر كسائر قصور الملوك، ولا ترفه في المسكن، إنما كان بيته من أبسط البيوت، وأبعدها عن الترف.

---

٣. الأطم بالضم: بناء مرتفع، وجمعه آطام. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٥٤).

٤. صحيح البخاري - البغا (٣/ ١٤٢١) رقم ٣٦٩٤.

جاء في حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فذكر مثله، فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني قال أذن لك رسول الله ﷺ، فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير[٥] ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من أدم، حشوها ليف، فسلمت عليه، ثم قلت وأنا قائم طلقت نساءك؟ فرفع بصره إلي فقال:(لا)... فتبسم أخرى، فجلست حين رأيته تبسم، ثم رفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة[٦] ثلاثة، فقلت ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وُسّع عليهم وأُعطوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً فقال: «وَ في شكٍ أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»[٧].

طعامه ﷺ

وإن مما يميز الملوك والزعماء أن لهم موائدهم العامرة، وطعامهم المنتقى، فيتفننون بانتقاء أطايب الطعام، وأعذب الشراب.

أما سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه كان يأكل كما يأكل عامة الناس، بل يجوع كما يجوع الفقراء في كثير من الأحيان، فقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقلت يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا[٨].

---

٥. الرمال: ما رمل أي نسج... المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف، ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٦٥).

٦. الأهب- بضم الهمزة والهاء وبفتحهما- جمع إهاب وهو الجلد وقيل إنما يقال للجلد إهاب قبل الدبغ فأما بعده فلا. ينظر :النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٣).

٧. صحيح البخاري - البغا (٢/ ٨٧١) رقم ٢٣٣٦.

٨. صحيح البخاري - البغا (٢/ ٩٠٧) رقم ٢٤٢٨.

الرسول الأكرم يزور عامة الناس ويأكل من طعامهم

كان ﷺ يلبي دعوة عامة الناس، ميسور الحال وغير الميسور منهم، وأصحاب الجاه وغير أصحاب الجاه سواء عنده في تلبية الدعوة والعناية، إكراماً لهم، وتواضعاً منه صلوات ربي وسلاماته عليه.

فعن أنس بن مالك: أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه ثم قال: « قوموا فلأصل لكم». قال أنس فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف[٩].

فالداعية له ﷺ هي امرأة عجوز، متواضعة الحال، حصيرها قد أسود من كثرة الاستخدام، وتطاول الوقت عليه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: إن خياطا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس ابن مالك فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزا ومرقا فيه دباء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة، قال فلم أزل أحب الدباء من يومئذ[١٠].

فهذا خياط غلام عند النبي ﷺ، يدعوه إلى شيء من الطعام فيجيبه صلوات ربي وسلامه عليه، تطيباً لقلبه وجبراً لخاطره.

قمة التواضع مع قمة العظمة

وهذا هو تواضع العظماء في مواقفهم، وخلقهم، ومعاملتهم مع الناس، والأحاديث والقصص في هذا الموضوع كثيرة، لم نقصد استقراءها كلها، إنما قصدنا الإشارة إلى بعضها، وقد يظن بعض الناس أن هذا التواضع شيء سهل على أصحاب المناصب العليا، وليس الأمر كذلك بل هو من أصعب ما يروض المرء نفسه عليه، وهذا ما نراه ونلمسه فيمن يتولى حتى المناصب الصغيرة، لكن ما يختلف عند الرسول الأكرم صلوات ربي وسلاماته عليه أنه كان سجيةً وخلقاً متأصلاً، لأن الله تعالى صنعه على عينه، وأدبه أحسن تأديب، فكان قمة التواضع مع قمة العظمة، وكان عبداً رسولاً.

٩.صحيح البخاري - البغا (١/ ١٤٩) رقم ٣٧٣.

١٠.صحيح البخاري - البغا (٢/ ٧٣٧) رقم ١٩٨٦.

التخصص بنصرة النبي ﷺ

الشيخ عبد الله الطبلوهي

باحث شرعي درعمي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛

تميزت أمة الإسلام بعظم حبها للنبي ﷺ، وحرصها الكبير على الوفاء ببعض حقه عليه السلام، وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم أعظم الأمة أدبا معه عليه الصلاة والسلام يتسابقون ليختص كل منهم بمنقبة من مناقب خدمته الشريفة؛ فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يتخصص بحمل نعلي النبي ﷺ ووسادته وإناء الوضوء، يقول عنه أبو الدرداء رضي الله عنهما: «أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة» رواه البخاري.

وربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه، يقول: «كنت أبيت عند باب النبي ﷺ، فأعطيه وضوءه» هذا لفظ الترمذي وأصله في صحيح مسلم.

وأنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: «كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته، أجيء أنا وغلام، معنا إداوة من ماء، يعني يستنجي به» متفق عليه.

وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه يحرص أن يكون بواب رسول الله ﷺ، فيقول: «جلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم» متفق عليه.

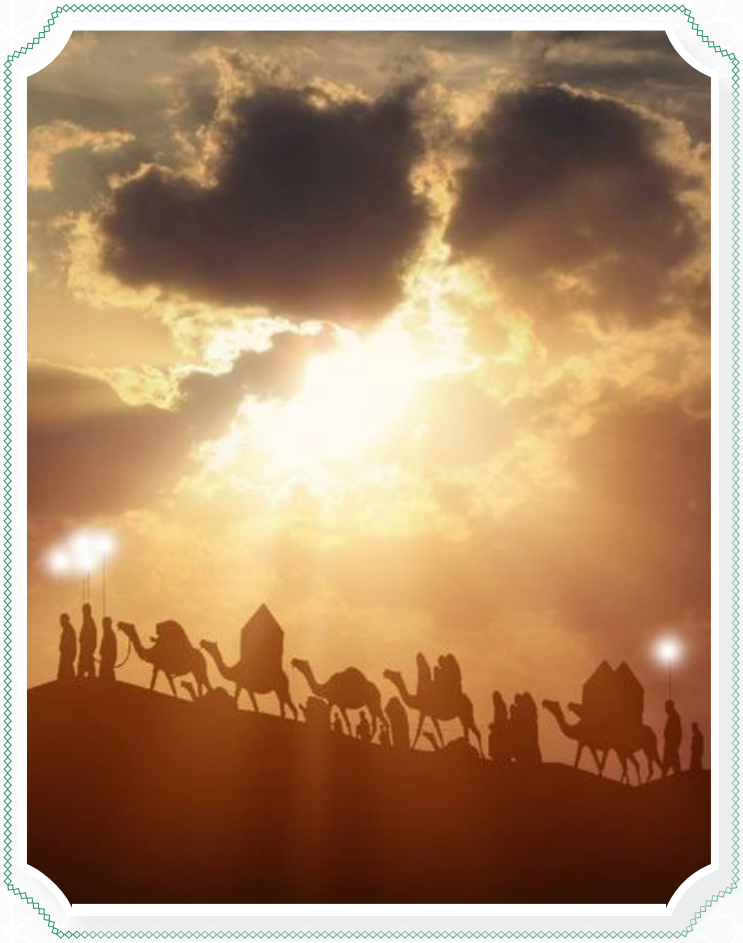

والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يختار الإمساك بلجام بغلة النبي ﷺ، قال: «فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ» رواه مسلم.

وأسامة وبلال رضي الله عنهما يتنافسان في خدمة النبي ﷺ في حجة الوداع، فعن أم الحصين رضي الله عنها، قالت: «حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرأيت أسامة وبلالا، وأحدهما آخذ بخطام ناقة النبي ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر» رواه مسلم.

وهكذا كانوا يتسابقون في الشرف ويتخصصون بأنواع الخير، فبلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ، وأنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ، وحسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر رسول الله ﷺ، ومعاذ بن جبل رسول رسول الله ﷺ إلى اليمن، وأبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ على الأمة..

لذا فإن التخصص بنصرة النبي ﷺ وظيفة سامية لها مكانتها عند الله جل وعلا وعند الناس، وما أجمل قول الراوي: «فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ» رواه البخاري، إنهم حرس رسول الله ﷺ، عُرفوا بهذا الوصف الشريف لعملهم الشريف.

معنى التخصص بنصرة النبي ﷺ:

«يقال: تخصَّص فلان بالأمر واختص به، إذا انفرد به، وخَصَّ غيرَه واختصه ببره» [تهذيب اللغة]، فتخصص تتعدى بالباء وشاع في العصر الحديث استعمالها متعدية بفي «يُقَال: تخصص فِي علم كذا، قصر عليه بحثه وجهده» [المعجم الوسيط].

«والنصرة: حُسن المعونة» [تهذيب اللغة]، و «نصرة الأنبياء هي المدافعة عنهم، والذب عن دينهم، وتعظيمهم وتوقيرهم» [تهذيب اللغة].

- فالتخصص بنصرة النبي ﷺ هو: أن يغلب على المرء الانشغال بحسن الدفاع عن النبي ﷺ والذب عن دينه تعظيما وتوقيرا.

- وقد يكون هذا الانشغال والتخصص طيلة الحياة فيتخذ المرء نصرة النبي ﷺ ثغره الذي يلازمه في هذه الدنيا، وقد يكون التخصص زمانيا أو مكانيا فيتفرغ المرء لهذه النصرة في زمان أو مكان ما على إثر بعض الأحداث ويبذل جهده في تلك المعركة إلى أن تنتهي فصولها وأحداثها فيعود بعد ذلك لثغوره المتنوعة؛ فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر الرسول ﷺ متخصصا بنصرة النبي ﷺ في هذا الثغر إلى حين وفاته، أما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء رضي الله عنهما فإنهما تخصصا واختارا في معركة بدر نصرة النبي ﷺ من أبي جهل حتى نالا مرادهما، يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين

من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه» متفق عليه.

• والتخصص لا يعني ترك بقية الواجبات، ولا إهمال الثغور المهمة، ولكنه يعني التركيز والعناية بهذا الثغر أكثر من بقية الثغور طالما لم يظهر ما هو أوجب على المرء وآكد، مع أخذ قسط مما أمكن من بقية الثغور ليكون ممن (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [المؤمنون : ٦١].

• وقيام ثلة من الأخيار بالتخصص بنصرة النبي ﷺ ولزوم ثغورها وبذل المحيا والممات في هذا السبيل، لا ينفي وجوب النصرة على بقية الأمة، كما قال تعالى: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) [آل عمران : ٨١] ، فإن هذه النصرة العامة تتعدد أنواعها وصورها ووسائلها، ويتفاوت الواجب من أنواع تلك النصرة على كل شخص حسب الزمان والمكان والقدرة وغير ذلك..، ولكن تخصص ثلة من الأمة يقوم ببعض فروض الكفاية عن الأمة؛ فيرفع عنهم بعض الحرج، ويسر عليهم القيام ببعض ما وجب عليهم من تلك النصرة.

فوائد التخصص بنصرة النبي ﷺ:

انشغال المرء بنصرة النبي ﷺ وجعل ذلك أولوية في حياته حتى يصبح متخصصا بها، تحقق فوائد عديدة منها:

• إتقان المهمة؛ لأن الملازمة تكسب المرء الخبرة اللازمة في عمله.

• مضاعفة الإنجازات؛ فتكرر المواقف والأحداث المتشابهة، يمكن معه استدعاء أساليب وأدوات جاهزة مسبقا أفادت في المواقف والأحداث السابقة بسرعة وإتقان أكبر.

• سد الثغور التي تغيب عن أكثر الناس؛ حيث إن المتابعة المستمرة توقف المرء على الثغور التي أصابها الإهمال وتحتاج إلى من يسدها.

- الانشغال بالأولويات، فالواجبات كثيرة والأعمار قصيرة، وكلٌّ ميسر لما خلق له، فمن كان تيسيره لنصرة النبي ﷺ وبذل الجهد في ذلك فقد وفق للعمل في معالي الأمور.

- تعبيد الطريق لمن يريدون نصرة النبي ﷺ، ودلالتهم على أفضل الوسائل المتاحة، وأهم الثغور اللازمة، وخطوات النجاح، ونتاج الخبرة المتحصلة عند المتخصصين.

آداب المتخصصين بنصرة النبي ﷺ:

نصرة النبي ﷺ مسؤولية كبيرة وأمانة عظيمة وثغر من أهم ثغور الإسلام، وللصادقين في هذا الثغر صفات منها:

- الإخلاص والمتابعة، فهما شرطا قبول العبادة، ومنها عبادة نصرة النبي ﷺ، والإخلاص والمتابعة درجات وأنصار النبي ﷺ أحرص على الرقي في درجات الكمال فيهما، لأنه كلما زاد فضل العبادة زاد فضل شروطها وأركانها.

- استشعار عظم المسؤولية: فإن نصرة النبي ﷺ نوع من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى الذي هو ذروة سنام الإسلام وفيه تحديات ومشاق وابتلاءات، ولكنها مشاق تهون في سبيل الله تعالى على المتوكلين على الله جل وعلا المتأسين بالأنصار رضي الله عنهم الذين قاموا في بيعة العقبة الثانية ليبايعوا النبي ﷺ على نصرته، فقال لهم أسعد بن زرارة رضي الله عنه: «رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة، فبينوا ذلك، فهو أعذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدا» رواه أحمد.

- اليقظة وبذل الوسع واستفراغ الجهد، فهي أمانة مضاعفة تحملها من تخصص في هذا الثغر العظيم، فليس الأمر أماني عاجزة ولا أحلام يقظة عابرة، بل يضع أنصار النبي ﷺ نصب أعينهم قول النبي ﷺ لأنس بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه عندما حرس المسلمين ليلة حنين: «لا نُغَرَّنَّ مِن قِبلك» رواه أبو داود.

فالصدق الصدق في نصرة النبي ﷺ فإن من صدق الله صدقه الله جل وعلا، ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة : ١١٩].

والحمد لله رب العالمين.

أئمة الهدى

(قَد أَبلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ ربهم)

من تراث علمائنا الراحلين

طلائع الهجرة — الشيخ محمد الغزالي — ٦٩

من دروس الهجرة — الشيخ عبد الحميد كشك — ٧٦

الهجرة من أجل لا إله إلا الله — الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز — ٨٤

هجرة النبوّة من مكة إلى يثرب — الشيخ محمد البشير الإبراهيمي — ٨٨

المقصد العظيم من الهجرة النبويّة — الشيخ محمد الطاهر بن عاشور — ٩٢

التهيئة لمباحثات قيام الدولة — الأستاذ منير الغضبان — ١٠٠

تأملات في الهجرة — الرئيس علي عزت بيجوفيتش — ١٠٨

ثلاث عشرة سنة للنبوة في مكة — الشيخ محمد سليمان سلمان المنصورفوري — ١١٤

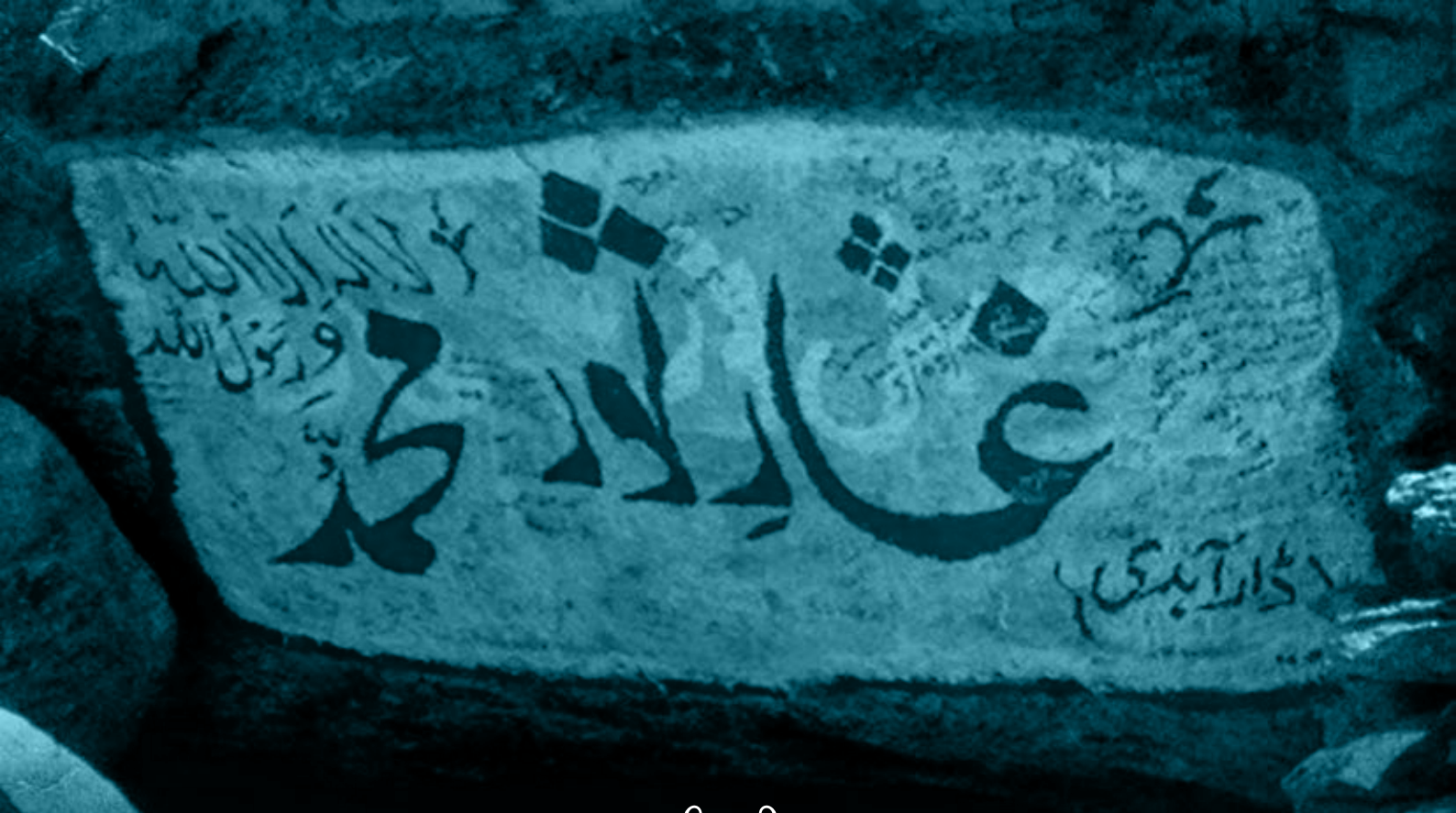

طلائع الهجرة

فضيلة الشيخ محمد الغزالي*

رحمه الله

إن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة، هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له، وقد تنادى المسلمون من كل مكان: هلموا إلى يثرب!

فلم تكن الهجرة تخلصاً فقط من الفتنة والاستهزاء، بل كانت تعاوناً عاماً على إقامة مجتمع جديد، في بلد أمين. وأصبح فرضاً على كل مسلم قادر أن يسهم في بناء هذا الوطن الجديد، وأن يبذل جهده في تحصينه ورفع شأنه، وأصبح ترك المدينة - بعد الهجرة إليها - نكوصاً عن تكاليف الحق، وعن نصر الله ورسوله، فالحياة بها دين، لأن قيام الدين يعتمد على إعزازها، وفي عصرنا هذا، أُعجب اليهود بأنفسهم، وعانق بعضهم بعضاً مهنئاً، لأنهم استطاعوا تأسيس وطن قومي لهم، بعد أن عاشوا مشردين قروناً طوالاً.

---

* الشيخ محمد الغزالي، فقه السيرة، ص١١٨ وما بعدها.

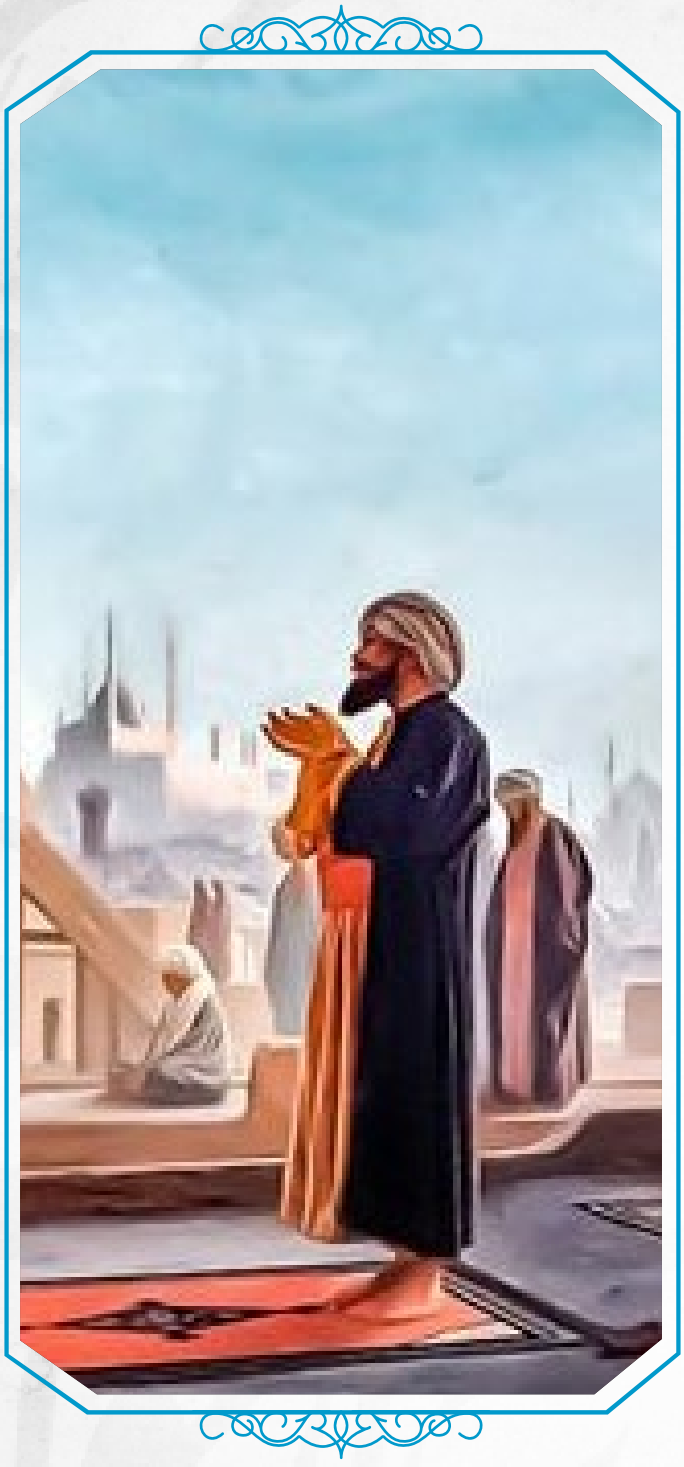

ونحن لا ننكر جهد اليهود في إقامة هذا الوطن، ولا حماسة المهاجرين من كل فج للعيش به، ومحاولة إحيائه وإعلانه.

ولكن ما أبعد البون بين ما صنع اليهود اليوم، أو بتعبير أدق، ما صُنع لليهود اليوم وبين ما صنع الإسلام وبنوه لأنفسهم، يوم هاجروا إلى يثرب نجاةً بدعوتهم، وإقامة لدولتهم، إن اليهود جاءوا على حين فرقة من العرب، وغفلة وضعف، وحاكوا مؤامراتهم في ميدان السياسة الغربية الناقمة على الإسلام وأهله، فإذا العالم كله يهجم على فلسطين بالمال والسلاح والنساء والدهاء، فلم يستطع مليون عربي حصرتهم الخيانات في مآزق ضيقة أن يصنعوا شيئاً، فهاموا على وجوههم في الأرض، نتيجة اتفاق أمريكا وروسيا وإنجلترا وفرنسا وملوك العرب على خذلان أولئك العرب التعساء، وبذلك قام الوطن القومي لليهود، وبثَّت الدعاية لتشجيع الهجرة إليه، وإسداء العون له من دهاقين السياسة والمال، في أنحاء الدنيا!

أين هذا الحضيض، من رجال أخلصوا لله طواياهم، وترفعت عن المآرب هممهم، وذهلوا عن المتاع المبذول، والأمان المتاح، واستهوتهم المثل العليا - وحدها - في عالم عج بالصم والبكم، وربطوا مستقبلهم بمستقبل الرسالة المبرّأة التي اعتنقوها، وتبعوا صاحبها المتجرد المكافح، وهو لا ينى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

"إن المدينة الفاضلة التي تعشّقها الفلاسفة، وتخيلوا فيها الكمال جاءت في سطور الكتب دون ما صنع المهاجرون الأولون، وأثبتوا به أن الإيمان الناضج يحيل البشر إلى خلائق تباهي الملائكة صفاء ونضارة."

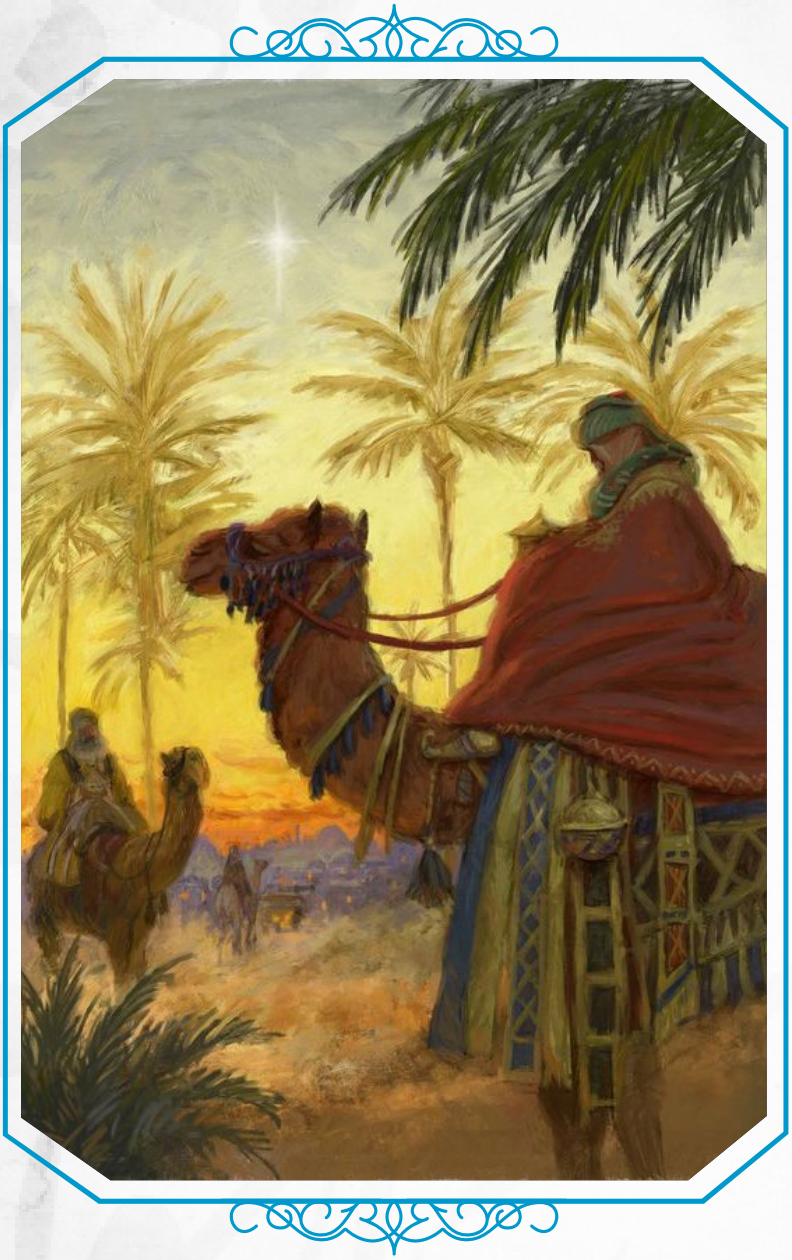

إن المسلمين ـ بإذن رسول الله ـ هرعوا من مكة وغيرها إلى «يثرب» يحدوهم اليقين، وترفع رؤوسهم الثقة، ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أرض مخصبة. إنها إكراه رجل آمن في سربه، ممتد الجذور في مكانه، على إهدار مصالحه، والتضحية بأمواله، والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره، وهو يصفي مركزه ـ بأنه مستباح منهوب، قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم، لا يدري ما يتمخض عنه من قلاقل وأحزان، ولو كان الأمر مغامرة فرد بنفسه لقيل مغامر طباش، فكيف وهو ينطلق في طول البلاد وعرضها، يحمل أهله وولده؟ وكيف وهو بذلك رضي الضمير وضاء الوجه؟

إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولا يطيش! وإيمان بمن؟ بالله الذي له ما في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم الخبير، هذه الصعاب لا يطيقها إلا مؤمن، أما الهيَّاب الخوَّار القلق، فما يستطيع شيئاً من ذلك. إنه من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

أما الرجال الذين التقوا بمحمد ﷺ في مكة، وقبسوا منه أنوار الهدى، وتواصوا بالحق والصبر، فإنهم نفروا - خفافاً - ساعة قيل لهم هاجروا إلى حيث تعزّون الإسلام وتُؤمّنون مستقبله.

ونظر المشركون، فإذا ديار بمكة كانت عامرة بأهلها قد أقفرت، ومحالّ مؤنسة قد أمحلت، مر عتبة والعباس وأبو جهل على دار بني جحش بعدما غلّقت، فقد هاجر ربّ الدار وزوجه، وأخوه أحمد، وكان رجلاً ضرير البصر، ونظر عتبة إلى الدار تخفق أبوابها يباباً، ليس بها ساكن! فلما رآها تصفر الريح في جنباتها قال:

وكل دار وإن طالت سلامتها •• يوما ستدركها النكباء والحوب

ثم قال: أصبحت الدار خلاء من أهلها، فقال أبو جهل للعباس: هذا من عمل ابن أخيك، فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا. وأبو جهل بهذا الكلام تبرز فيه طبائع الطغاة كاملة.

فهم يجرمون ويرمون الوزر على أكتاف غيرهم، ويقهرون المستضعفين، فإذا أبوا الاستكانة، فإباؤهم علة المشكلات ومصدر القلاقل!

وكان من أول المهاجرين «أبو سلمة، وزوجه، وابنه»، فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ وأخذوا منه زوجته، فغضب آل أبي سلمة لرجلهم، وقالوا: لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا، وتجاذبوا الغلام بينهم، فخلعوا يده وذهبوا به، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، فكانت أم سلمة - بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها - تخرج كل غداة بالأبطح تبكي حتى تمسي نحو سنة، فرق لها أحد ذويها، وقال: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وولدها، فقالوا لها: الحقي بزوجك، إن شئت، فاسترجعت ابنها من عصبته، وهاجرت إلى المدينة.

ولما أراد «صهيب» الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك! والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيت إن جعلت لكم مالي أتخلّون سبيلي؟ قالوا: نعم! قال: فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيب[1].

وهكذا أخذ المهاجرون يتركون مكة زرافات ووحدانا، حتى كادت مكة تخلو من المسلمين، وشعرت قريش بأن الإسلام أضحت له دار يأرز إليها، وحصن يحتمي به وتوجست خيفةً من عواقب هذه المرحلة الخطيرة في دعوة محمد ﷺ، وهاجت في دمائها غرائز السبع المفترس، حين يخاف على حياته، إن محمداً ﷺ لا يزال في مكة وهو - لابد - مدرك أصحابه اليوم أو غداً، فلتعجل به قبل أن يستدير إليها.

في دار الندوة

واجتمع طواغيت مكة في دار الندوة، ليتخذوا قراراً حاسماً في هذا الأمر. فرأى بعضهم أن توضع القيود في يد محمد ﷺ ويُشد وثاقه، ويرمى به في السجن لا يصله منه إلا الطعام، ويُترك على ذلك حتى يموت.

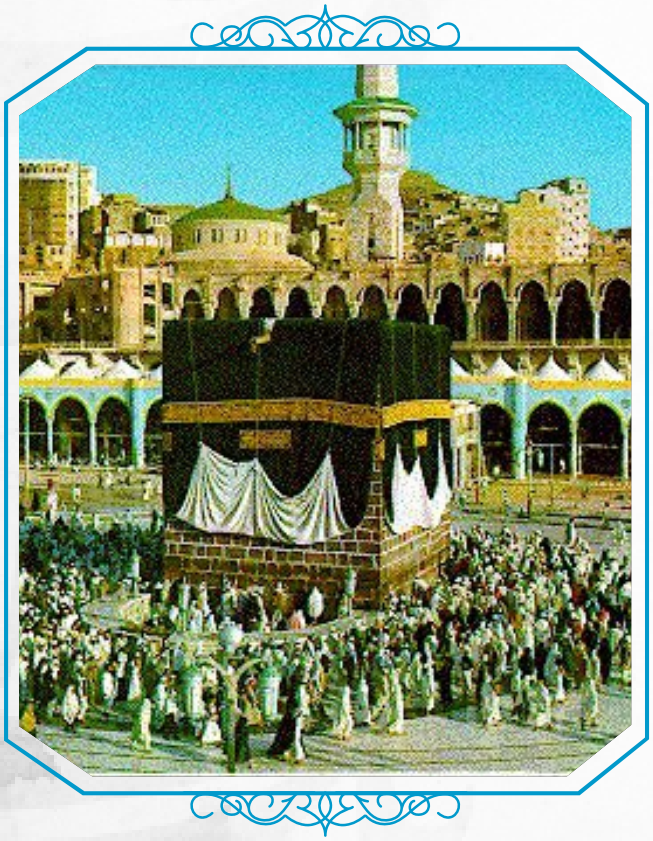

ورأى آخر أن ينفى من مكة فلا يدخلها، وتنفض قريش يديها من أمره، وقد استُبعَد هذان الاقتراحان لعدم جدواهما، واستقر الرأي على الاقتراح الذي أبداه «أبو جهل» قال أبو جهل: أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسطاً فتياً، ثم نعطي كل فتىً سيفاً صارماً، ثم يضربونه - جميعاً - ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، ولا أظن بني هاشم يقووون على حرب قريش كافة، فإذا لم يبقَ أمامهم إلا الدية أديناها، ورضي المؤتمرون بهذا الحل للمشكلة التي حيرتهم،

١. ابن هشام في « السيرة » (٢٨٩/١).

وانصرفوا ليقوموا على إنفاذه. وقد أشار القرآن إلى تدبير هذه الجريمة بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]

إن هذا الحكم لم يُتخذ في مجلس سر، بل في اجتماع عام، ومن الطبيعي أن يعلم به رسول الله، وأن يعرف حقيقة وضعه في مكة، إنهم لا ينتظرون به إلا موعد التنفيذ، ثم يقدم الطعام قرباناً للأصنام!

على أن رسول الله ﷺ لم يكن ليوعز إلى أصحابه بالهجرة ويتخلف عنهم، لقد رسم الخطة التي يذهب بها إلى «يثرب» حين ندب المسلمين للهجرة إليها، روى الزهري عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ وهو يومئذ بمكة للمسلمين: «قد أُريت دار هجرتكم، أُريت سبخة ذات نخل بين لابتين»[٢]، فهاجر من هاجر قِبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع[٣] إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين.

هجرة الرسول

حين عزم رسول الله ﷺ على ترك مكة إلى المدينة، ألقى الوحي الكريم في قلبه وعلى لسانه هذا الدعاء الجميل: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠][٤]

---

٢. أخرجه البخاري ومسلم.

٣. بدأ رجوعهم، وظلّ حتى السنة السادسة للهجرة العامة.

٤. أخرجه الترمذي (٤/١٣٧) والحاكم (٣/ ٣) والبيهقي (٩/٩) وأحمد (رقم ١٩٤٨).

ولا نعرف بشراً أحق بنصر الله وأجدر بتأييده مثل الرسول ﷺ الذي لاقى في جنب الله ما لاقى. ومع ذلك فإن استحقاق التأييد الأعلى لا يعني التفريط قيد أنملة في استجماع أسبابه وتوفير وسائله، ومن ثم فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة هجرته، وأعد لكل فرد عدته، ولم يدع في حسبانه مكاناً للحظوظ العمياء، وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة، أن يقوم بها كأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل - بعد ذلك - على الله، لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله، فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك، فإن الله لا يلومه على هزيمة بُلي بها، وقلما يحدث ذلك، إلا عن قدر قاهر يُعذر المرء فيه!

وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً، ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار، كالسفينة التي يشق عباب الماء بها ربّان ماهر، فإذا التيار يساعدها، والريح تهب إلى وجهتها، فلا تمكث غير بعيد حتى تنتهي إلى غايتها في أقصر من وقتها المقرر.

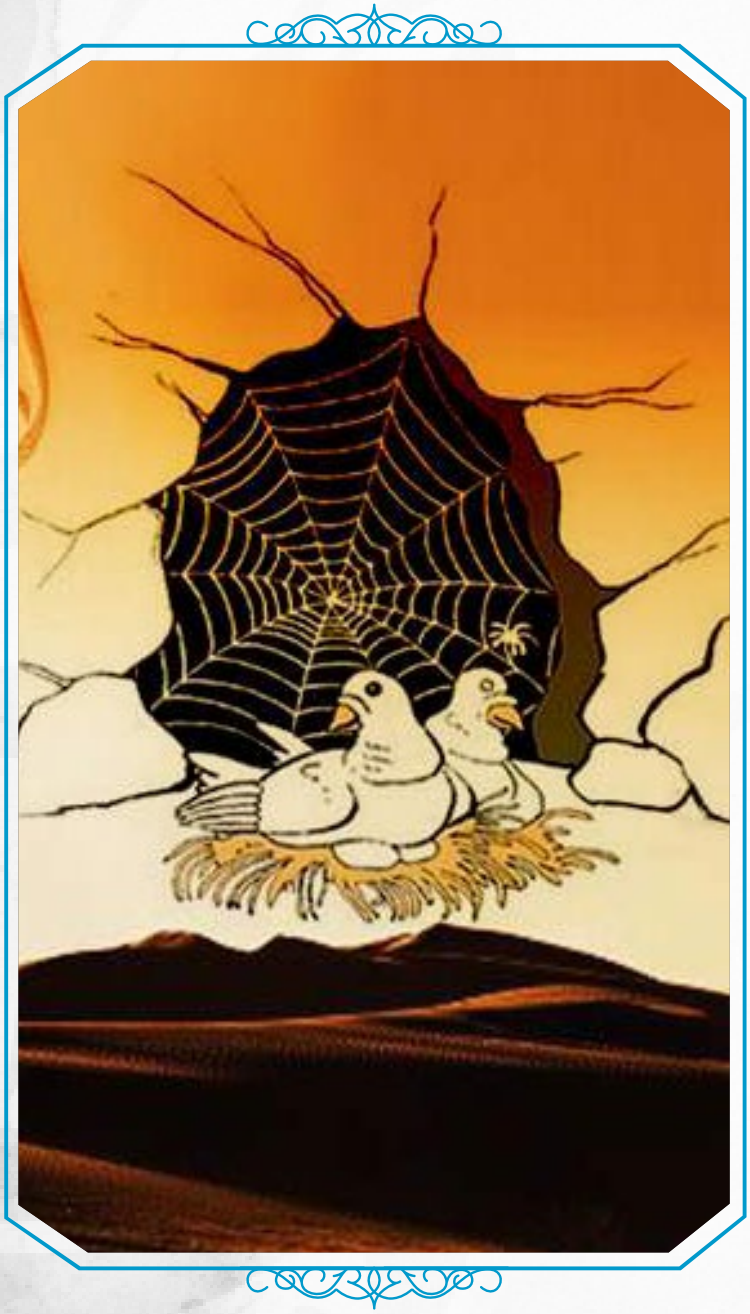

وهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة جرت على هذا الغرار، فقد استبقى رسول الله معه علياً وأبا بكر، وأذن لسائر المؤمنين بتقدّمه إلى المدينة. فأما أبوبكر فإن الرسول ﷺ قال له حين استأذنه ليهاجر: «لا تعجل، لعل الله أن يجعل لك صاحباً»[٥]. وأحس أبوبكر كأن الرسول ﷺ يعنى نفسه بهذا الرد!

٥. رواه ابن إسحاق (٢/٢) بدون إسناد: لكن معناه فيما أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣ - ١٩٧).

من دروس الهجرة

فضيلة الشيخ/ عبد الحميد كشك

رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، يا رب ارحم الأحياء والأموات، واستر العورات، وآمن الروعات، وارزقنا فعل الخيرات، وباعد بيننا وبين المنكرات، وأشهد أن لا إله إلا الله[1].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

---

١. ألقيت هذه الخطبة في ٧ يناير ١٩٧٧. وهي منقولة من كتاب: «الخُطب المنبرية» لفضيلة الشيخ عبد الحميد كشك، ج٣، الخطبة الأولى، بتصرف يسير.

عن عبدالله بن عدي ابن الحمراء أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو واقف بِالْحَزْوَرَةِ في سوق مكة: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[٢].

فماذا حدث ودموع الوداع تسيل من عين رسول الله ﷺ؟

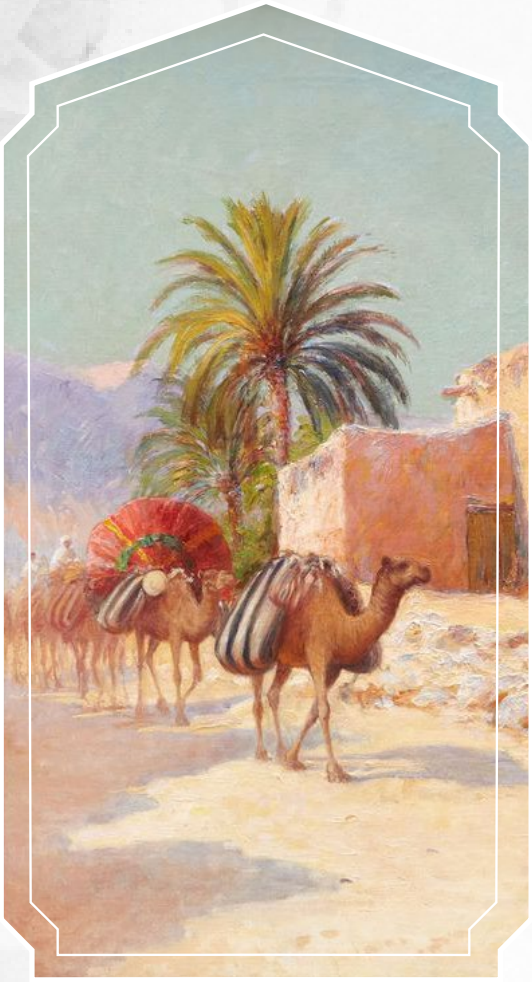

إن الذي حدث أمر تقشعر منه الأبدان، إنها برقية عاجلة من الرسول محمد ﷺ إلى رافع السموات بغير عمد، أعلن الله تبارك وتعالى الأمينَ جبريل أن يهبط فورًا على رسول الله بماذا؟ بقرآن يُتلى إلى يوم القيامة، نزل أمين السماء على أمين الأرض والسماء سيدنا محمد بقول الله تعالى في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، ستعود إليها يا محمد، إن الذي فرض عليك القرآن وأنزله على قلبك، هو الذي سيردك إلى مكة يا حبيب الله، لرادك إلى معاد ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إنَّ: توكيد، لرادك: اللام لام التوكيد، والجملة اسمية تفيد الثبوت والاستمرار، أي اطمئن يا حبيبي يا محمد، إن الذي فرض القرآن وأنزله على قلبك الطاهر الناصح، لرادّك إلى معاد، يا رب.. يا رب.. أنت العلي.

أنت العلي وذاك وصفك ثابت .. وإليك يصعد طيب الكلمات
وحبيبك المختار من بين الورى .. فخر الوجود وقائد القادات

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد رسول الله، لما دخل المدينة المنورة نوّرها الله بوجوده، ألقى بيانًا جامعًا مانعًا شافيًا حازمًا حاسمًا، قال في بيانه الأول الذي أذاعته إذاعة الرحمن على جميع موجاتها العاملة في الأرض وفي السماء قال:

---

٢. رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه.

«يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

سيدي أبا القاسم.. يا رسول الله. ماذا قلت يومها؟ قلت: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[٣].

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

بلـــغ العـــلا بكماله .. كشف الدجى بجماله

عظمت جميع خصاله .. صلـــوا عليـــه وآله

صلى عليك الله يا علم الهدى مـا هبت

النسائم ومـا ناحت على الأيك الحمائم

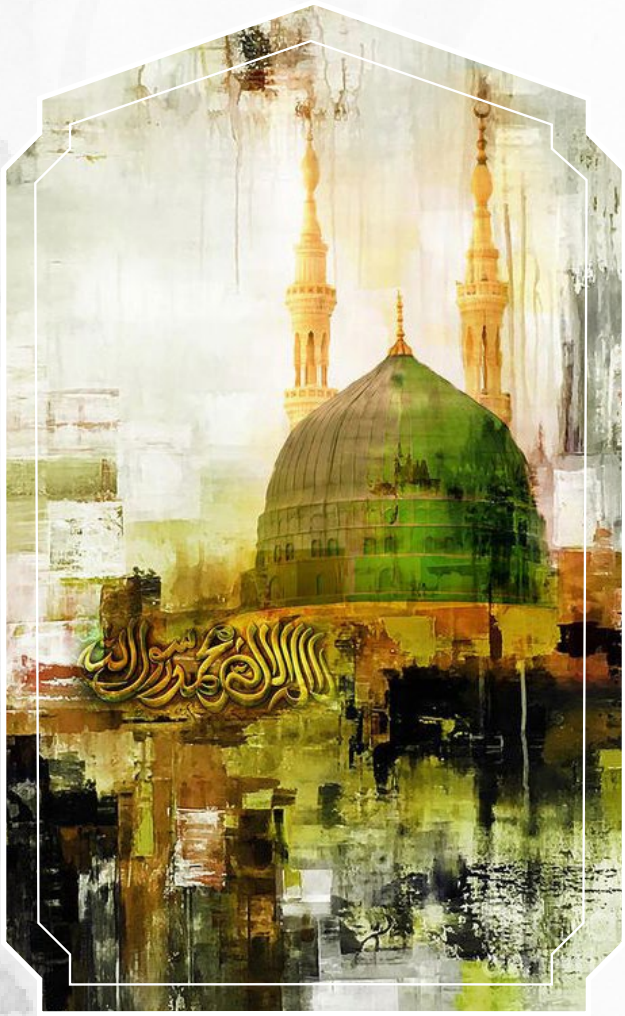

أما بعد: **فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة:**

سؤال لماذا كانت هجرة المصطفى ﷺ؟ وكيف تمت؟

اسمعوا هذه الكلمة الموجزة وعوها، كانت الهجرة المباركة تغييرًا في الموقع، ولم تكن تغييرًا في الموقف، هناك موقع، وهناك موقف.

الموقع: هو الذي تغير، أما الموقف فإنه ثابت لم يتغير، الموقع انتقل من مكة إلى المدينة، والموقف هو أتدرون ما هو الموقف؟ إن الموقف هو قول «لا إله إلا الله» والهجرة جهاد ومعركة.

٣. رواه أحمد والترمذي والحاكم، وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي.

معركة بدأت من يوم قال الرسول ﷺ: لا إله إلا الله. وانتهت هذه المعركة يوم دخل الرسول مكة فاتحًا، ووقف بين أهلها موقف القائد المنتصر الحكيم، وطرح على أهل مكة هذا السؤال قال: يا أهل مكة ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم. فماذا قال رافع لواء التوحيد يومها؟ أصدر قرارًا بالعفو الشامل عن أهلها جميعًا، وقال لهم: لا يسعني إلا أن أقول كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]، اذهبوا فأنتم الطلقاء.

الهجرة معركة استمرت إحدى وعشرين سنة، بدأت بقول: لا إله إلا الله، وظل لواؤها يتحرك في مواكب الدنيا، إلى أن وقف بلال بن رباح على ظهر بيت الله الحرام يؤذن لله رب العالمين، واسمحوا لي أيها الإخوة الأعزاء أن أسلط الأضواء على خطط هذه المعركة، من الذي أعد هذه المعركة؟ ومن الذي كيفها وأعلنها؟

إن هذه المعركة لم تكتب في قاعات هيئة الأركان، ولا في الكليات العسكرية، ولا الأكاديمية العسكرية، إن الذي خططها ودبرها هو الله:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، يثبتوك: يعتقلوك، يقتلوك: يقضوا على حياتك، يخرجوك: ينفوك، اعتقال، أو قتل، أو نفي، ولكن لحساب من كان يعمل محمد ﷺ؟ كان يعمل لحساب واحد لا شريك له، هو الله، ولا أحد إلا الله، محمد كان يعمل لحساب واحد يقول عن ذاته: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، محمد كان يعمل لحساب واحد، وابتغاء مرضاة واحد.

ولذلك ساوموه فرفض المساومة، واحتالوا له فرفض الحيلة، وأرادوا أن يخدعوه فقال له ربه: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٨-٩]، وأرادوا أن يجعلوا العبادة قسمة بينه وبينهم فقالوا: يا محمد تعبد آلهتنا يومًا، نعبد إلهك شهرًا، تعبد آلهتنا شهرًا، نعبد إلهك سنة، أرادوها مساومة، وأرادوها مقاسمة، ولكن الله حسم الموقف قائلاً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١-٣]، لا أعبد ما تعبدون يومًا، ولا أنتم عابدون ما أعبد شهرًا، ولا أنا عابد ما عبدتم شهرًا، ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة، لكم دينكم ولي دين، لا مساومة، وكيف يسجد لغير الله من اعتقد أنه لا إله إلا الله؟

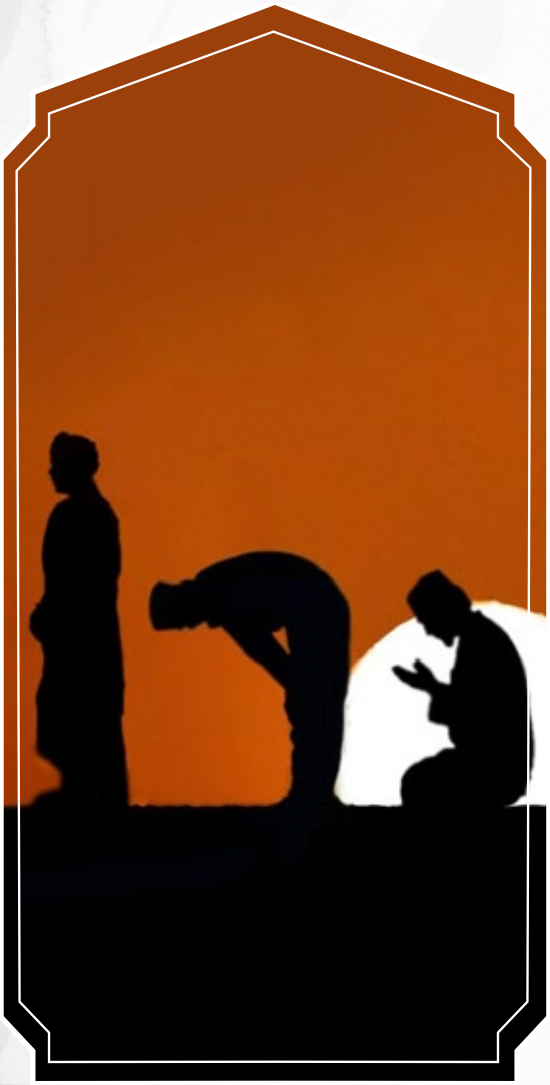

كيف يسجد لغير الله من اعتمد أن الأمر كله بيد الله؟ كيف يركع لغير الله من اعتقد أن الذي رفع السماء وبسط الأرض هو الله؟ إن الذين سجدوا لغير الله سلّط الله عليهم مَن سجدوا له...

يا معاشر الإخوة: إنها عناية الله بالحبيب محمد ﷺ، إنها رعاية الله بصاحب الهجرة الذي قال له: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، ويمكرون: أي يخدعون، ويمكر الله: أي ينتقم الله منهم على خداعهم، فالمكر في حق العبد خداع ومراوغة، والمكر في حق الله انتقام، استمع إلى قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٠-٥٣]

مكروا مكرًا: خدعوا خداعًا، ومكرنا مكرًا: أي انتقمنا انتقامًا، وهم لا يشعرون، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: المكر في حق العباد خداع، والمكر في حق الله انتقام وأخذ شديد.

إن الذين قاموا بدور الهجرة قومٌ عظماء

فعليّ ينام على فراش المصطفى: الفدائي الأول، عليّ ينام على فراش ابن عمه لا يخشى الموت، ولا يرهب المنون، إنما ينام ويداه ضارعتان إلى الله الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم.

وعبدالله بن أبي بكر يقوم بدور المخابرات للرسول ﷺ وأبيه: فعندما يجيء الليل يتوجه عبدالله بن أبي بكر بعد ما يحلب لبن الشياه، يتوجه إلى غار ثور، ويسلم اللبن إلى الرسول ﷺ وأبي بكر، ويعرض التقرير اليومي عليهما بما يدور في مكة وأهلها.

وأما عامر ابن فُهيرة: فإنه يقوم بدور التمويه على المشركين، فبعدما ينصرف عبد الله بن أبي بكر إذا بعامر بن فُهيرة يأتي بأغنامه، ويمشي على أقدام عبد الله بن أبي بكر حتى لا يُبقي لها أثرًا. تخطيط حكيم: عبد الله بن أبي بكر مخابرات، عامر بن أبي فُهيرة تمويه.

أما الإمدادات التموينية فإن التي قامت بها سيدة «أسماء بنت أبي بكر» بنت الصديق. كانت تحمل الطعام لرسول الله وأبيها، وتصعد به أعلى الجبل في غار ثور، وستعجبون عندما تعلمون أنها كانت في شهرها التاسع من الحمل! شهرها التاسع من الحمل!

ولكن إذا صح الود من الله فالكل هين، وما دام الحب في الله، فلا صعب مع حب الله، إذا كانت الصلة بينك وبين الله قوية، فإن الصعاب كلها ستهون، إن الصعاب كلها ستهون.

وَلَـرُبَّ نازِلَةٍ يَضيقُ لَهـا الفَتى .. ذَرعاً وَعِندَ اللَهِ مِنهـا المَخرَجُ
ضاقَت فَلَمّا اِستَحكَمَت حَلَقاتُها .. فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ

هذه أسماء بنت أبي بكر الصديق تحمل طعام الرسول وأبيها، وتصعد به أعلى الجبل وهي في شهرها التاسع من حملها! فما زادها ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا.

❞ إن الهجرة النبوية كانت معركة متكاملة الأركان: إن الأسباب قد لا تؤدي إلى المسببات، وإن المسببات قد تأتي بدون أسباب، هذا صنع الله، الأسباب قد لا تؤدي إلى المسببات، وذلك عندما أُلقِيَ إبراهيم في النار فقال الله للنار: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، أسباب ولكن الله عطل المسببات، النار نار حامية، وكاوية وحارقة، ولكن الله عطل مسبباتها، عندما قال لها: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، وقد يكون هناك مسببات بدون أسباب: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] ❝

❁ هذا مسبب بدون سبب: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، المحراب مغلق، المسجد مغلق الأبواب والنوافذ، من الذي يدخل على مريم بهذا الرزق؟! ولقد كان هذا الرزق عجيب الفعلة. فاكهة الشتاء في فصل الصيف، وفاكهة الصيف في فصل الشتاء، أين الأسباب يا مريم؟ أنى لك هذا؟ من أين لك هذا؟: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

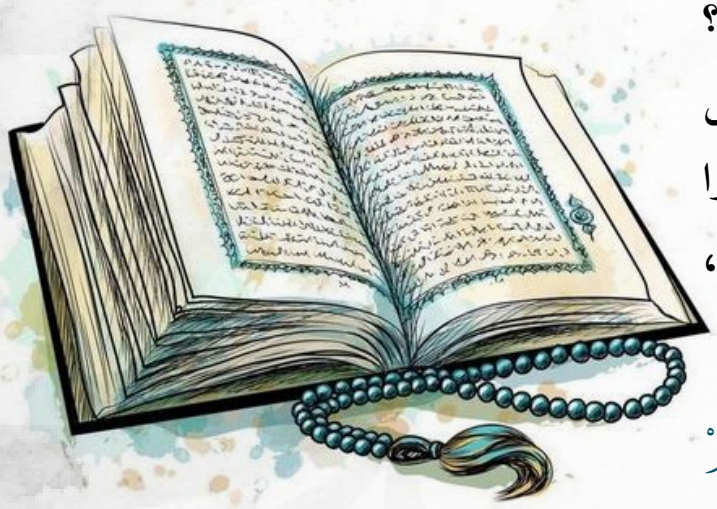

الغار هو الغار، ورسول الله ﷺ وأبو بكر يجلسان فيه، فمن الذي منع المشركين أن يمدوا أيديهم إليهما؟ الغار أمامهم، والرسول الذي يطلبونه داخله، وليس بينهم وبينه إلا أن يمدوا أيديهم إليه، إلا أن يمدوا الأيدي إليه ويمسكوا بالحبيب الذي دبروا قتله، وأرادوا القضاء عليه، ولكن الله قال له:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]

لم يكن له حرس، ولم يكن له سيارة ذات زجاج ضد الرصاص، ولم يكن يلبس قميصًا ضد الرصاص، ولم يكن ينتقل بطائرة حتى لا تمتد إليه الأيدي، لم يكن لرسول الله ﷺ هذه المخصصات، ومع ذلك فإنه جلس في الغار، والمشركون واقفون أمام الغار، وما استطاع أحدهم أن يدخل الغار لماذا؟ لأن يد الله تعالى تعمل في الخفاء، إن يد الله تعمل في الخفاء، فدعوها تعمل بطريقتها الخاصة، فليس لأحد أن يستعجلها أو يقترح عليها، وهل الحرس يمنع قضاء الله؟ وهل البروج المشيدة تمنع قدر الله؟ وإذا مات جبار عنيد، فهل يمنعه ذلك من عذاب الله؟ لا والله ، لا والله.

واسألوا التاريخ، واسألوا تاريخ القرآن بالذات، فإنه صادق، إن القرآن صادق معصوم، اسألوا القرآن عن تاريخ الجبابرة، اسألوا القرآن عن تاريخ الأكاسرة، اسألوا القرآن عن تاريخ القياصرة، اسألوا القرآن عن تاريخ الفراعنة، اسألوا القرآن عن هؤلاء الذين قال فيهم:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

كان أبو بكر يهمس في أذن المصطفي: لو أنَّ أحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا.

وكان المصطفى بثبات الجبال يقول له: ما ظَنُّكَ يا أبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وهل يحزن من كان الله معه؟ لا والله لا يحزن أبدًا، إن الذي من طين خلقك فسوّاك، وعلى موائد كرمه رباك لن ينساك، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة.

معاشر السادة الأعزاء: كانت هجرة الحبيب تغييرًا في الموقع لا في الموقف، الموقع: انتقل من مكة إلى المدينة، والموقف وهو قول «لا إله إلا الله» ظل ثابتًا كما هو: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

الهجرة من أجل لا إله إلا الله

فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز[1]

رحمه الله

كان الناس في عهد آدم وبعده إلى عشرة قرون كلهم على توحيد الله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ثم وقع الشرك في قوم نوح فعبدوا مع الله ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا كما ذكر الله ذلك في سورة نوح، فأرسل الله إليهم نوحا عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى توحيد الله وينذرهم نقمة الله وعقابه، فاستمروا في طغيانهم وكفرهم وضلالهم ولم يؤمن به منهم إلا القليل، فأكثرهم ومعظمهم استكبروا عن ذلك كما بين الله ذلك في كتابه العظيم، فماذا فعل الله بهم؟

١. مجموع فتاوى ابن باز، ٩/٤ وما بعدها.

فعل بهم ما بينه لنا في كتابه العظيم من إهلاكهم بالطوفان: وهو الماء العام الذي ملأ الأرض وعلا فوق الجبال وأغرق الله به من كفر بالله وعصى رسوله نوحا، ولم ينج إلا من كان مع نوح في السفينة كما قال سبحانه: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥] وهذا عقابهم في العاجل في الدنيا، ولهم عقاب آخر في الآخرة وهو العذاب في النار يوم القيامة نسأل الله العافية.

ثم جاءت عاد بعد ذلك وأرسل الله إليهم هودا بعد نوح، فسلكوا مسلك من قبلهم من قوم نوح في العناد والكفر بالله والضلال، فأرسل الله عليهم الريح العقيم فأهلكوا عن آخرهم ولم ينج منهم إلا من آمن بهود وهم القليل.

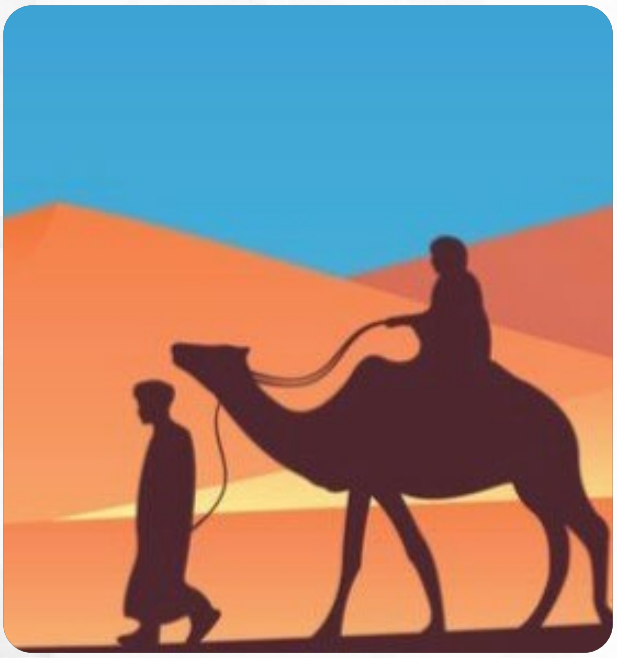

ثم جاء بعدهم قوم صالح وهم ثمود فسلكوا مسلك من قبلهم من الأمتين أمة نوح وأمة هود، فعصوا الرسل واستكبروا عن الحق فأخذهم الله بعقاب الصيحة والرجفة حتى هلكوا عن آخرهم ولم ينج إلا من آمن بنبيه صالح عليه الصلاة والسلام.

ثم جاء بعدهم الأمم الأخرى أمة إبراهيم وأمة لوط وشعيب وأمة يعقوب وإسحاق ويوسف، ثم جاء بعدهم موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء كلهم دعوا الناس إلى توحيد الله كما أمروا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وكلهم أدوا ما عليهم من البلاغ والبيان عليهم الصلاة والسلام، بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة وبينوا لهم معنى هذه الكلمة: (لا إله إلا الله) وبينوا أن الواجب إخلاص العبادة لله وحده وأنه هو الذي يستحق العبادة دون كل ما سواه، وأن الأشجار والأحجار والأصنام والكواكب والجن والإنس وغيرهم من المخلوقات كلهم لا يصلحون للعبادة؛ لأن العبادة يجب أن تصرف لله وحده.

وفرعون لما بغى وطغى وعاند موسى وخرج لقتله ساقه الله جل وعلا للبحر، وأغرقه ومن معه فيه في لحظة واحدة، وهذا عذاب معجل وهو الغرق وبعده عذاب النار، نسأل الله العافية والسلامة.

ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام دعا الناس إلى عبادة الله، وبشر بالجنة من آمن وحذر بالنار من كفر، فآمن من آمن وهم القليل في مكة، ثم بسبب الأذى له ولأصحابه أمره الله بالهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، ومن آمن معه ممن استطاع الهجرة، فصارت المدينة دار الهجرة، والعاصمة الأولى للمسلمين، وانتشر فيها دين الله، وقامت فيها سوق الجهاد بعد تعب عظيم، وإيذاء شديد من قريش وغيرهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه في مكة.

كل ذلك من أجل هذه الكلمة (**لا إله إلا الله**)، الرسل تدعو إليها ومحمد خاتمهم عليه الصلاة والسلام يدعو إلى ذلك، يدعو إلى الإيمان بها، واعتقاد معناها، وتعطيل الآلهة التي عبدوها من دون الله وإنكارها وإخلاص العبادة لله وحده، والمشركون يأبون ذلك، ويقولون إنهم سائرون على طريقة أسلافهم، ويقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]

فأمة العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ، سلكوا مسلك من قبلهم في العناد والكفر والضلال والتكذيب، ونبينا عليه الصلاة والسلام طيلة ثلاثة عشر سنة في مكة، يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى ترك الشرك بالله، فلم يؤمن به إلا القليل، وهذا بعد الهجرة إلى المدينة، استمروا في طغيانهم، وقاتلوه يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب عنادا وكفرا وضلالا، وساعدهم من ساعدهم من كفار العرب، ولكن الله جلت قدرته أيد نبيه والمؤمنين وأعانهم، وجرى ما جرى يوم بدر من الهزيمة على أعداء الله، والنصر لأولياء الله، ثم جرى ما جرى يوم أحد من الامتحان الذي كتبه الله على عباده، وحصل ما حصل من الجراح والقتل على المسلمين بأسباب بينها في كتابه العظيم سبحانه وتعالى.

ثم جاءت وقعة الأحزاب بين الرسول ﷺ وبين أهل الكفر، فأعز الله جنده ونصر عبده وأنزل بأسه بالكفار، فرجعوا خائبين لم ينالوا خيرا ونصر الله المسلمين ضد أعدائهم.

ثم جاءت بعد ذلك غزوة الحديبية عام ست من الهجرة، وحصل فيها ما حصل من الصلح بين الرسول ﷺ وأهل مكة، والمهادنة عشر سنين حتى يأمن الناس، وحتى يتصل بعضهم ببعض، وحتى يتأملوا دعوته عليه الصلاة والسلام وما جاء به من الهدى، ثم نقضت قريش العهد فغزاهم النبي ﷺ عام ثمان من الهجرة في رمضان، وفتح الله عليه مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجا والحمد لله.

فهذا الدين العظيم وهو الإسلام يحتاج من أهله إلى صبر ومصابرة وإخلاص لله ودعوة إليه وإيمان به و برسله، والوقوف عند حدوده وترك لما نهى عنه عز وجل، هذا هو دين الله، الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه، وهو الدين الذي بعث به نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام، وهو توحيد الله والإخلاص له والإيمان برسوله محمد ﷺ، والانقياد لشريعته قولا وعملا وعقيدة، وأصله وأساسه شهادة ألا لا إله إلا الله، التي بعث الله بها جميع الرسل، لا إسلام إلا بها من عهد نوح إلى عهد محمد عليه الصلاة والسلام، لا إسلام إلا بهذه الكلمة: **(لا إله إلا الله)** قولا وعملا وعقيدة،فيقول المسلم: **(لا إله إلا الله)** بلسانه ويصدقها بقلبه وأعماله، فيوحد الله، ويخصه بالعبادة، ويتبرأ من عبادة ما سواه، ولا بد مع هذا من الشهادة للنبي بالرسالة عليه الصلاة والسلام، لا بد من الإيمان بالله وحده وإخلاص العبادة له، لا بد من التصديق للرسل الذين بعثوا بذلك من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ.

هجرة النبوّة من مكة إلى يثرب

العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

رحمه الله

لم تتّسع العربية - على رحب آفاقها - لذلك المعنى الجليل الذي بدأ تاريخًا، وأنهض أمّة واستأنف عالمًا، فسمّته بأقرب الكلمات إلى معناه، وبما يدلّ على ظاهره الذي هو انتقال جسماني - من بلد إلى بلد- كما لم تتّسع لمعنى حركة الشمس في أفلاكها فسمّته بأضعف مظاهره وبما تدرك العين منه وقالت: سبْح جرَيَان وجاء العلم فشرح ووضّح وفسّر وتوسّع، وهذا شأن اللغة كلما عجزت عباراتها الوضعية عن تأدية معنى عظيم، وضاقت عن تحديده، أطلقت عليه كلمة، تردّدها الألسنة، ويتعارفها الناس، وتشير ولا تحدّد، وتركت للعقول التوسع في تصوير الحقيقة، وإبعاد النجعة في طلبها؛ أما الاسم الذي جُعل عنوانًا على الحقيقة فلم يعدُ أن كان منبهة، كما جعلتْه اللغة، وهذا شأنها في الكلمات ذات المدلول الواسع مثل الخير والعلم والحق والجمال، ولغات العالم في هذا الباب واحدة، لأن عقول الناس فيه واحدة أو متقاربة.

---

* عدد ١٤، جريدة «البصائر»، ١٧ نوفمبر ١٩٤٧م.

انتهى الحكم في ذلك المعنى الجليل إلى التاريخ بعد اللغة فسمّاه الهجرة النبوية المحمدية، وكشف بهذين الوصفين بعض السر، ونبّه العقول إلى أنها هجرة من نوع آخر، ومضى يربط سوابقها بلواحقها، ويصف، وفي كل وصف مثار للإحساس، ويقصّ، وفي كل قصّة موضع للعبرة، ويروي الوقائع، وفي كل واقعة جيش لجب من الحماس، ويحكي الأقوال، وفي كل قول مجال للحكمة، ويسلسل الحوادث، وفي كل حادثة مسرح للعقل، ويسمّي الأشخاص، وفي كل شخص وقفة للتوسم، ويستعرض الآراء، وتحت كل رأي نسق من التدبير، ثم يبني النتائج على المقدمات، ويصل الآثار بالمؤثّرات، وينتهي وقد كشف عن ذلك المعنى الجليل الذي ضاقت عنه كلمة (هجرة) أتمّ كشف، وفسّره أكمل تفسير.

لا كاشف للحقائق الكونية كالبحث، ولا شارح للأسرار الدينية كالتدبّر، ولا محلِّل للأحداث الاجتماعية كالتاريخ، أما اللغة فوظيفتها وضع العنوان ورسم الخطوط، ومن طلب من اللغة ما هو فوق ذلك فهو لاغٍ.

كانت الهجرة- بهذا المعنى الخاص- وما زالت، هروبًا من الباطل والمبطلين، ونجاءً بالنفس أو بالعقيدة أو بهما، فهي في خلاصتها انهزام يعتذر بالضعف إلى أن يجد القوّة، وفرار بعزيز يخاف عليه إلى حيث يؤمَن عليه، لم يخرج عن هذا المعنى حتى هجرة الأنبياء والصدّيقين كإبراهيم ولوط هاجرا من بابل إلى كنعان، ولم يرجعا إلى بابل من كنعان، أما هجرة محمد وأصحابه فكانت هجرة قوّة كاثرها الباطل المتهافت، والشِّرك المتخافت، وعاقها عن امتداد العروق، وبُسوق الأفنان في أرضها التي فيها نبتت. وجوّها الذي فيه تنفّست، وقد طاش ذلك الباطل الطيشة الكبرى، وبحث عن حتفه بظلفه، فأخرج تلك القوّة إلى حيث تزداد قوّةً ورسوخًا، وهذا من عجيب صنع الله لهذا الدين القويّ الراسخ.

من اللطائف أن القرآن ذكر قصّة الهجرة المحمدية من مكة إلى يثرب بأسلوب ليس من نسق التاريخ فسمّاها إخراجًا من الذين كفروا ولم يسمّها هجرة بصريح اللفظ، وإن سمّى الصحابة المهاجرين، ونوّه بالهجرة، وحضّ عليها، وقرنها

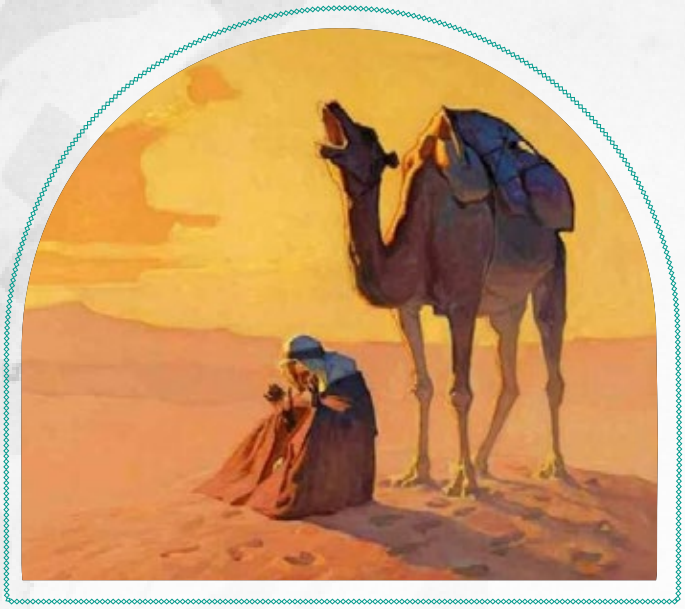

بالإيمان، وجعلها شرطًا في الولاية فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢] وبعض الحكمة في ذلك أن التذكير بالإخراج من الديار يُذكي الحماس، ويُبقي الحنين إلى الديار متواصلًا، ويُنمّي غريزة الانتقام والأخذ بالثأر، وأن إيجاب الهجرة بتلك الأساليب المغرية البديعة، هو جمع لأنصار الحق في مأرز واحد، بعد تشتّتهم لينسجموا ويستعدّوا إلى الرجعة والكرّة.

❁ وانظر إلى بدر والحديبية وعمرة القضاء تجدها كلها تعبّر عن اتجاه وتحويم، وعن حنين إلى مكّة تدل مظاهره على خفاياه، ثم انظر أية ثورة تثيرها في النفوس الحرّة آية: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٤٠] وآية: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الفتح: ٢٥].

إن للإخراج من الديار لشأنًا أيّ شأن في القرآن، فهو يُبدئ ويعيد في تقبيحه وإنكاره وتحريمه، وهو يقرنه بالقتل تشويهًا له وتشنيعًا عليه، وإن له في نفوس الأحرار لأثرًا يتعاصى عن الصفح والعفو، وإن له في نفس سيد المرسلين لوقعًا مؤلمًا من يوم قال له ورقة: «إذ يخرجك قومك»، فقال: «أَوَ مخرجيَّ هم؟» إلى يوم أخرجه قومه بغير حق، إلى يوم أخرجه ربّه إلى بدر بالحق، إلى يوم صدَقَه ربّه الرؤيا بالحق.

ما زلت منذ درست السيرة بعقلي، أقف في بعض مقاماتها على ساحل بحر لجيٍّ من العبر والمثُلات، ومن بين تلك المقامات حادثة الهجرة. فلا يكاد عقلي يستثير بواعثها الطبيعية حتى أتلمَّح العوامل الإلهية فيها فأستجلي من بعض أسرارها التمهيد للجمع بين أصلي العرب اللذين كانا في الجاهلية يتنازعان ملاءة الفخر. ويُؤرّث الرؤساءُ والشعراءُ بينهما نار العصبيّة، حتى أضعفتهما العصبية، وحتى أطمع الضعف فيهما جاريهما القويين: جار الجنوب الحبشي، وجار الجنب الفارسي، وكادا يستعبدان هذا الجنس الحرّ لولا أن فال رأي أبرَهَة في الفيل، ومالتْ رايات فارس في ذي قار.

جاءت النبوّة من مكة إلى المدينة تعمل عملها في جمع القوّتين اللتين أحالهما التفرّق ضعفًا. فجمعت المهاجرين والأنصار، وكأنما جمعت عدنان وقحطان في دار، يتصالحان على العروبة، ويتآخيان على الإسلام،

ويُحيِيان من الأواصر والشوابك ما أماتته عِبِّيَّةُ الجاهلية، ويُميتان من النعرات المفرّقة ما كانت تحييه المنافرات والمفاخرات، وفي عقد التآخي بين المهاجرين والأنصار عنوان ذلك ودليله، ولو دامت للقرآن هيبته في الأفئدة وسلطانه على القلوب لما نبض عرق اليمانية والقيسية في الدولتين الأمويتين بالشرق والأندلس، ولما نجمت تلك النواجم التي ذهبت بريح العرب، ولما وجَّهت الدعوة العباسية وجهتها إلى خراسان، ولما بقيت هذه العروق الدساسة التي ما برحت تنفث السم في قلب الجزيرة العربية إلى الآن.

> ليت شعري.. وليتٌ يقولها المحزون، هل تحمل ذكرى الهجرة المتكرّرة مع كل عام، أولئك اليمانيين الراكدين وهم جمهرة أنساب قحطان، وأولئك الحجازيين الراقدين، وهم منحدَر دماء عدنان، على أن يتداعَوا إلى ما تداعى إليه أجدادهم، وأن يتآخوا على ما تآخوا عليه؟

مسجد «البيعة» في مشعر منى

هل يرجعون بالذاكرة إلى بيعة العقبة وما جرت للعرب من أخوة وسيادة، وعزّة وسعادة، فيتبايعون على حماية الحوزة العربية والذب عن حياض العروبة؟

هل آن لهم أن يعلموا أن هذه المذاهب التي صيّرتهم أوزاعًا في الدين والدنيا هي السبيل المفرّقة عن سبيل الله الواحد، وهي التي نهى الله عن اتّباعها؟

هل يعلمون أن طلّاب الغاز غزاة، وأن الشركات أشراك، وأن رؤوس الأموال الأجنبية ذات قرون ناطحة، وأن الوطن الذي يعمر بمال الأجنبي ويد الأجنبي وعلم الأجنبي! محكوم عليه بالخراب، وإن تعالت في الأفق قبابه، وكُسيت بوشي السماء هضابه، وسالت بذهب الأرض شعابه؟

المقصد العظيم من الهجرة النبويّة

العلاَّمة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[1]

رحمه الله

إن في كل شأن من شؤون رسول الله ﷺ خاصِّها وعامها دلائلَ على أنه بمحلِّ العناية من ربه تعالى تُحَقِّقُ معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ، أي بمحل العناية منا؛ إذ حقيقةُ العين يستحيل إثباتُها لله تعالى فتعيَّن بحكم استعمال اللغة أن تكون العين في الآية مرادًا منها لازمُ حقيقتها، وهو الاعتناء اللازم لمعنى المشايعة، والمشايعةُ من لوازم النظر المراد من العين، كما قال النابغة يخاطب النعمان بن المنذر:

رَأَيْتُكَ تَرْعَانِي بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ •• وَتَبْعَثُ أَحْرَاسًا عَلَيَّ وَنَاظِرَا[2]

---

١. المجلة الزيتونية، المجلد ٣، العدد ٣، ذو القعدة ١٣٥٧/ مارس ١٩٣٩ (ص٩٤- ٩٧) .

٢. ديوان النابغة الذبياني، ص ١٣٢ (نشرة عبد السلام هارون) ، وص ١١٦ (نشرة ابن عاشور، وهو عنده بلفظ: «حِراسًا» بدل «أحراسًا») .

ومن أعظم الشؤون التي عرضت للرسول عليه السلام في رسالته شأنُ خروجه من وطنه في ذات الله تعالى، وكان في ذلك الشأن من المقاصد الإلهية العظيمة ما لا يحيط به غيرُ علّام الغيوب. فلا جرَمَ أن نعد منها ما بلغ إليه العلم وأُلْهِمه الفهمُ في هذا الوقت القصير، وعسى أن يكون في قليله تنبيهٌ كثير، يفتح فهمَ الناقد البصير.

الهجرة شِنْشِنَةٌ[٣] من أحوال الرسل؛ فقد هاجر إبراهيم ولوط وهود وصالح وموسى ويونس، ولكلٍّ وجهة، وكلٌّ على هيئة. وتلك الشنشنة هي التي أنبأت ورقةَ بن نوفل بأن محمدًا عليه الصلاة والسلام سيسلك به ربُّه مسلكَ رسله:

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧] . كان ورقة بن نوفل القرشي المتنصِّر في الجاهلية قد توسَّم من بعثة النبي ﷺ أن يَخرُج أو يُخرَج من وطنه، ففي صحيح البخاري أن رسول الله لَمَّا ذهب إليه بإشارة خديجة رضي الله عنها وقصَّ عليه رؤيةَ الملك ونزول الوحي عليه في غار حراء، قال له ورقة: «هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جَذَعٌ، يا ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومُك»! فقال رسول الله: «أَوَمُخرِجِيَّ هم»؟ قال ورقة: «نعم، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركْني يومُك أَنصرْك نصرًا مؤزرًا»[٤].

كان خروجُ رسول الله ﷺ من مكة نبذًا منه لأهل الشرك، وسخطًا عليهم، وتنزيهًا للدين عن البقاء بين أظهرهم، وإيذانًا لسائر الناس بأنَّ أمرَ هذا الدين ليس بالأمر الهين؛ فإن الدعوة بالفعل مع القول أشدُّ نفوذًا إلى النفوس من مجرد القول، بحيث صارت الدعوةُ الإسلامية حادثًا مشاهدًا ومتحدَّثًا به بعد أن كانت مسموعةً لا غير. ولذلك سُمِّي هذا الخروجُ هجرةً، مشتقة من الهجر، وهو قَطع المعاشرة.

---

٣. الشنشنة، العادة أو السنة الغالبة.

٤. صحيح البخاري، «كتاب بدء الوحي» ، الحديث ٣، ص ٢؛ صحيح مسلم، «كتاب الإيمان» ، الحديث ١٦٠، ص ٧٧؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١/ ١، ص ١٩١٠ واللفظ للبخاري.

ولقد كانت بإذن الله له بذلك حين تهيأت الأسباب التي أرادها الله تعالى، كما أنبأ به حدثُ الهجرة في الصحيح أن رسول الله قال لأبي بكر: «إن الله قد أذن لِي في الخروج والهجرة».[٥]

لم يكن ذلك الخروج فرارًا وخشية من المشركين؛ لأن الله الذي عصمه منهم ثلاث عشرة سنة وهم يؤذونه بالقول ولا يقدمون على إلحاق الضرر به قادرٌ على إكمال عصمته منهم، وخاصة بعد أن كثر أتباعه، واعتزوا بأقويائهم مثل عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب. وقد علم رسول الله أنه إذا خرج من بين قومه يعدون خروجه غلبةً معنوية عليهم، فيحاولون منعَه. فلذلك رأى أن كتمان أمره أعونُ على مراد الله من خروجه، ورأى الاختفاءَ بعد الخروج ثلاث ليال بغار ثور أقطعَ لطماعية المشركين في اللحاق به وأعجزَ لهم في طلبه، ولذلك كان يسير الليلَ ويستريح النهار. وتلك أيضًا عادةُ العرب في سيرها وقت الحر، وقد كانت الهجرة في زمن الحر.

الهجرة مفارقةُ الوطن على نية عدم الرجوع إليه. وأسبابُها تارة تكون للطمع في نفع يحصل للمهاجر في الموطن الذي ينتقل إليه، وتارة من كراهية الإقامة في الوطن لعداء بين المهاجر وقومه أو لأذى لحقه منهم، وتارة لنشر دعوة أو إظهار فضيلة أو استنصار على عدو أو غير ذلك، فهي أخصُّ من السفر ومن التغرب؛ لأن في السفر والتغرب أملَ العود إلى الوطن. وأيًّا ما كانت غايتُها ومنفعتها، فإنها شديدةُ المضاضة على النفس؛ لأن في مفارقة الوطن مفارقةً لأعلق البقاع بالقلب مما شب فيه المرءُ وأَلِفه، ومفارقةَ قرابته وجيرانه وأحبته،

٥. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١/ ٢، ص ٩٧؛ صحيح البخاري، «كتاب مناقب الأنصار» ، الحديث ٣٩٠٥، ص ٦٥٧٠ واللفظ لابن إسحاق.

وقد قال أبو الطيب وأجاد:

وَلَوْلَا مُفَارَقَةُ الأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ ●● لَهَا المَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا[٦]

وسَمَّاها القرآنُ فتنةً في قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] ، قال المفسرون: أراد إخراجَ المؤمنين من بلادهم مكة.[٧]

ثُمَّ إن أسْمى غايةٍ يفارق المرءُ لأجلها وطنَه، وأقوى سببٍ يَحْدُث عنه الشقاقُ بين المرء وذويه، هو الذبُّ عن الاعتقاد إذا بلغ عنادُ المخالفين فيه إلى حدِّ تحجير إظهاره والمضايقة فيه، ومحاولة الإرغام على تركه، والتظاهر بما يخالفه. وإن المرء ليضجر لو أُغمضت عيناه أو سُدت أذناه وما هما إلا بعضُ مظاهر إدراكه، فكيف به إذا سُدَّ عليه قلبُه وعقلُه ورأيُه؟

وإن أسمى العقائد وأقدسَ الآراء عقيدةُ الدين لتعلقها بأشرف الموجودات، ولتجردها عن الغايات المادية والمنافع العاجلة التي تلائم هناءَ المرء في عيشه ومسالمة دهماء قومه إياه. فالاعتقاد الديني اعتقادٌ محبوب لأجل كونه حقًّا بحتًا، ولأجل كونه يرضي خالقَ الخلق.

---

٦. لَهَا اسم جمع لَهَاة بفتح اللام، وهي الحلق. والمنايا جمع منية، وهي الموت. وقد جمعها باعتبار متعلقاتها، وهي نفوس الأحياء، وأثبت للمنايا حلوقًا، لأنه قدر تشبيهَها بسباع تبتلع الأرواح على طريقة الاستعارة المكنية. المصنف. ما ذكره المصنف هنا من بيان لمعنى البيت مبني على قراءة ابن القطاع للفظ لها. وقد أثبت البرقوقي البيت بناء على قراءة أخرى للفظ «لَها» ، وذلك على تقدير أنها مركبة من لام الجر وضمير المؤنث متعلِّقًا بالمنايا أو بالمفارقة. وعلى ذلك يكون المعنى: «لولا الفراق لما كان للمنايا طريق إلى أرواحنا» . والبيت هو الثالث من قصيدة قالها المتنبي في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي المنبجي. ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، ج ٣، ص ٢٨٢ ٢٨٣.

٧. قال الطبري: "فإنه يعني بذلك المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة، فقال لهم جل ثناؤه: وأخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم وقد أخرجوكم من دياركم، من مساكنهم كما أخرجوكم منها" . جامع البيان، ج ٣، ص ٢٩٣.

وقد كانت الهجرةُ في الله للتمكن من تبليغ شرائعه، وكان الأذى في الله لأجل ذلك سنةً من سنن المرسلين، فما من رسول إلا وقد أوذي في الله، وكذلك كثيرٌ من أصحاب الرُّسل أوذوا وهاجروا معهم وبدونهم. ولما بعث الله محمدًا ﷺ واتبعه مَنِ اتبعه من قريش وتكاثروا، وحاولوا إظهارَ دينهم بين مشركي أهل مكة، لم يرض المشركون بذلك، وكشَّروا للمسلمين عن أنياب العدوان، وأخذوا يؤذون المسلمين بصنوف من الأذى كانت تزداد يومًا فيومًا بمقدار رسوخ المسلمين في الاستمساك بدينهم.

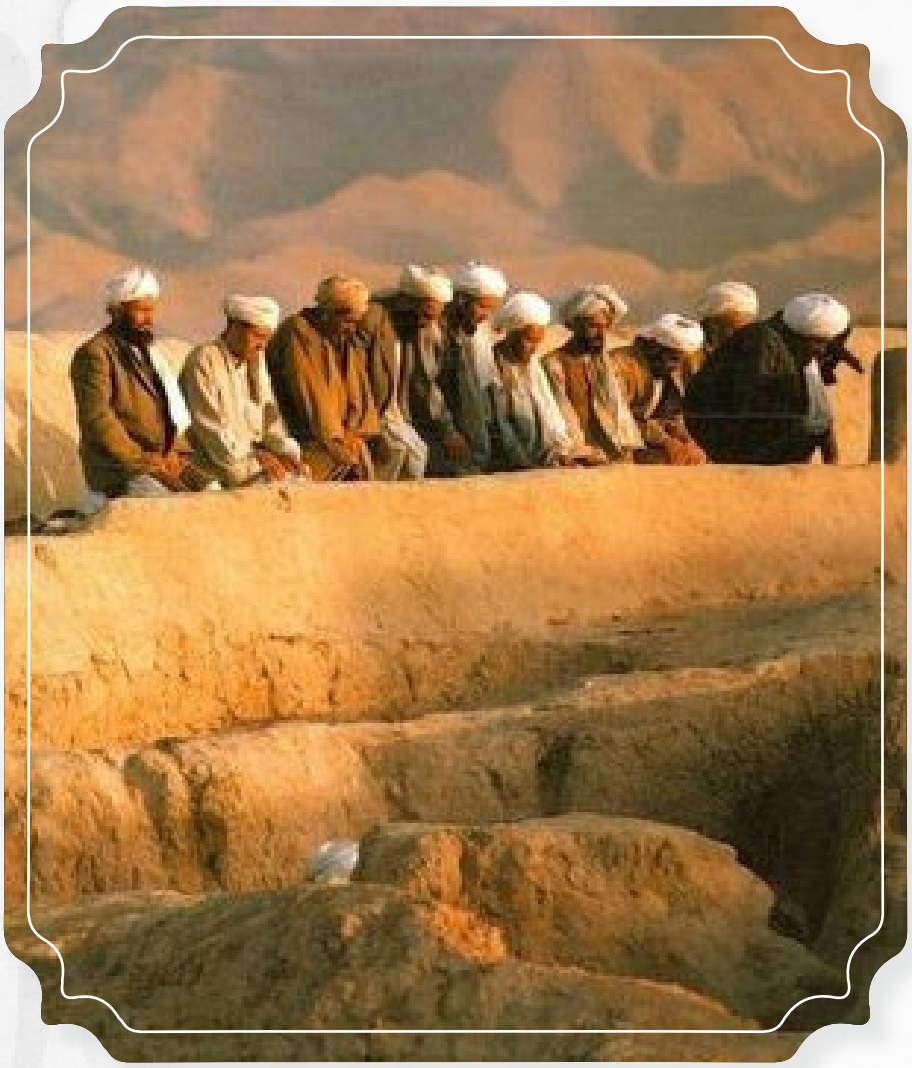

وكان المسلمون صابرين على أذى المشركين، حتى إذا بلغ الصبرُ غايته أذن رسولُ الله في سنة خمس لطائفة من المؤمنين المستضعفين والمقصودين بخاصة الأذى بالخروج من مكة. ولم يخرج رسول الله حينئذ؛ لأنه في منعة بعمِّه أبي طالب، فقال لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه».[٨] فخرج من المسلمين يومئذ ثلاثة وثمانون رجلًا وتسعُ عشرة امرأة، فتلك الهجرة الأولى.

٨. قال ابن إسحاق: «فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد. وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة كانت في الإسلام» . ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١/ ١، ص ٢٥٥؛ السهيلي: الروض الأنف، ج ٢، ص ٩٠.

ثم لمَّا أسلم الأوس والخزرج، أذن الله لرسوله وللمؤمنين كلهم بالهجرة من مكة إلى المدينة دار الإسلام، وقد قيل: إن ذلك كان باقتراح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٩]. ورجع مهاجِرَةُ الحبشة إلى المدينة، فكان حكم الهجرة من مكة واجبًا على كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢] ، ودام ذلك الحكم إلى فتح مكة.

كم من حكمة لله تعالى فيما اشتمل عليه حادث الهجرة من الأحوال، وكم من نعمة أسداها لعبده ورسوله في تلك الهجرة، دلَّ بها على أنه بمحل عنايته وأنه متمم نوره ولو كره الكافرون، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] .

١ **الحكمة الأولى** صرفُه ألبابَ قريش وحذقَهم عن أن يفكروا في قطع دابر أمر الإسلام قبل أن يكثر أتباعه ويُنتدَب له أنصارُه، وتشتيتُه رأيَهم في صده عن الخروج حتى مكنه الله منه، وفي ذلك اليأس تهيئةٌ لهم نحو الدخول في الإسلام.

٢ **الحكمة الثانية** أن هيأ له أن تكون هجرتُه إلى يثرب، ولم يكن ذلك في باله أول وهلة، ففي الصحيح عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخلٌ فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هَجَرُ، فإذا هي المدينة يثرب»[١٠]. من تيسير الله أن ساق إليه النفر الستةَ الأولين من الأوس الذين أسلموا من أهل يثرب، فإن موقع المدينة كان وسطًا من أرض العرب، فكان بلوغُ دعوة الإسلام إلى بلاد العرب بانتشار شعاعي، وهذا أيسر عمومًا مما لو كانت دار الهجرة اليمامة أو هجر في الطرف الشرقي من بلاد العرب.

---

٩. لم يتهيأ لي التعرف على صاحب هذا القول.

١٠. صحيح البخاري، "كتاب مناقب الأنصار"، ص ٦٥٥؛ صحيح مسلم، "كتاب الرؤيا"، الحديث ٢٢٧٢، ص ٨٩٥.

٣ **الحكمة الثالثة** أن أهلَ يثرب كانوا أقرب قبائل العرب لقبول شريعة الإسلام؛ فإنهم وإن كانوا قبل الإسلام مشركين يعبدون مناة وغيرها، إلا أنهم لشدة مخالطتهم لليهود وهم أهل كتاب كانت آذانهم قد اعتادت معاني التوحيد والشرائع، فكانت نفوسهم مرتاضة إلى ذلك.

٤ **الحكمة الرابعة** أن الله جعل للمسلمين من أهمية موقع المدينة من بلاد العرب سلطانًا على أعدائهم من قريش أهل مكة؛ فإن قريشًا كانوا تجارًا وكانت لهم رحلةٌ في الشتاء إلى اليمن للتجارة وأخرى في الصيف إلى الشام، سن لهم ذلك هاشم ابن عبد مناف جد النبي ﷺ ، وذلك هو المسمى بالإيلاف.[١١] وكان مرورُهم إلى الشام على طريق المدينة من بطن عالج، فلما صارت المدينةُ دارَ سلام وثبتت العداوة بين أهلها وبين قريش صارت قريشٌ ترهب المرورَ على المدينة، فانقطعت تجارتهم إلى الشام، وهي أهم تجارتهم. وفي ذلك المعنى قال حسان بن ثابت مهددًا لقريش:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّأْمِ قَدْ حَالَ دُونَهَا ●● جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ المَخَاضِ الأَوَارِكِ[١٢]
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ ●● وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي المَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتْ لِلْغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ ●● فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكِ[١٣]

---

١١. انظر في مغزى الإيلاف من النواحي التاريخية والاجتماعية والحضارية، سحّاب، فكتور: إيلاف قريش: رحلة الشتاء والصيف (بيروت: المركز الثقافي العربي، (١٩٩٢) .

١٢. الأوارك التي تأكل الأراك فيجرح لها أفواها فيسيل منها الدم. المصنف.

١٣. ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ٨٥ . وفيه «ذرُوا» بدل «دعوا» ، و «هبطت» بدل «سلكت» ، و «رمل عالج» ، بدل «بطن عالج» .

٥ **الحكمة الخامسة** انتقال الإسلام من طور إلى طور أكمل منه، وهو الذي كان مقدمة كماله المعلن عليه يوم حجة الوداع بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] .

مضت مدةُ إقامة رسول الله بمكة والإسلام حينئذ في طور كان فيه دينًا مقتصرًا على إصلاح العقيدة، وتهذيب نفوس أتباعه، وتطهير أخلاقهم في خويصتهم ومجتمعهم، ودعوة المشركين إلى الإيمان بالله ورسله وما جاؤوا به، وتشهير فضائع أهل الشرك وضلالهم وسخافة رأيهم.

وذلك طورٌ ابتدأ الله به الإسلام لينشأ منشأ سائر الكائنات من طفولة إلى شباب إلى كهولة: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] ، ولتهيئة قلوب المسلمين إلى تلقي الشرائع وانتظام الجماعة. فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تطوَّر الإسلامُ إلى طوره الأشد، فصار دينًا وجامعة، وشريعة وحكومة.

٦ **الحكمة السادسة** استقلال الإسلام وأمنه وإعلان العبادة، فشرع الأذان، وأقيمت الجمعة، ونحو ذلك.

٧ **الحكمة السابعة** تنظيم الجماعة في الإسلام من أول الهجرة بابتناء المساجد وإقامة الأئمة والقضاء، ومشروعية المواساة بين المسلمين بالزكاة والصدقات، وتنظيم قوانين العائلة من شرع تصحيح عقود الزواج وحقوق الزوجين والقرابة والمصاهرة إلخ، والاستخلاف في تدبير الأمور وإقامة الأحكام في مغيب الرسول أو في البعد عنه، وابتداء التشريع العام في أحكام المعاملات والجنايات. ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل بين ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام» .

٨ **الحكمة الثامنة** تنظيم الدفاع عن الدين والأمة بالتهيّؤ لمقاومة المشركين من أهل مكة وأحلافهم إذا نووا ذلك، وهم يوشكون أن ينووه إذ هم من قبل قد ناوءوه.

٩ **الحكمة التاسعة** إيجاد مال للمسلمين لإقامة مصالحهم وعُدَّةً لنوائبهم، مجتمعًا من الزكاة والأوقاف، ثم من المغانم والأنفال.

١٠ **الحكمة العاشرة** مخاطبةُ ملوك الأرض ورؤساء الأمم بالدعوة إلى الدخول في دين الإسلام، والاستظلال بالراية الإسلامية.

التهيئة لمباحثات قيام الدولة

الأستاذ منير الغضبان*

رحمه الله

قال كعب بن مالك: «خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا.. وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا. فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد الرسول ﷺ إيانا العقبة، فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً.

* منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص١٦٢ وما بعدها، ط: مكتبة المنار/الأردن، ط: ٦، ١٤١١هـ.

فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار: الخزرج: خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده. فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت»[1].

ونلاحظ من خلال هذا العرض الملاحظات التالية:

١ لقد تمت التهيئة لمباحثات قيام الدولة في أعمق تخطيط سياسي شهده التاريخ حيث انبثقت دولة الإسلام، وحُددت معالمها وقيادتها وهي جزيرة ضعيفة وسط خضم من الشرك مثله العرب جميعاً من حجاج منى أولاً، ثم دولة مكة المشركة ثانياً، ثم قيادة المشركين من أهل يثرب ثالثاً، ثم دولة اليهود في المدينة رابعاً. ووسط هذا العدو العاتي والمحيط بالمسلمين من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم، وسط هذا الخضم انبثقت دولة الإسلام الأولى في التاريخ.

١. تهذيب السيرة، ص١٠٣ و١٠٤ و١٠٥.

٢ لقد كان المسلمون البالغ عددهم بضعة وسبعين ضمن وفد من المشركين قوامه نحو ثلاثمائة. وهذا يعني صعوبة الحركة والتنقل والاتصال، فما من مسلم إلا وحواليه عدد من المشركين يراقب تنقلاته وتحركاته، ومع ذلك فلقد كانت السرية المضروبة على التحركات خلال الحج من أعجب العوامل التي أدت لنجاح المخططات. تمت الاتصالات بين قيادة مكة المسلمة المتمثلة برسول الله ﷺ، وقيادة المسلمين في المدينة، وحُدد موعد اللقاء ومكانه، وتم اللقاء نفسه دون انتباه أحد، ودخل بعض الأعداد الجديدة في الإسلام خلال هذه الأيام المعدودة. ولعل من أهم أحداث هذه الأيام انضمام زعيمين من أكبر زعماء المدينة للإسلام هما البراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام.

وتشير بعض الروايات إلى أن رئاسة الوفد كله مسلمه ومشركه قد انتهت إلى البراء بن معرور وطالما أنه قد أسلم فهو الذي يقوم بتحديد اللقاءات المقررة، واختار كعبا ليرافقه بصفته الشاعر المشهور والمعروف عند قريش.

٣ وكانت الخطوة الثانية من التخطيط العبقري هو الخروج المنظم لموعد الاجتماع وكما يقول كعب: «حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا[٢] مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو، وتم الاجتماع لهذا العدد الضخم الذي انسل من معسكرات المشركين دون أن ينتبه لهم أحد.

٢. القطا: طائر مشهور بخفة حركته.

٤ وكانت الخطوة الثالثة من التنظيم المحكم كما تشير بعض الروايات إلى تأمين حراسة الشعب بحيث لا يدري أحد بالأمر.

يقول المقريزي: وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس وهو على دين قومه، وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما، فأوقف العباس علياً على فم الشعب عيناً له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً له. فلم يدرِ حتى المهاجرون بهذا اللقاء السري إلا من كان له مهمة خاصة في الحراسة والمراقبة وهما: علي وأبو بكر رضي الله عنهما.

٥ وكان حضور العباس وحديثه وهو على دين قومه - كما يظهر - ضرورة سياسية، فهو الذي يحمل عبء حماية النبي ﷺ، فلا بد أن يتوثق من مستوى هذه الحماية الجديدة ليطمئن عليها، وإلا فلن يفرط بابن أخيه، ولعل هذا يشير إلى إمكانيات اشتراك بعض الشخصيات غير الإسلامية إذا كانت مناط ثقة تامة من القيادة في عملية تغيير سياسي لصالح الإسلام أو يمكن القول إنها في ظاهرها موالية للسلطة الحاكمة أما حقيقة ولائها فهو للقيادة المسلمة، خاصة إذا كان لها دور رئيسي في التحرك، كقيادة مجموعة سياسية في عملية تغيير سياسي، بل بإمكانها أن تشارك في وضع الخطة وتنفيذها عندما تكون ذات خبرات عريقة. فلقد شارك العباس رضي الله عنه في تنفيذ هذا اللقاء كما تشير الرواية، وهو الذي أمر أبا بكر وعلياً بوقوفهما على الطرق المؤدية للشعب.

إن من حق القيادة بل من واجبها أن تستفيد من الخبرات والطاقات الإسلامية وغير الإسلامية عندما تدين لها بالولاء والطاعة، بل تشركها بالتخطيط والتنفيذ عندما تجد ضرورة لذلك.

البيان السياسي (البيعة)

روى الإمام أحمد عن جابر مفصلاً: «...قال جابر: قلنا يا رسول الله علام نبايعك؟ قال:

١ على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢ وعلى النفقة في العسر واليسر.

٣ وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم.

٥ وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة[٣]».

وفي رواية كعب - التي رواها ابن إسحاق - البند الأخير فقط من هذه البنود ففيه: «قال كعب: فقلنا له (أي للعباس): قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. فتكلم رسول الله ﷺ، وتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (نساءنا) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب، وأبناء الحلقة ورثناها كابراً عن كابر.

فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم»[٤].

كانت البنود الخمسة للبيعة من الوضوح والقوة بحيث لا تقبل التمييع والتراخي؛ فالبيعة على الإسلام شيء، والبيعة على إقامة دولة الإسلام شيء آخر، وإن الرجال الذين يعدون ليكونوا أفراداً مغمورين في عداد المسلمين شيء، والذين يعدون لتقوم دولة الإسلام بسواعدهم وأرواحهم وأموالهم ودمائهم شيء آخر، ويكفي أنها مضت في التاريخ أن البيعة الخالية من الحرب والجهاد ومنها بيعة العقبة الأولى كانت تسمى بيعة النساء، أما هذه البيعة فبيعة الحرب. ومع ذلك فليست حرب الإبادة، وليست حرب الإفناء بل الحرب المخططة المحكمة، المحددة الأهداف، التي ترتبط بالنصرة بعد وصول القيادة النبوية للمدينة.

---

٣. السيرة النبوية لابن هشام، ج٢ ص ٨٥.

٤. الرحيق المختوم للمباركفوري، ص١٦٦.

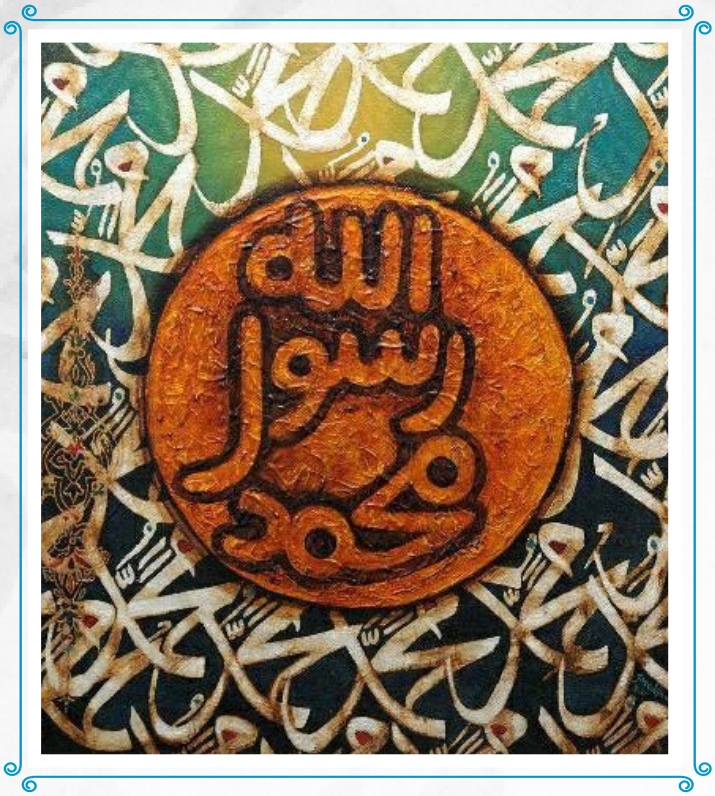

إن كل قطرة دم يجب أن تراق ضمن هدف، لا أن تراق لانفعال عاطفي، أو غضبة جارفة وإذا جد الجد فالإسلام عديل الروح بل هو أغلى منها لأنه يضحى بالروح والدم والمال من أجله وتحمى القيادة الإسلامية كما يحمي المرء زوجه وولده ونفسه.

وسرعان ما استجاب قائد الأنصار - دون تردد - البراء بن المعرور قائلاً: «والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ونساءنا فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثاناها كابراً عن كابر».

والبراء هو المفوض الرسمي، وهو رئيس الوفد المفاوض، وهو الذي أسلم بنشاط الدعاة على الطريق، وها هو يعرض إمكانيات قومه لرسول الله ﷺ: قومه أبناء الحروب والسلاح. إن هذا يعني بالنسبة للحركة الإسلامية أن نعرف أولاً الطاقات القتالية عندها من جهة، وأن تعرف من جهة ثانية كيف نوجه هذه الطاقات في أحسن سبيل فيكون صاحب الكفاءة مكانه، وأخو الحرب في مجاله، بل عليها أن تستدعي الطاقات الإسلامية والنصيرة من كل صقع لتؤدي الدور المطلوب. وكلما كان أصحاب هذه الطاقات قد خاضوا تجارب عملية، وحروبا فعلية، كلما كانت قدرتهم على التخطيط العسكري والمواجهة الحربية أكثر.

والأوامر شيء والمفاوضات شيء آخر، فلقد اعترض أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه وهو المسلم العظيم على أمر مهم قبل البيعة، وكان لا بد من طرحه بصراحة ووضوح: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم.

ويا لها من مفاوضات نادرة في التاريخ بين جندي وقائد بل بين مسلم ورسول. إن طبيعة المعركة تقتضي أوضاعاً جديدة، وإن حمل السلاح يعني الحرب الضروس التي تأكل كل شيء.

فالحركة الإسلامية اليوم على سبيل المثال قبل أن تتبنى الجهاد وقبل أن تحمل السلاح كانت آمنة، وكان شبابها في وظائف الدولة يملؤون فجاجها، بل مرت مرحلة وصل بعض شبابها إلى مجلس الشعب - كما يسمونه - ولكن في خدمة النظام الجاهلي الكافر. كما أنه لم يكن أحد يعلن أنه جزء من الحركة الإسلامية والذي يؤخذ من السلطة على أنه منها إنما يؤخذ على سبيل الحدس والظن.

كان هذا الواقع قبل البيعة على الجهاد، أما بعدها فانقلبت الصورة كاملة، لقد أصبح مجرد الظن باشتراك فرد في عملية، أو شروعه وتفكيره بالانضمام إلى التنظيم المسلح يعني الحكم بإعدامه وإبادته، بل أكثر من ذلك الحكم بإبادة أقاربه وعائلته. وانطلاقاً من هذا الواقع، فليس من حق القيادة أن تتخلى عن هذا الطريق، وتترك جنودها يبادون وحدهم في العراء، أن تصالح لنفسها، أو تأخذ أماناً لنفسها وتترك الفاجعة تأكل شبابها وشيبها.

هذا هو مفهوم اعتراض أبي الهيثم بن التيهان رضي الله عنه. لأن قطع العهود مع اليهود تعني الحرب عليهم، فإذا تخلى رسول الله ﷺ عنهم ومضى إلى مكة فهذا يعني ترك المسلمين تحت رحمة اليهود يفعلون بهم الأفاعيل، ويستأصلون أخضرهم ويابسهم. فإذا كان من حق أبي الهيثم رضي الله عنه أن يناقش رسول رب العالمين بهذا الأمر، فأي قيادة في الدنيا مهما ارتفعت تكون فوق النقاش؟ وأي قائد في هذا الوجود هو أكبر من المحاسبة؟!

وليعلم كل جندي في الحركة الإسلامية أن من حقه أن يعترض مثل هذا الاعتراض على قيادته إن انسحبت من المعركة، وتركته يتلوى وحده في النار. إن كل قطرة دم تراق بأمر القيادة هي في عنقها ستسأل عنها يوم الدين فيم أراقتها؟ ولمَ لمْ تحافظ عليها من الضياع؟

وماذا كان جواب سيد الخلق لجندبة ابن التيهان؟ قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم. ويا له من نداء خالد تردده أصداء الوجود!

القيادة جزء من القاعدة، والقاعدة جزء من القيادة، شركاء متلاحمون منصهرون في المغرم والمغنم، دمهم واحد، ومصيرهم واحد، ونكبتهم واحدة، وحملهم واحد. لقد أبدى رسول الله ﷺ استعداده وهو الطرف القائد المفاوض أن يشن الحرب على من حارب جنده، ويسالم من سالمهم، جعلهم الأصل في الحرب والسلم.

وملاحظة أخيرة للجنود في الدعوة نفقهها من هذه النصوص هي أن الأنصار رضي الله عنهم اكتفوا بملاحظة أبي الهيثم واعتراضه، وكان معبراً عن رأيهم جميعاً، وكان الرد عليه من رسول الله ﷺ على أنه ممثل لهم جميعاً.

لقد كان الاعتراض منهجياً شرعياً لا غوغائياً فوضوياً وهذا يعني الحركة المنظمة كثيراً بأن تكون طريقة النقد والاعتراض والمحاسبة ضمن المعابر الشرعية والتنظيمية، لا من خلال الفوضوية والفردية بحيث يتكلم كل أخ على هواه. وبمثل المعابر الشرعية التنظيمية في الحركة الإسلامية اليوم مجلس شوراها المنبثق عنها. فهو الذي يحقق صورة النقد الشرعي البناء، وهو الذي يحاسب القيادة ويناقشها ويطرح ملاحظات القواعد عليها، وعلى القيادة أن تستجيب لأية تساؤلات، وترد على أي اقتراح، وبذلك يضمن التنظيم قوته وتلاحمه واستمراره.

تأملات في الهجرة

الرئيس علي عزت بيجوفيتش*

رحمه الله

إن الحقائق التاريخية التي عادة ما نسميها بالهجرة معروفة لعموم المسلمين: اضطرت جماعة صغيرة من المسلمين، بقيادة رسول الله محمد ﷺ إلى ترك ديارهم في مكة المكرمة وهاجرت إلى المدينة المنورة، كما تركت وراءها كل ما كانت تملك وحملت معها إيمانها وحده. وقع ذلك في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية، أي في شهر سبتمبر سنة ٦٢٢م.

---

* كتبت المقالة في شهر مارس سنة ١٩٧٨ م . رئيس البوسنة الأسبق/ علي عزت بيجوفيتش، عوائق النهضة الإسلامية، (ص١٢٩-١٣٣)، ترجمة حسين عمر سباهيتش، ط: جمعية قطر الخيرية، ١٩٩٦م.

قد دُونت هذه الواقعة التي كانت وما زالت مصدر إلهام لخيال وقرائح البشرية، في روايات تقدم كثيراً من الأحداث المثيرة والحزينة. ولا شك أن قصة الغار أكثر هذه الأحداث إثارة، وذلك عندما اتخذت العنكبوت بيتها على مدخل الغار، ثم وضعت الحمامة عشها لكي تضلل الطريق على المطارَدين، وفي تلك اللحظات المصيرية قال النبي ﷺ كلماته العجيبة تلك لرفيقه أبي بكر الصديق: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠]

إننا لنحتار اليوم أي معاني الهجرة النبوية يجب أن نُبرز بصورة خاصة عندما نتأمل هذه الواقعة وآثارها العظيمة، ونحن نتأمل في أحداثها حادثة حادثة من هذه المسافات التاريخية، عندما تنصب نهاية القرن الهجري الرابع عشر في بداية القرن الخامس عشر؟ في أي واقعة من وقائع الهجرة تكمن أهميتها الكبرى؟

يمكننا الحديث، على سبيل المثال، عما كانت تعنيه الهجرة النبوية في تقدم الفكر الإسلامي باعتباره منهج الحياة . وفي كل مرة سنتيقن من جديد أن الهجرة كانت نقطة فاصلة في التاريخ الإسلامي، وأهم لحظة على مدى ثلاث وعشرين سنة من نزول القرآن الكريم. إن الهجرة النبوية تعني لتاريخ الإسلام ما يعنيه شروق الشمس للطبيعة، لأنه - على الرغم من إسفار فجر الإسلام تلك الليلة في مكة عندما نزل الوحي الأول - لم تشرق الشمس بكل ضيائها إلا في المدينة، فمع الهجرة تحول الإسلام من حركة روحية محضة - حتى تلك اللحظة - إلى جماعة إسلامية، ليتحول منها إلى بدايات تكوين المجتمع والنظام والدولة.

لذلك إذا أردتم الوقوف وجهاً لوجه مع أسرار الإيمان بالله، وأن تغوصوا في البحر اللجي الإيماني، عليكم بقراءة بعض السور القرآنية المنزلة في مكة المكرمة. ولكن، إن أردتم معرفة الإسلام بصفته مجموعة القوانين أو نظام الدولة، فلا يمكنكم الوصول إلى مرامكم من غير تأمل السور المدنية.

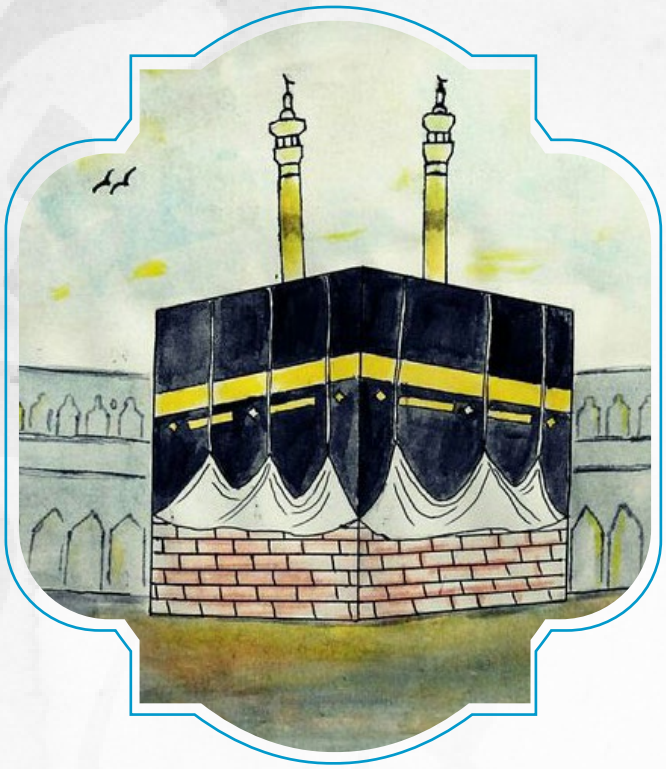

والهجرة النبوية رابط بين مكة والمدينة، وهي معالم في هذه الطريق، وجبل مُشرِف ترون منه المرحلة قبله والمرحلة بعده، اللتان معاً فقط تكونان ما نسميه بالإسلام. لذلك تظل الهجرة المرحلة الحقيقية الأولى لعصر جديد، عصر الإسلام.

هذه هي التأملات الوحيدة الحقيقية والواقعية في الهجرة النبوية، ولكن يمكن أن نلاحظ هنا شيئاً آخر على نفس الدرجة من الحقيقة والواقعية، لنتخذ منه العبرة:

نعم، لقد هاجر المسلمون من مكة، ولكنهم عادوا إليها! لم تمضِ ثماني سنوات حتى عادوا إليها فاتحين منتصرين. إنهم حولوا قبلة الشرك والخرافة إلى القبلة العالمية لدين الله الحق، وعند خروجهم من مكة تحت ضغوط المشركين كانوا أقوياء روحياً، ولكن ضعفاء مادياً. وعندما عادوا إلى مكة كانوا أقوياء روحياً ومادياً. إذن، رسالة الهجرة واضحة: إنهم يهاجرون، لا ليهربوا مثل الوحوش من الصيادين، ولكن ليستعدوا للعودة. هذه هي الهجرة الحقيقية!

ولكن، كلما أمعنا النظر في الهجرة النبوية، استأثر بمجامع عقولنا الجانب الداخلي، الجانب الإنساني للهجرة، لا الجانب الخارجي. وذلك لأن المعالم التاريخية لهذا الجانب الإنساني تبدأ تضعف وتتلاشى مع تقادم الزمن، وبدأنا نبذل جهوداً لنميز بين وجوه أولئك الصحب الذين شاركوا في هذه الرحلة الشهيرة.

إن أسمى وأعظم حقيقة في هذه الهجرة هؤلاء الرجال وإخلاصهم لله وتضحيتهم من أجل الإسلام!

ولا يسع الإنسان إلا أن يتحسر على كونه لا يملك حساً شاعرياً مرهفاً ليُلبس هذا الوصف الجاف بقصة مثيرة عن جيل الشجعان الذين عاشوا للإسلام. ولكن حتى من غير هذه الملكة تتوارد الأسئلة من تلقاء نفسها: من كان هؤلاء الرجال الذين تركوا ديارهم لمجرد أن دعاهم النبي ﷺ إلى ذلك، وراحوا يبحثون عن ديار جديدة

للإسلام قبل أن يبحثوا عنها لأنفسهم؟ ما كانت حقيقة أولئك الرجال؟ لماذا يختلفون عنا كل هذا الاختلاف؟ وخاصة: من نكون نحن عند مقارنتنا بهم؟

قد نجيب عن أكثر هذه الأسئلة على مضض، وخاصة عن السؤال الأخير، لأن الأجوبة ستكون هزيمة شخصية لنا. وإذا كانوا هم المسلمون الخلص، فهل نحن اليوم مسلمون حقاً؟ وهل لنا حق في القول بأننا ننتمي إلى شجرة هذه الدوحة الإسلامية العظيمة؟

إنهم - مثلنا - نطقوا بشهادة الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبينما نحن نردد الشهادة كانوا هم يعتقدون فيها. إنهم أكدوا انتماءهم إلى هذه الشهادة في حياتهم بتضحيتهم وهجرتهم وبكل ما تلا تلك الهجرة. وعلى نقيض ذلك، إننا نؤكد كل يوم تخاذلنا وسلبيتنا وسعينا وراء النجاح والمنصب والمال والسمعة بأننا لا نصدق إلا بما نراه بأم أعيننا.

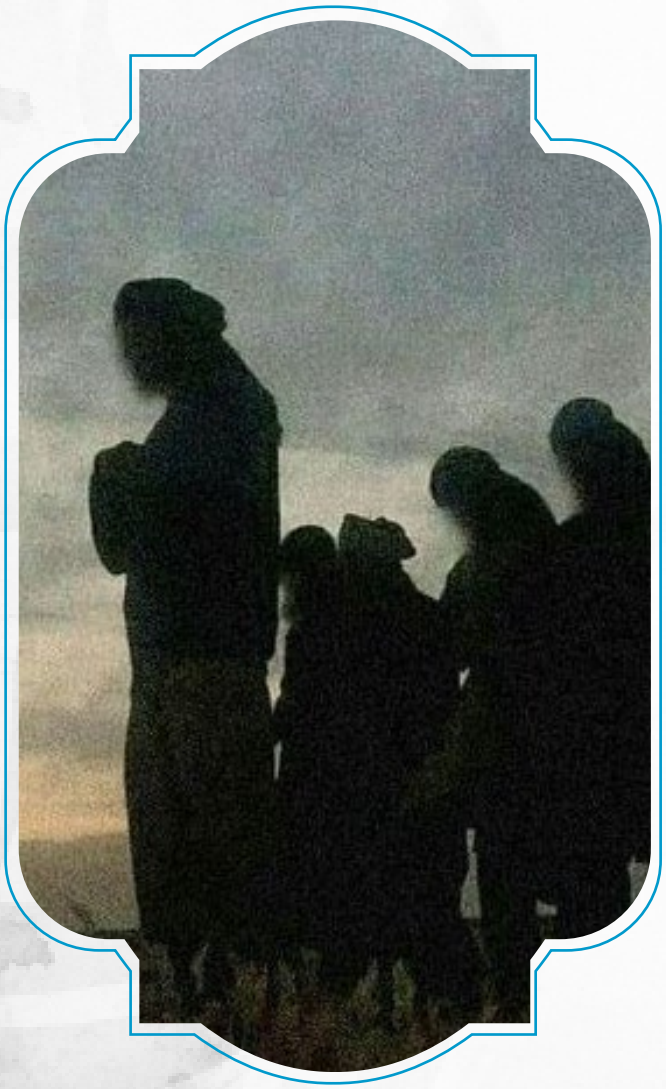

إنهم ضحوا بحياتهم من أجل الإسلام، بل وأكثر من ذلك إنهم عاشوا للإسلام، بينما نحن نموت من الخوف والسكتة القلبية والحوادث المرورية والسمنة والترهل والأزمات العصبية ونعيش من اليوم للغد! وبعبارة موجزة، كان الصحابة لا تخشى إلا الله، وأما نحن فلا نخشى إلا الناس؟ الفرق، كما نرى، شاسع، والنتائج كذلك.

وعندما نتأمل ابتلاء ومحن الجيل المسلم الأول، والهجرة واحدة من تلك المحن، قد يتساءل كثير منا: ما السر في ابتلاء الله رسوله ﷺ وهذه العصبة الصغيرة معه؟ وقد تحملوا قبلها صنوفاً من الإهانة، ثم ثلاث سنوات من المقاطعة والجوع، ثم أجبروا أخيراً على ترك ديارهم ومدينتهم؟

إن الله، عز وجل، وهو العزيز القادر، يستطيع بكلمة واحدة أن يهلك المشركين وقوتهم، أو يرسل عليهم المرض أو يقذف في قلوبهم الرعب والضعف، أو يزيل، بطريقة أو بأخرى، جميع العوائق على طريق هذه العصبة المؤمنة التي كانت تتلفظ باسمه، جل شأنه، بكل هذا الحب ليكون طريق رسالتها سهلاً ممهداً؟

ولكن الله لم يرد لها ذلك، بل ابتلى هذه الجماعة الصغيرة بكل هذه المحن القاسية التي سمعنا عنها كثيراً. لماذا؟ يبدو أننا لا نملك إلا تفسيراً واحدا: إن الله، وهو رحيم قادر، أراد التمييز بين الصادقين وغيرهم، بين المخلصين والمنافقين، بين الثابتين والمتذبذبين. وذلك لأن الوضع العالمي العام كان يتطلب تطهير العالم وتغييره وتنظيمه على أسس جديدة.

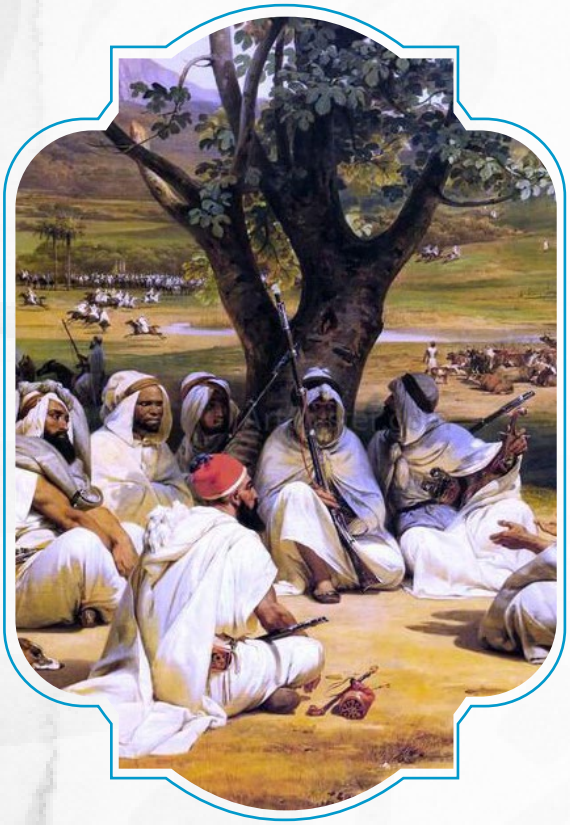

إنّ الإنسانية وحضارتها وصلتا إلى أقصى نقطة الانحراف، وكان لا بد من مرور المحراث الحديدي ليطهر كل هذا التعفن والمستنقع، لتزرع بذور حضارة جديدة في أرض صالحة.

من كان قادراً على حمل هذه الرسالة؟ لم يكن ذلك في مقدور أي جيل عادي، بل كان لا بد من جيل يستحق شرف هذه الرسالة. وقد اختار الله في مكة لذلك الشرف جيل الهجرة دون سواهم. إنهم أكدوا استحقاق ذلك الشرف التاريخي الفريد بإخلاصهم لدينهم واستعدادهم للتضحية.

لا يسع المجال هنا لذكر كل التحولات العظيمة التي حدثت بعد ذلك على مسرح التاريخ في العالم وقتئذ. انهارت أكبر دولتين إلى الأبد، نشأت مدن جديدة، اجتاحت العالم نهضة أخلاقية هائلة، واكتشف الإنسان مجالات جديدة في عالم المعرفة؛ بإيجاز شديد نشأت حضارة جديدة. ومن الضروري أن نبرز هنا بأن بذرة هذه الحضارة الجديدة كانت تلكم العصبة القليلة من المسلمين، التي هاجرت سنة ٦٢٢م إلى المدينة، وأنه لم تكن في العالم كله آنذاك جماعة تتساوى معها وترتقي إلى مستواها. إنها كانت تحمل في قلوبها الإيمان الخالص بالله، وكانت كل قوتها في هذا الإيمان، في هذا الإيمان وحده.

وهل علينا أن نطرح من جديد ذلك السؤال العابر: ما العبر والدروس المستفادة من الهجرة النبوية؟

وعلى الرغم من كل ما قلناه هنا سنجيب: **يتردد هذا الأمر بين الحقيقة والتساؤل. ذلك لأننا إذا أخذنا بلب هذه الواقعة، لا بد أن يتحول هذا السؤال إلى أمر واقعي اليوم مثلما كان بالأمس: هل سأجاهد من أجل الإسلام، أو سأكتفي بالتفكير في أموري الشخصية فقط؟**

وما كان يعنيه سؤال الخروج إلى الهجرة أو البقاء بالنسبة لأحد الصحابة - ويذكر التاريخ أن بعضهم اختار البقاء - فإنه بالنسبة لي اليوم يعني:

هل سأعمل لخير ومستقبل الإسلام، أو لمنفعتي الخاصة؟ لخير أولادي فقط أو لمستقبل أطفال العالم؟

إننا جميعاً نقف كل يوم أمام تساؤلات الهجرة، ويبقى السؤال كما هو، ولكن الأجوبة تختلف. على كل واحد منا أن يجيب، أمام نفسه وأمام الله، عن السؤال: هل هو مسلم حقاً؟

إن أجوبة صحابة الهجرة عن هذا السؤال معروفة، إلا أنهم لن يجيبوا بدلاً منا، بل يجب أن نجيب نحن بأنفسنا. ولكنهم قدموا لنا أروع مثال.. هذا المثال هو الهجرة.

ثلاث عشرة سنة للنبوة في مكة

الشيخ محمد سليمان سلمان المنصورفوري*

رحمه الله

يجب أن نتذكر أنه رغم أن عدد المسلمين لم يتجاوز في تلك الفترة عدة مئات، إلا أن النجاح الكبير تمثل في وجود مثل هؤلاء المؤمنين العظماء الكبار:

١ أبو بكر وعمر، وعثمان وعلي، رضي الله عنهم، الذين عُرفوا بفضيلة العلم، وقوة العمل، ويقظة الضمير وسمو الكفاءة، وهي صفات جعلتهم نبراساً للعالم كله.

٢ ومصعب بن عمير، وجعفر الطيار، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، بما لهم من أهلية وكفاءة فأسلم بدعوتهم أهل يثرب والحبشة ونجران.

---

* الشيخ محمد سليمان سلمان المنصورفوري، رحمة للعالمين، ص٨٣ وما بعدها.

٣ وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما اللذان عُرفا برواياتهم العلمية التي حوت مئات اللطائف العلمية.

٤ والزبير وطلحة وعمار بن ياسر رضي الله عنهم، ممن لم يعرف التاريخ مثلهم في الفداء وحب الحق، واستقامتهم على الحق.

٥ وبلال وسمية وياسر، وكعب وخباب الذين أنهكوا الظالمين الطغاة بثباتهم وصبرهم.

٦ والسكران وشموس وأم حبيبة وخنيس بما عرف عنهم من همة عالية، جعلتهم يؤثرون الإقامة في الحبشة تاركين أهلهم وأقاربهم ووطنهم، في سبيل الحفاظ على دينهم.

٧ ووليد وسويد بن الصامت الملقب بالكامل، وأنيس شقيق أبي ذر ممن بلغوا في الفصاحة والبلاغة مبلغاً عظيماً حتى إنهم كانوا يؤثرون في العديد من القبائل بخطبة أو قصيدة واحدة، ولم يُعرف أحد في الدنيا، فاقهم في معرفتهم للحقائق وفهمهم للمعاني واطلاعهم على سرائر النفس البشرية.

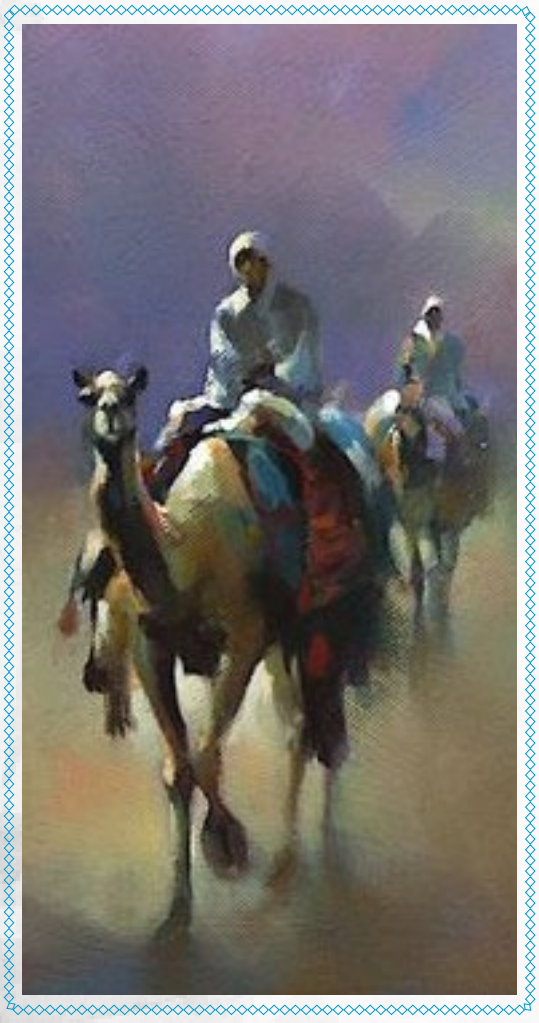

وفي تلك الأيام كان الإسلام قد انتشر خارج مكة أيضاً، ونذكر على سبيل المثال:

١ طفيل بن عمرو الدوسي، وكان ملكاً على منطقة باليمن، أسلم في مكة ونتيجة لإسلام طفيل انتشر الإسلام في ملكه أيضاً.

٢ أبو ذر الغفاري وأخوه أنيس وأمهما، ونصف قبيلة غفار.

٣ عشرون شخصاً من نصارى نجران.

٤ ضماد الأزدي، كاهن مشهور باليمن.

٥ قبيلة بني الأشهل.

٦ تميم ونعيم، وبعض سكان الشام.

٧ كثير من أهل الحبشة وغيرهم.

إسلام بريدة ومعه ٧٠ شخصاً

بينما كان النبي ﷺ متوجهاً إلى يثرب، لقيه في الطريق بريدة الأسلمي، وكان رئيس قومه، وكان قد خرج يبحث عن النبي ﷺ طمعاً في الحصول على الجائزة التي رصدتها قريش لمن يقبض على النبي، وكانت الجائزة مائةً من الإبل. إلا أنه حين مثل أمامه، وواتته الفرصة ليستمع إلى كلام النبي، أسلم من فوره مع سبعين رجلاً كانوا معه، ثم خلع عمامته وجعلها رايةً بيضاء ترفرف من فوق رمحه، تبشر بقدوم الأمين، حامي السلام، ناشر العدل والإنصاف في الدنيا، وفي الطريق لقي النبي ﷺ الزبير بن العوام، وكان قادماً من الشام، وكان معه تجار من المسلمين، فكسا النبي ﷺ وأبا بكر ثياباً النبي: بيضا[1].

وصل النبي إلى قباء يوم الاثنين[2] الثامن[3] من ربيع الأول عام ١٣ من البعثة الموافق ٣٢ سبتمبر ٦٢٢م والموافق ١٠ تشري سنة ٤٣٨٣ يهودية. وكان أهل يثرب حين سمعوا أن النبي ﷺ خرج من مكة، راحوا منذ الصباح الباكر يتوقعون قدومه المبارك، وظلوا جلوساً إلى ما قبل الظهر، ولم يكد هؤلاء يعودون إلى بيوتهم حتى وصل، واجتمع الناس على صياح رجل، كما سمعت الأناشيد ترحب بمقدم النبي ﷺ.

وصول النبي ﷺ إلى قباء

ولم تكن عيون معظم المسلمين قد اكتحلت برؤية صاحب الرسالة، وما كانوا يعرفونه من أبي بكر الصديق، حتى قام أبو بكر فأظل النبي بردائه فعرفوه[4].

وبقي رسول الله ﷺ في تلك البقعة إلى يوم الخميس، وكان أول عمل أنجزه أثناء إقامته في هذه الأيام الثلاثة[5] هو بناء مسجد لعبادة الله وحده لا شريك له.

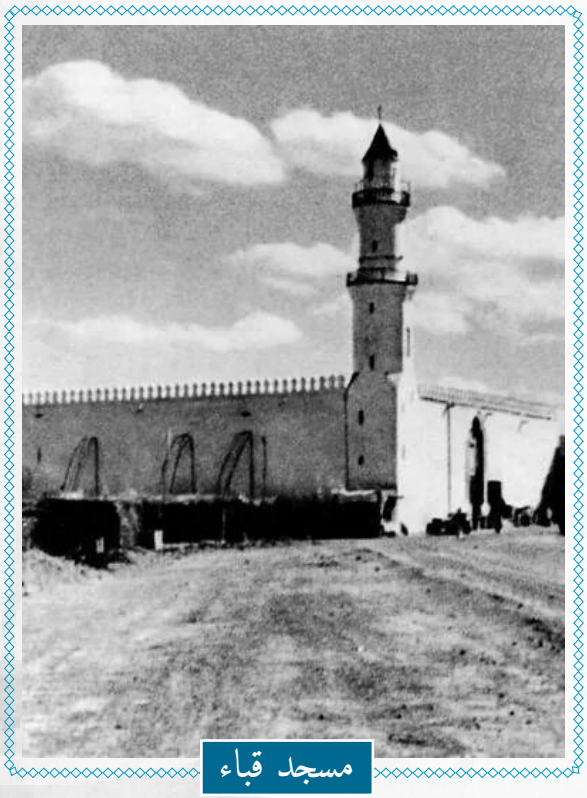

مسجد قباء

١. البخاري عن عروة هجرة النبي ﷺ. (٤/٢٥٧).
٢. صحيح البخاري.
٣. سرور المحزون لشاه ولي الله (متوفى ١١٧٤هـ)
٤. سيرة ابن هشام ٢/ ١٣٧.
٥. تفسير العلامة أبي السعود ج ٨ ص ١٥٢ وورد في صحيح البخاري بضع عشر ليلة.

وقد وصل إلى ذلك المكان علي رضي الله عنه، وقدم إلى رسول الله ﷺ بعد أن وصل من مكة، التي بقي فيها عدة أيام بناء على طلب من النبي ﷺ لكي يؤدي الأمانات الموجودة في بيت النبي ﷺ إلى أهلها.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول السنة الأولى للهجرة، ركب النبي ﷺ ناقته، ولم يكد يصل إلى بيوت بني سالم حتى أدركته الجمعة، فصلاها مع مائة شخص فكانت أول جمعة في الإسلام.

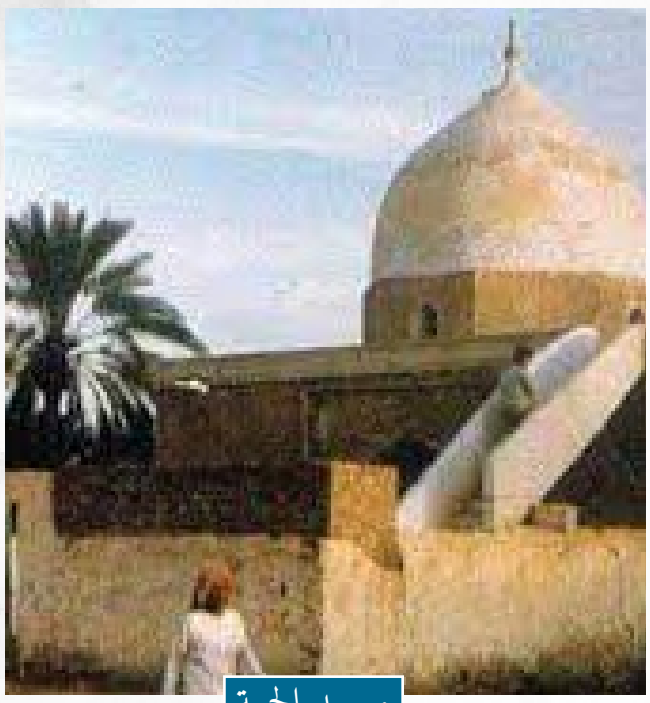
مسجد الجمعة

الخطبة

خطب رسول الله ﷺ في أول جمعة جمعها بالمدينة في بني سالم بن عوف، فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقُرب من الأجل، مَن يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يَعصِهما فقد غَوَى وفرط وضل ضلالاً بعيداً، أوصيكم بتقوى الله، فإن خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما يبغون من أمر الآخرة، ومَن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً له فيما الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم. وما كان سوى ذلك يود لو أن بينه وبينها أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتقِ الله يُكَفِّر عنه سيئاته، ويُعظم له أجراً، ومن يتقِ الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله تُبيّض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة.

خذوا حظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداء الله، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم، وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله، يكفِه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس، ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم»[٦].

دخول المدينة

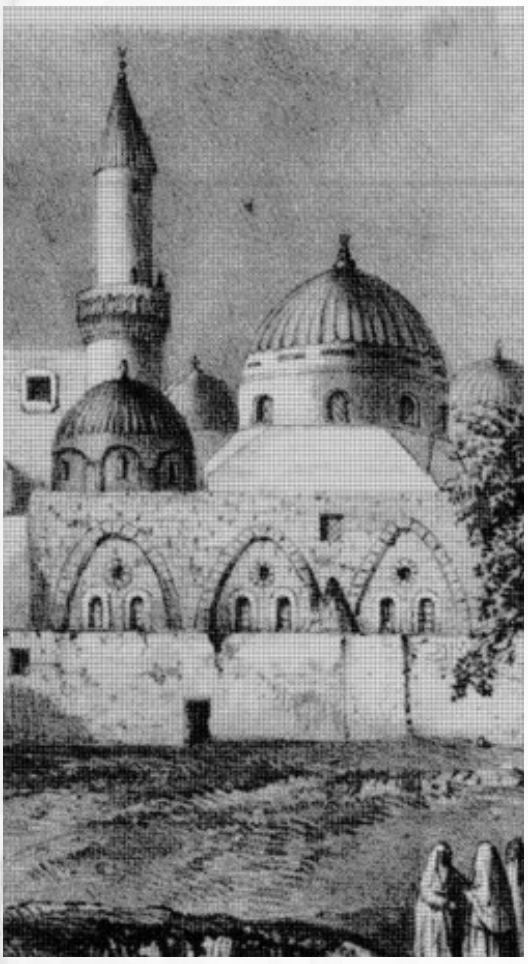

بعد صلاة الجمعة، دخل النبي ﷺ يثرب من ناحيتها الجنوبية، ومنذ ذلك اليوم صار اسمها «مدينة النبي» ويطلق عليها اختصاراً «المدينة».

وكان لدخوله المدينة شأن عظيم، فكانت الشوارع والطرقات تصدح بكلمات التحميد والتقديس، وراح الرجال والنساء والشيوخ والشباب يرنون بعيونهم إلى بهاء «نور الله»، وقد فهم أهل الكتاب بعدما رأوا عظمة وجلال قدوم النبي ﷺ، أن ذلك هو تفسير ما ورد في كتاب النبي حبقوق (الإصحاح ٣:٤) «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران[٧] جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه» (ص١٢٣١)[٨].

---

٦. تاريخ الطبري ٢/ ٢٥٥.

٧. أطلق على مكة في جميع أسفار الإنجيل اسم فاران لأن هذا المكان كان تحت سيطرة فاران بن عوف ابن حمير، وجاء في سفر التكوين التوراة (الإصحاح ٢١) أن إسماعيل سكن في برية فاران، ويثبت من آيات القرآن الكريم أن إبراهيم وإسماعيل قد بنيا في هذه البرية مسجداً يعرف الآن باسم الكعبة. فالتوراة والقرآن يصدق بعضه بعضاً ويثبتا أن فاران هو اسم مكة، وقد ورد ذكر فاران في التوراة، سفر العدد (الإصحاح ١: ١٢) والتثنيه (الإصحاح ٣٣: ٣). وكل هذه المصادر تثبت صراحة أن فاران اسم مكة.

٨. ورد في سفر اشعيا (٤٢): لترنم سكان سالع واسم المدينة في كتب الأنبياء الأولين سلع، والطبري يثبت أن المكان الذي حفر فيه المسلمون الخندق في غزوة الأحزاب فيه جبل يعرف عند أهل المدينة باسم سلع.

وكانت بنات الأنصار البريئات ينشدن بصوت عذب وبنغمة حبيبة هذه الأشعار.

طلع البدر علينـا •• من ثنيات[٩] الوداع

وجب الشكر علينا •• مـا دعـا لله داع

أيها المبعوث فينا •• جئت بالأمر المطاع

وبنات الأنصار اللاتي أنشدن هذا النشيد، هن بنات من ذهبوا إلى مكة المكرمة في أعوام ١١، ١٢، ١٣ من البعثة وبايعوا النبي ﷺ، أو هن بنات من أسلموا في المدينة المنورة بدعوة مصعب بن عمير أو ابن مكتوم رضي الله عنه.

والأنصار[١٠] الكرام لم يكونوا أصحاب ثروة أو أرض أو عقار، ولكنهم كانوا يمتلكون غنى القلب، والتضحية في سبيل الإسلام، وقد وصل مبلغ تضحيتهم في سبيل إخوتهم المسلمين، أن المهاجر كان حين يلجأ إلى المدينة ظمآنا ناجياً بنفسه أمام السيف المسلول، والسهم المشدود في قوسه[١١]، كان كل أنصاري يرغب في استضافة هذا المهاجر حتى أنهم كانوا يقترعون على ذلك، فالآية الخامسة عشرة من الآيات السابق ذكرها تذكر المهاجرين

---

٩. الثنيات: جمع ثنية وهي تل في طريق العقبة، وقد مر النبي ﷺ في سفر الهجرة بثنية البول وثنية الجابر وثنية مروان، وثنية الوداع تل قرب المدينة، وكان أهل المدينة يأتون إليه لتوديع الأحبة فسميت بهذا الاسم، وقد ورد ذكر هذه الثنيات في سفر اشعيا - الإصحاح ٤٢- لترنم سكان سلع من رؤوس الجبال ليهتفوا».

١٠. معنى الأنصار، المعاون والمساعد وقد كان هذا لقب أهل المدينة في الإسلام، والمهاجر من هجر بيته وكان هذا لقب أهل مكة الذين ذهبوا مع النبي ﷺ إلى المدينة.

١١. ورد ذكر الهجرة في سفر أشعيا (الإصحاح ٢١).

الذين هربوا بأرواحهم وإيمانهم، أمام بطش قريش ووصلوا إلى المدينة، فمن وقعت عليه القرعة كان المهاجر من حظه، فيأخذه إلى بيته، ويتقاسم معه كل ما يملك في نفس اليوم، ويظل على استعداد لخدمته ليل نهار، ويقدم شكره لله تعالى على حسن حظه حين جعل أخاً له في الدين قسيماً له في كل ما يملك.

مقارنة بين أحوال مكة والمدينة

كانت السيادة في مكة لقريش دون غيرها، وكانت في معظمها، إن لم تكن كلها على الوثنية، أما في المدينة فقد وجدت قبائل مختلفة وأديان متنوعة، وجدت فيها الوثنية، واليهودية وقلة من النصارى، ومن قبائل اليهود القوية بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، وكانت تسكن في قلاع منفصلة خاصة بها، وكانت تمتلك مالاً وافراً نتيجة لعملها بالتجارة وكذا التعامل بالربا.

ومنذ أن بشر نبي الله موسى عليه السلام اليهود في وعظه بأن الله تعالى يخلق من بين إخوة موسى نبياً مثل موسى، واليهود تأمل في أن يكون هذا منهم، وعلى هذا الأمل أقاموا في المدينة، فلعل نبي بني إسرائيل القادم يزيل عنهم تدهورهم القومي، ويحيي لهم مجدهم الضائع وبأسهم وسلطتهم التي زالت، ومنذ إخراج اليهود من الشام، ضُربت عليهم الذلة والعبودية، ومنذ ذلك الوقت واليهود ينتظرون بأمل أكبر ظهور النبي الموعود.

والآن فرحت اليهود بصفة خاصة، بعد أن سمعوا بمقدم نبي إسماعيلي إلى المدينة، ولكن حين رأوا أنه يصدق المسيح عليه السلام، ويصدق تعاليمه، ويجعل الإيمان بالمسيح عليه السلام جزءاً لا يتجزأ للإيمان بالإسلام ويخطئ اليهود بتجيده إياه عندئذ صار اليهود كلهم أعداءً لنبينا.

نصارى المدينة والنبي الموعود

منذ أن بشر عيسى المسيح عبدالله المختار في آخر موعظة له بمجيء نبي آخر يبقى مع الدنيا دائماً، ويعلم الدنيا كل شيء، وأوصى النصارى باتباعه، منذ ذلك الوقت والنصارى في انتظار هذا النبي، الذي سيقتص لهم من اليهود، ويمنح النصارى الجلال والعظمة، ويظهر صدق المسيح، ولكن حين رأوا النبي ﷺ يرد على النصارى القضايا التي اصطنعوها مثل البنوة والتثليث والكفارة والرهبانية والسلطة الإلهية (المطلقة) للبابا، صاروا أيضاً أعداءً للنبي ﷺ.

وللاطلاع على أحوال المدينة، ينبغي أن نلقي نظرة موجزة على أحوال عبدالله بن أبي ابن سلول، كان هذا الشخص - بالإضافة إلى اليهود - رجلاً ممتازاً ذا تأثيرٍ في أهل المدينة، كان يخشى تماماً قبيلتي الأوس والخزرج.

وكان يتوقع أن يصبح أكبر قوة وسلطة في المدينة بمساعدة هاتين القبيلتين القويتين، وحين رأى أن الأوس والخزرج دخلتا في الإسلام، انضم في الظاهر بعد غزوة بدر إلى المسلمين، ولكن حين رأى أن اليهود خالفوا النبي ﷺ، أراد أن يبقي على أثره السابق على اليهود، وأن تبقى له السيطرة على القبائل التي أسلمت، فاتبع أسلوب التودد إلى المسلمين والجلوس إليهم ومصاحبتهم، ثم يدعى أمام الأمم الأخرى أنه معهم وأنه حليفهم. ولما كان يرى أن الإسلام في الحقيقة قد خيب آماله، فقد كان لا يتورع عن إيذاء المسلمين وإلحاق الضرر بهم وقد سمى المسلمون هذه الطائفة بالمنافقين.

وحالة المدينة تلك توضح مدى الصعوبات والعراقيل التي واجهت الدعوة الإسلامية، وواجهت صاحب الدعوة، والإنسان المنصف يستطيع أن يحكم ويقرر، كيف كان تخطي هذه العراقيل والمصاعب أكبر دليل على صدق الإسلام، والنجاح الذي تحقق للنبي في نشر الإسلام في المدينة المنورة، مقارنة بما تحقق في مكة المكرمة، مما قد ورد ذكره قبلاً في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤].

الصادعون بالحق

(وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ)

• من إنتاج علمائنا الأسرى •

الهجرة والفريضة المحكمة ١٢٣
الأستاذ حازم صلاح أبو إسماعيل

درس في الوطنية ١٣٠
الشيخ ناصر العمر

النقلة البعيدة ١٣٤
د. سلمان العودة

لا هجرة بغير تضحية ١٤٣
د. خالد أبو شادي

من القيد إلى الحرية .. كيف كانت الهجرة تحريراً للإنسان ١٥٢
الشيخ أحمد التلفيتي

الوعد والأجل .. لماذا يتأخر تحقق الوعد الرباني؟ ١٥٦
أشرف عبد المنعم

كيف انتقم الله ممن سب الرسول عبر التاريخ؟ ١٦١
د. عادل باناعمة

إلّا تَنصروه فقد نصرَه الله ١٦٩
د. عبدالمحسن الأحمد

الهجرة والفريضة المحكمة

الأستاذ حازم صلاح أبو إسماعيل*

فك الله أسره

بعد خروجه من مكة مستضعفًا، وعبر رحلة استخفاء تخللتها مطاردات تستهدف حياته الشريفة، يبلغ الرسول ﷺ المدينة، ويدخلها بين صفوف المسلمين شارعي السيوف، الذين ما إن نادى فيهم اليهودي وقد رأى الرسول ﷺ على أطراف المدينة: «يا بني قيلة هذا صاحبكم الذي تنتظرون، هذا جدكم قد جاء». حتى ثار المسلمون إلى السلاح، ولسان حالهم يقول يا رسول الله هلم إلى العدد والعدة والمنعة، نحن هنا حماة. وأصبح لرسول الله ﷺ الآن دولة، أصبح له رجال، أصبحت له سيوف مشرعة، وقوم يدافعون عنه.

---

* المقال مقتبس من سلسلة محاضرات «السيرة النبوية» للشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل، مع تصرف تقتضيه الكتابة.

قبيل دخوله ﷺ المدينة، وكان يوم جمعة، حانت صلاة الظهر، فصلى ﷺ أول جمعة في الإسلام (خارج المدينة) بمائة رجل من المسلمين، وخطب فيهم أول خطبة جمعة! بعدها دخل النبي ﷺ المدينة، فكان الناس يدعونه كلٌ إلى بيته، فيأخذ أحدهم بخطام الناقة يجذبها ناحية بيته، لكنه ﷺ قال لهم: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فسارت حتى بلغت موضعًا من الأرض فبركت فيه، ثم قامت ومضت إلى الأمام، ثم عادت إلى الموضع الأول وبركت فيه ثانية واطمئنت! عندها فقط نزل رسول الله ﷺ من على ظهر الناقة، والتقت قدماه لأول مرة بأرض المدينة حيث موضع «المسجد النبوي» الآن!

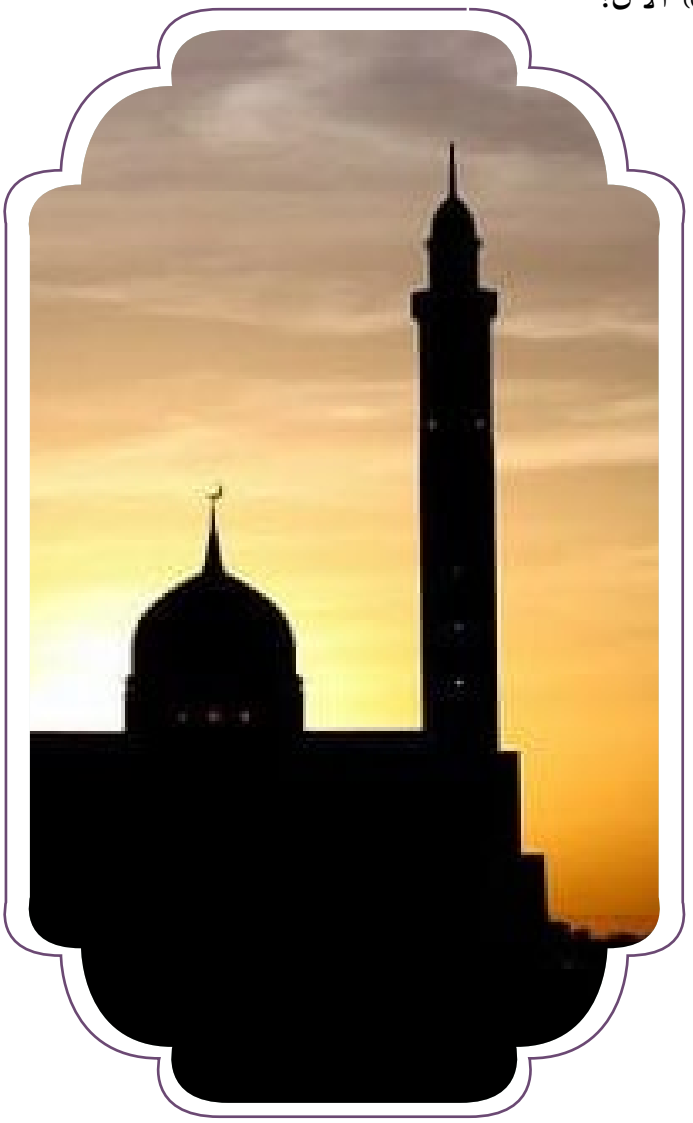

المسجد! وما أدراك ما المسجد!

المسجد ليس للصلاة فقط. قال رسول الله ﷺ: «وجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ». هذا هو الأصل.

أما المسجد فهو قلعة تجميع المؤمنين، لذلك هذه القلعة هي مركز الحكم قضاءً وسياسةً، الحاكم يحكم في هذا المسجد، ومجلس القضاء يُعقد في المجلس، ومجلس قيادة الجيش في المسجد، كان لواء الجيش يعقد في المسجد، والكتائب تكتب في المسجد، وإذا أرادوا الخروج لغزوة؛ خرج المنادي يقول: «يا خيل الله اركبي»، فيأخذ كلٌ سيفه ودرعه وعدته ويعتلي فرسه ويذهب إلى المسجد.

وأكثر من ذلك، لما زاد عدد المهاجرين القادمين إلى المدينة، ولم يجدوا مكانًا يقيمون فيه، كانوا يُستقبلون في المسجد. المسجد كان وزارة الخارجية تُستقبل فيه الوفود القادمة لرسول الله ﷺ، عقود الزواج تُعقد في المسجد، صلوات الجنائز تُصلى في المسجد (وفي غير المسجد)، وكلما وقع أمر يخرج منادي ينادي في المسلمين أن اجتمعوا في المسجد، فيخرج عليهم رسول الله ﷺ ويحكي لهم ويعطيهم حكم الله سبحانه وتعالى.

المسجد إذا فقد دوره كمسجد لابد أن يفقد المجتمع المسلم دوره كمجتمع مسلم. لذلك حرام كل الحرمة إغلاق المساجد عقب الأذان بنصف ساعة، وقولهم إن المسجد لإقامة الشعائر والصلاة فقط! كيف وسيدنا موسى عليه السلام لما ضيق عليه أن يجتمع بالمؤمنين، أوحى الله إليه ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [يونس: ٨٧]، الرسول ﷺ لما ضُيق عليه أن يصلى بالناس في الكعبة، كان يصلي في الخلاء في شِعب بين جبلين، وفي بيت أحد المؤمنين (دار الأرقم بن أبي الأرقم).

إن كان الأمر أمر صلاة وفقط، فإنه: «جُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا»، إنما المسجد قلعة المؤمنين. لذلك لما وضعت الراحلة نفسها، وتحدد مكان المسجد، وطأت قدم رسول الله ﷺ أرض المدينة.

تحديات المجتمع الجديد

لا يجب أن ننظر إلى انتقال رسول الله ﷺ وأصحابه بالهجرة من مكة إلى المدينة نظرة بسيطة، فالمسألة كبيرة جدًا. تخيل معي مشكلة لاجئين، شعب كامل يلجأ إلى بلد آخر. أقول هذا وأنا أستعيد في ذهني ما رأيناه بأعيننا من العرب وغير العرب وهم يستضيفون بعضهم البعض، رأينا الفلسطينيين عندما لجأوا أول الأمر إلى الأردن، انتهى الأمر بمذبحة «أيلول الأسود»، نفس الأمر تكرر في لبنان وسوريا. مصر لم تسمح بوجودهم ككيان، لكن فرادى، في تونس فصلوا بين التونسيين والفلسطينيين بما يشبه الحدود، وحظروا دخول التونسيين مناطق الفلسطينيين. وكذلك الأفغان عندما ذهبوا إلى الأراضي الباكستانية كلاجئين حدثت مشكلات جراء ذلك، وبعض حكام الباكستان اتخذوا إجراءات شديدة ضد الأفغان.

شعب يلجأ إلى شعب أو بلد آخر أمر ليس بهين على مدار التاريخ الإنساني كله، واليهود مثال واضح، كانوا كلما دخلوا بلدًا كلاجئين هُوجموا وذُبحوا فيها. فلجوء شعب مكة بالكامل إلى شعب يثرب أمر ليس بهين ولا يحله إلا الإسلام، بالإخاء.

فالعادات مختلفة، والتقاليد مختلفة، والله تعالى يعلمنا في القرآن أن المسلمين إخوة، ليس بالوجوب، أى ليس واجباً دينياً يفرضه الدين، فالله تعالى لم يقل يجب على المؤمنين أن يكونوا إخوة، بل قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، بمجرد إيمانهم هم إخوة. لم يقل يجب على المؤمنين أن يكون بعضهم أولياء بعض بل قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. لم يقل وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها فأصبحتم مؤمنين وبذلك أصبحتم إخوانا، بل قال: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] بمجرد الإيمان. الإخاء هو الذي سوف يحل هذه المشكلة.

لم يكن الإخاء بين المهاجرين والأنصار هو المشكلة الوحيدة التي واجهت الرسول فى المدينة، وهذا الانتقال لم يكن بالأمر الهين، مجتمع المدينة يختلف تمامًا عن مجتمع مكة.. مكة مجتمع متجانس، جميعهم عرب، جميعهم أقارب من قبيلة واحدة، جميعهم يعملون بالتجارة، جميعهم كان يعبد الأصنام قبل البعثة، ثم بعد البعثة صاروا بين: مؤمن وكافر.

أما المدينة فالأمر ليس كذلك، المدينة بلد تملؤه المشاكل. سبحان ربي العظيم أن يختار لدولة الإسلام الأولى بلدًا تتلخص فيه مشاكل العالم الإسلامي جميعه اليوم! ما من مشكلة في أي بلد إسلامي اليوم إلا وكانت فى المدينة يومئذ، فإذا قال قائل لا يمكن إقامة الشريعة الآن بسبب «كذا»، تجد «كذا» هذا كان موجوداً فى المدينة عندما قامت دولة الإسلام وطُبقت شريعته.

كان يسود المدينة فتنة طائفية، بل ودارت بها حرب أهلية طاحنة قبل خمس سنوات فقط من الهجرة (يوم بُعاث)، وهو -يوم بُعاث- آخر سلسلة الحروب التي دارت بين قطبي المدينة (الأوس والخزرج) والتي بدأت بحرب «سُمَيْر» واستمرت لأكثر من قرن من الزمان، فلم تدع بيتًا في الأوس إلا وله ثأر عند الخزرج، ولا بيتًا في الخزرج إلا وله ثأر عند الأوس.

الأوس والخزرج لم يكونوا وحدهم بالمدينة، كان هناك يهود، وما أدراك ما اليهود، مصيبة المصائب في كل مكان. سكنوا المدينة قبل ٥٠٠ سنة على الأقل وربما ٦٠٠ سنة، بعد ٧٠ سنة من ميلاد المسيح (عليه السلام) أجلاهم الرومان من بيت المقدس ليستقروا في الجزيرة العربية.

اليهود لم يكونوا على قلب رجل واحد، فقد أخبرنا القرآن: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: ٨٤-٨٥]. هذا ما حدث «يوم بعاث» عندما انحاز «بنو قينقاع» إلى الخزرج، وانحاز «بنو قريظة» و«بنو النضير» إلى الأوس.

كما أن اليهود مهيأون لمحاربة الرسول ﷺ فقد كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج بقرب خروج نبي هذا الزمان، وأنهم سيحاربونهم معه ويقتلونهم قتل عاد وإرم؛ فلما جاءهم من العرب كفروا به. أضف إلى ذلك أن اليهود أينما حلوا فهم أصحاب المال، فاليهود كانوا قوة اقتصادية بالمدينة، فضلًا عن موقعهم المتميز على الناحية الشمالية للمدينة؛ إذا سمحوا للأعداء بالدخول إلى المدينة دخلوها!

فئة ثالثة خطيرة جدًا ظهرت بعد الهجرة، هي «المنافقون»، لم يكن لها وجود من قبل، لم يكن هناك منافقون في مكة. لماذا تنافق؟! من يُسلم يُضرب، يُحبس، يُقتل، يُعذب. فلم يكن هناك منافقون، والأمور واضحة (مسلم أو كافر لا ثالث لهما). أما المدينة فقد كانوا فيها.. لماذا؟

للسببين المشهورين: «رغبًا ورهبًا».. «خوفًا وطمعًا»، من هنا يوجد النفاق، عندما يكون هناك مطمع دنيوي، أو شيء تهابه وتخاف منه. وهؤلاء أشد خطرًا على الإسلام من الكفار الظاهرين، فالكافر أعلن الكفر، إنما المنافق أعلن الإيمان وهو يبطن الكفر، لهذا فهم في الدرك الأسفل من النار، والله تعالى يقول فيهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]. وهذا أمر خطير على مجتمع المسلمين، لكن الله تعالى دله ﷺ كيف يعرف المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

فئة رابعة هم المشركين من أهل المدينة ممن لم يؤمنوا بعد، فمِن أهل المدينة مَن لم يُسلم إلا بعد غزوة «بدر»، ومنهم مَن لم يُسلم إلا بعد «أحد» بسنتين أو ثلاثة.

ولاختلاف البيئة وطبيعة المكان بين المدينة ومكة التي أتى منها المهاجرون، كانت هناك أيضاً مشكلة صحية.

وبرز الاختلاف في العادات بين المهاجرين والأنصار، على سبيل المثال كان للأنصار عيدان يحتفلون بهما: عيد «النيروز»، وعيد «المهرجان».

وواجههم مشكلة اقتصادية طاحنة، فالمدينة لم تكن بلدًا غنيًا، وعندما هاجر إليها النبي ﷺ قاطعتها القبائل العربية، فلا أحد يبيع لهم ولا أحد يشتري منهم، فيما يشبه المقاطعة الإقتصادية.

المجتمع الذي نعيشه اليوم أشبه فى مشاكله بمجتمع المدينة الأول، وعندما نقول نريد تطبيق الشريعة الإسلامية يقولون كيف تطبق الشريعة الإسلامية وأنت فى مجتمع به مسيحيون؟! آخر يقول كيف تُطبق الشريعة الإسلامية ولديك أزمة اقتصادية؟! غذاؤك من الخارج، سلاحك من الخارج، دواؤك من الخارج، والبنوك هكذا، والنظام العالمى هكذا، كيف تُطبق الشريعة الاسلامية؟! كيف تطبق الشريعة الاسلامية ولديك نسبة أُمية كذا، ونسبة بلهارسيا كذا، ونسبة شلل أطفال كذا، ونسبة ...إلخ

سرقة الإسلام!

نحن فى مصر، وفى تونس، وفى السودان، وفى ليبيا، وفى السنغال، وفي أندونيسيا، وفي كل بلاد المسلمين نعايش سرقة للإسلام حدثت على مدار قرنين مضيا، من قرنين والإسلام يُسرق من المسلمين، ويقال لهم لا تُحكموا الإسلام.. لأن لديكم أقليات غير إسلامية! عندكم نصارى، عندكم يهود عندكم مجوس. لا تُحكموا الإسلام.. لأنكم فقراء، والنظام العالمى نظام يقوم على الربا، إن عاندتموه فإنه يسحقكم لفقركم. لا تصدقوا الإسلام. فإذا بالمسلمين يستجيبون ولا يصدّقون الإسلام فعلًا. وسنة تجر سنة، وينتهى الأمر إلى أن يضيع الإسلام تمامًا من حياة المسلمين.

ومع الأسف الشديد أن المسلمين اليوم يظنون أن الحوادث التى تمر عليهم حوادث جديدة، يظنون أنها لم تحدث من قبل! والله تعالى يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. فإذا وجدّت حادثة أنت تظن أن القرآن والسنة لم يبينا فيها بيانًا وافيًا، معنى ذلك أنك لا تصدق ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]!

إن الحكم بما أنزل الله فريضة محكمة غير قابلة لا للتلوين ولا للتغيير و»لا للفصال» بالتعبير العامي، قضية وصل القول فيها إلى قول ربنا عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. فالإسلام يجعل الحكم بما أنزل الله فريضة محكمة ليس بوسع أحد أن يبدلها، لدرجة أن إنزال الكتاب من السماء إلى الأرض غرضه الحُكم!

فإذا عطلت الحُكم بما أنزل الله، معنى ذلك أنك عطلت الغرض الذي من أجله أُنزل القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١٠٥]. فقضية الحكم عند المسلمين لا هي نافلة ولا سنة مؤكدة؛ بل هي فريضة وركن من الأركان، ولذلك أقسم الله تعالى إن العقيدة تنتفي إذا تعطل الحكم، أقسم الله فى القرآن بالنجوم، بالقمر، بالشمس، بالضحى، بالليل.. وعند هذه القضية أقسم بذاته العلية، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

يحكموك وهم مضطرون أو محرجون؟ لا بل: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فقضية الحكم فى الإسلام قضية ليس فيها لبس. لدرجة أن القرآن فى سورة النور يقول عن قوم أنا أعتقد أنكم اليوم ترونهم بأعينكم، يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٤٧] هذا قول باللسان، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [النور: ٤٧]، هذا الفعل! قول باللسان يتبعه فعل! هؤلاء قومٌ أفعالهم صادمت أقوالهم، ماذا يقول الله تعالى في شأنهم؟ ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

الهجرة: درس في الوطنية

الشيخ ناصر العمر

فكّ الله أسره

كثر الكلام في السنوات القليلة الماضية عن الوطنية وانقسم الناس حولها؛ فمنهم من يرى التمسك بها والدعوة إليها نوعاً من أنواع الفسق أو الكفر، فيحذر منها ويحاربها، ومنهم من يمجدها ويرفع من شأنها ويجعلها معقد الولاء والبراء حتى تصل به الحال إلى عدها نوعاً من أنواع العبادة، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، فهذا إفراط وذاك تفريط، والحق وسط بينهما.

إن كثيراً مما يقال اليوم وينشر في وسائل الإعلام من التمييز والتفرقة بين المسلمين على أساس الوطن والانتماء إليه، هو من دعاوى الجاهلية التي وضعها الإسلام وقضى عليها، فالعبرة في شرع الله ليست بالجنسية أو الوطن إنما هي بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والتمييز بين الناس إنما هو بالتقوى كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[١].

لكن العلمانيين ومن لف لفهم لا يرضون بذلك، فالأخوة عندهم أخوة الوطن، وابن بلدهم -وإن كان فاسقاً- أفضل من الأجنبي وإن كان تقياً، حتى وصلت بهم الحال في بعض بلاد الله إلى عد اليهودي والنصراني من أهل وطنهم أقرب وأحب إليهم من المسلم غير المواطن، وما هذا إلا تمييع لمبدأ الولاء والبراء الذي هو من أوثق عرى الإيمان!

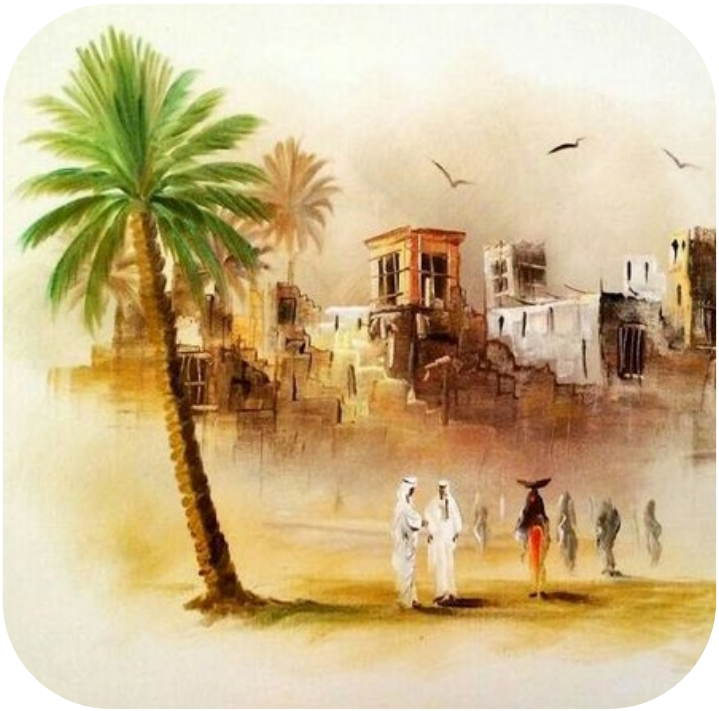

> لقد جُبِل الإنسان على حب المكان الذي نشأ وترعرع فيه، وجبل كذلك على التعاون مع أترابه في الذود عن حياضه ودفع كل ما قد يمسه من مكروه، فإذا كان هذا الحب والتعاون تابعاً لما يحبه الله ويرضاه، وإذا كانت الوطنية تعبيراً عن هذا الحب بأداء كل ما من شأنه رفعة هذا الوطن بما يوافق شرع الله عز وجل ولا يترتب عليه تعد على أي حد من حدوده أو حكم من أحكامه، فهي مشروعة محمودة.

فالصورة الأولى التي يروج لها العلمانيون مرفوضة محرمة، والصورة الثانية مقبولة محترمة، وتبقى الصورة الثالثة وهي التي تجعل الوطنية شعارات ومظاهر جوفاء وأناشيد وعرضات، فهذه تجني على الوطنية وتزري بها وتجعلها دعوى فارغة، وهذا رأس مال البطالين.

---

١. مسند الإمام أحمد ٥/٤١١ (٢٣٥٣٦).

إن هجرة المسلمين إلى الحبشة ثم هجرتهم إلى المدينة المنورة تعطينا درساً عظيماً في الوطنية كما ينبغي أن تكون، لقد كان المهاجرون رضي الله عنهم يحبون وطنهم مكة المكرمة، ولولا أذى أهلها لهم ومنعهم إياهم من إقامة شعائر دينهم فيها ما تركوها ولا هاجروا منها، لا أدل على ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلقي النظرة الأخيرة على مكة يوم هجرته المباركة: «و الله! إني لأعلم أنك خير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ»[٢].

فها هو خير المهاجرين من الأولين والآخرين يصرح بحبه لوطنه، ويبين مكانته عند الله مما لا يمكن أن يدانيه فيها غيره، ومع ذلك فإنه يترك هذا الوطن ويخرج منه ويأمر أصحابه بتركه والخروج منه، بل ويرجع بعد سنوات ليفتح هذا الوطن بجيش جُلُّ أفراده ليسوا من أبنائه، وينتصر بهم على أهل وطنه مما هو في ميزان أهل الباطل خيانة للوطنية. وفي المقابل، نجد الأنصار رضي الله عنهم يحبون المهاجرين ويفضلونهم على مواطني مدينتهم من غير المسلمين وينصرونهم عليهم، وفي هذا خيانة للوطنية عند أهل الباطل كذلك.

> إن الإنسان لا يمكن أن يحكم على الأمور حكماً صائباً إلا إذا علم الغاية التي خلق من أجلها -وهي عبادة الله جل وعلا- وأقر بها وعمل بمقتضاها، فلما كان البقاء في مكة يحقق العبودية لله سبحانه وتعالى بقي عليه السلام فيها، ولما تعذر ذلك وصارت عبوديته لربه تبارك وتعالى تتحقق بالهجرة منها هاجر وتركها، ولما صارت هذه العبودية تتحقق بمقاتلة أهلها ثم بفتحها قاتلهم ثم فتحها.

---

٢. المستدرك ٣/٣١٥ (٥٢٢٠).

فتحقيق العبودية لله جل وعلا هو الأصل، ولهذا بين الله سبحانه وتعالى عاقبة من تمسكوا بالأرض والوطن ولم يهاجروا رغم عدم تمكنهم من إقامة دينهم فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

إن الهجرة درس عظيم في الوطنية قد لا يفقهه دعاة الوطنية الجاهلية لأنهم جعلوا ولاءهم وانتماءهم للحجارة والطين!

ولو أنهم عقلوا أن النبي عليه الصلاة والسلام لما سمع أنصارياً يقول يا للأنصار ومهاجرياً يقول يا للمهاجرين -لإشكال حصل بينهما- فقال: «ما بال دعوى جاهلية ... دعوها فإنها منتنة»[٤] علموا أي جرم يجنونه على أنفسهم وعلى وطنهم الذي يريدون العودة به إلى الجاهلية العمياء.

وأخيراً فإن عقيدة الولاء والبراء تقضي بأن يقرب المسلم البر التقي أياً كان وطنه، ويقدم على من دونه ولو كان حسيباً نسيباً، وفي المقابل يجب على هذا الغريب أن يحفظ الولاء لدولة الإسلام التي هاجر إليها، وأن يعلم أن عليه من الحقوق مثل ما له من الواجبات، على حد ما جاء في حديث بريدة عند مسلم في أعراب المسلمين وفيه: ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين... الحديث[٤]، والله المستعان.

---

٣. صحيح البخاري ١٨٦١/٤ (٤٦٢٢).

٤. صحيح مسلم ١٣٥٧/٣ (١٧٣١).

النقلة البعيدة

د. سلمان العودة

فكّ الله أسره

لقد خرج النبي ﷺ من مكة البلد التي نشأ فيها، وأحبها، وعرف فضلها، ولذلك خرج عليه الصلاة والسلام وقلبه يلتفت إلى تلك البقاع الطيبة الطاهرة، فلما غادرها وقف بالحزورة، وهو مكان قريب من البيت العتيق، ثم التفت إلى مكة، وقال: ﴿والله إنك لخير بلاد الله، وأحب البلاد إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت﴾ والحديث رواه الترمذي والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن عدي بن الحمراء، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

* المقال مقتبس من محاضرة للدكتور سلمان العودة، عنوانها «حديث الهجرة»، ألقيت في ٢٣ محرم ١٤١٤، فرّغها موقع (إسلام ويب).

يخرج النبي ﷺ فيطيب الرب عز وجل قلبه، ويدله على أنه خرج من مكة اليوم شريداً طريداً، وسوف يعود إليها غداً فاتحاً منصوراً مظفراً: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] قال المفسرون في هذه الآية بشارة للنبي ﷺ إنه سوف يعود إلى مكة قاهراً لأعدائه، منتصراً عليهم، وهذا قول الأكثرين كما قال القرطبي. وهو مذهب جابر، وابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وغيرهم من المفسرين ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أي: مرجعك إلى مكة مرة أخرى، كما خرجت منها، وقيل المعنى: لرادك إلى الجنة، وقيل المعنى: لمتوفيك بعدما تستوفي عمرك في هذه الدنيا.

خرج النبي ﷺ من مكة مكرهاً، بسبب الحصار على دعوته، وبسبب المضايقة لأصحابه، وعاد إليها بعد ثمان سنوات فحسب، عاد إليها في كتيبة خضراء من المهاجرين والأنصار، لا يرى منهم إلا حدق العيون، يُفَدُّون رسول الله ﷺ بأنفسهم، وآبائهم، وأمهاتهم:

كذبتم وبيت الله نُبزى محمداً •• ولما نقاتل دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه •• ونذهل عن أبنائنا والحلائل

نعم جاء نصر الله والفتح، ورأى رسول الله ﷺ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، كما وعد ربه عز وجل..

وفي هذا وقفة:

صمود الإسلام أمام المحن

إن دعوة الإسلام دعوة تاريخية، عمرها طويل، ولم يكن انتصارها ذلك الانتصار الموقوت في زمن النبي ﷺ، بل انتصار الأبد وانتصار الدهر، وعلى رغم مضي ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة على دعوة الإسلام على دعوة الرسول ﷺ، إلا أنها تظل طيلة هذه السنين قائمة، قوية، تصارع العوادي، وتقاوم الأحداث.

وهاهو الإسلام اليوم في قلب أوروبا، يقض مضاجع الغربيين، فيتواطئون ضد حفنة من أبناء الإسلام في أرض البوسنة، ويسلمونهم إلى عدوهم بلا سلاح، على رغم أن وسائل الإعلام الغربية كلها: مسموعها، ومرئيها، تعرض صباح مساء، لتلك الجرائم البشعة، وهذه المآسي المفجعة، وهذه الوجوه التي قد أمضتها الجراح والآلام، مآسي الكبار، مآسي العجزة، والشيوخ، والنساء، والأطفال، مآسي الجوع، والفقر، والمرض، ومع ذلك كله يتواطأ هؤلاء ضد حفنة من أبناء الإسلام، وأوليائه، لماذا؟!

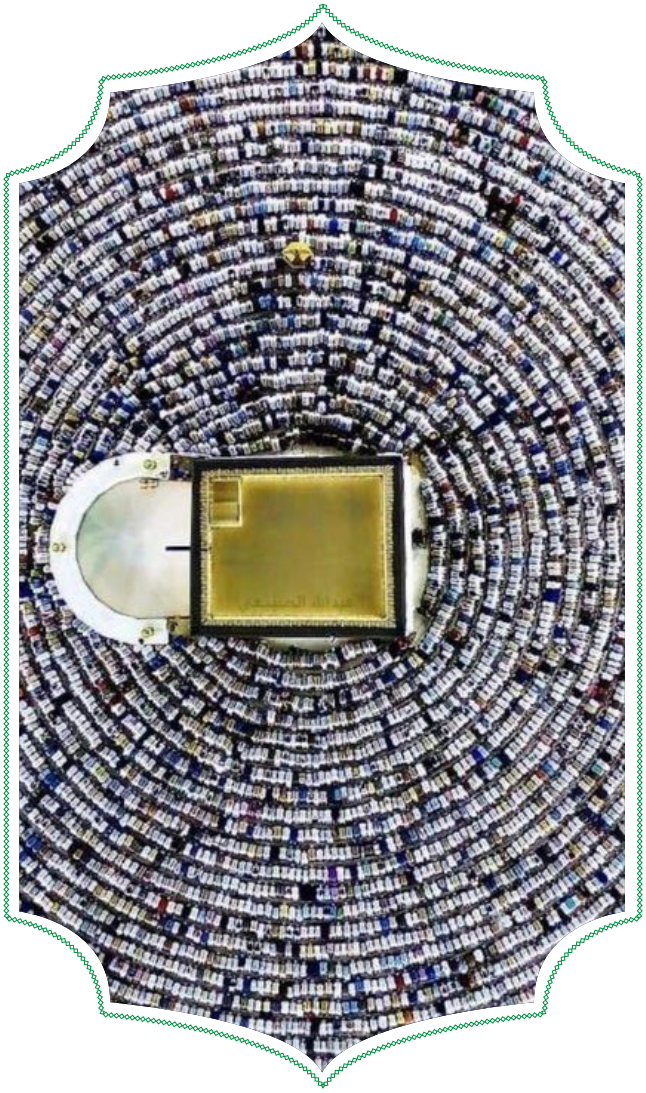

إنهم لا يتآمرون ويتحالفون إلا على الأقوياء، أما الضعاف فيمكن هزيمتهم بأقل من ذلك، نعم يكفي قوة للإسلام أن بلداً نائياً كذلك البلد، لم يكن جمهور الناس يعرفون أن فيها مسلمين أصلاً، ولا يدرون أن فيها مساجد تاريخية أعمارها أحياناً تزيد على ستمائة أو سبعمائة سنة، وأن فيها ملايين من أهل لا إله إلا الله، وإن كان حيل بينهم وبين معرفة حقيقتها في كثير من الوقت.

> يكفي في قوة الإسلام أن قوماً كهؤلاء عزلاً من كل سلاح، يظلون على ما يزيد على عشرين شهراً يقاومون رابع أقوى جيش في العالم، مدججاً بأقوى الأسلحة، وهم يواجهون الرصاص بصدور عارية، ويصبرون على رغم اللأواء التي لم يكن أحد يتوقع أن يصبروا عليها شهراً، أو بضعة أسابيع.

الإسلام في الجمهوريات السوفيتية

وها هو الإسلام في جمهوريات آسيا الوسطى اليوم ينبعث من وسط الركام، بعد أن ظن الظانون أنه قد انطمس وانتهى، وإذا المسلمون في طاجكستان، أو أوزبكستان، أو سمرقند، أو بخارا، أو وادي أفرغانة، وفي تلك المدن التي عرفها التاريخ، وخرجت أكابر العلماء، في الحديث والتفسير، والفقه، واللغة، والبلاغة، وغيرها، إذا بتلك البلاد التي تحن من جديد إلى دينها، وترجع إلى أصولها، وإذا بالمآذن ترتفع في سمائها، وإذا بصوت التكبير يعلو في أجوائها، وإذا بالحجرات السرية تستطيع بضعفها أن تقاوم كيد الشيوعية الذي استمر أكثر من سبعين سنة.

نعم. لقد حفظت تلك الحجرات للشباب إيمانهم، وعقيدتهم، بل ولغتهم، والبارحة كان معي أحد الشباب من مدينة سمرقند، فإذا به يتكلم العربية بطلاقة، وهو حديث عهد بهذه البلاد، فسألته كيف عرفت اللغة العربية؟ قال: تعرفتها وتعلمتها من شيخي الذي كان يدرسني في الحجرات، وكم لبثت في الحجرات؟ قال: أكثر من ثلاث سنوات.

نعم. لقد درس العقيدة الصحيحة، من كتب السلف، ودرس الفقه، ودرس اللغة العربية، ودرس أصول الإسلام، في الحجرات، التي ربما يظل الطالب فيها ثلاث سنوات، دون انقطاع وسط ركام من المخاوف، من أجهزة المخابرات الـ K.G.B التي تملك أكثر من ثلاثة ملايين عنصر من أولئك الرجال، الذين دُربوا على أنه لا كرامة لأحد، وأنهم مستعدون أن يبطشوا بأقرب قريب، ومع ذلك ظل الإسلام يتأبى على محاولات الصهر والإزالة والسحق، فإذا أتيحت له أية فرصة ظهر من جديد أقوى ما كان.

عمر الدعوات الباطلة

إن أعمار الحركات الأيدلوجية البشرية الأرضية، أو الدعوات العلمانية، التي يختلقها الناس، مهما طالت فهي قصيرة، فالشيوعية -مثلاً- لم تزِد في عمرها على سبعين سنة، ولم يشفع لها أن تكون تملك ما يزيد على ثلاثمائة ألف رأس نووي، أو ثلاثة ملايين عنصر أمني، أو أكثر من هذا العدد من رجال الجيش، أو تملك الأجهزة المتطورة في مجال التسليح وغيره، لم يشفع لها ذلك كله، لأنها، كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار.

أما الرأسمالية وريثة الشيوعية، والتي أخذت تركتها من بعدها، والتي تهيمن على العالم الغربي، فهي تعاني اليوم من الأزمات والأعراض نفسها، أزمات الاقتصاد التي سقطت بسببها الشيوعية، تنتقل اليوم إلى الغرب، في أمريكا، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، والصين، واليابان، وغيرها، فهي تعاني من أعراض الكساد، والتضخم، والبطالة، وغير ذلك من الأمراض التي تفتك بها، وتوشك أن تكشف عوارها.

> فكل الدعوات البشرية العلمانية، والشيوعية، والرأسمالية، والقومية، والاشتراكية، كلها دعوات بشرية لا تملك أنبياء، ولا تملك أولياء، ولا تملك عمراً، تقاتل عشر سنوات، أو عشرين، أو أقل من مائة سنة، ولكنها بعد ذلك تنتهي، وتمحي، وتنقل إلى مزبلة التاريخ.

عمر الإسلام

أما هذا الدين فقد مضى عليه اليوم ألف وأربعمائة سنة، وعدد المتحمسين لهذا الدين في ازدياد، انظر إلى عدد رواد المساجد، تجد أن العدد يزداد يوماً بعد يوم، بل انظر إلى عدد الذين يدخلون في الدين، تجد قبائل بأكملها من الوثنيين، أو النصارى، في أفريقيا، وإندونيسيا، أو غيرها من بلاد الله تدخل في دين الله عز وجل ليس فقط أولئك الذين لا يملكون العلم هم الذين يدخلون في الدين، بل حتى في أرقى مراكز العلم، في أوروبا، وفي أمريكا، أطباء، وعلماء، وخبراء، وساسة، على أعلى المستويات، يعلنون دخولهم في الدين.

وسفير ألمانيا في بلاد المغرب، خير مثال على ذلك (هوفمان) الذي أخرج كتابه الجديد الشهير: الإسلام هو البديل، والذي تكلم فيه عن انهيار الحضارة الغربية، وقدم فيها النموذج الإسلامي، كبديل عن تلك الحضارة الزائلة الآيلة للانهيار.

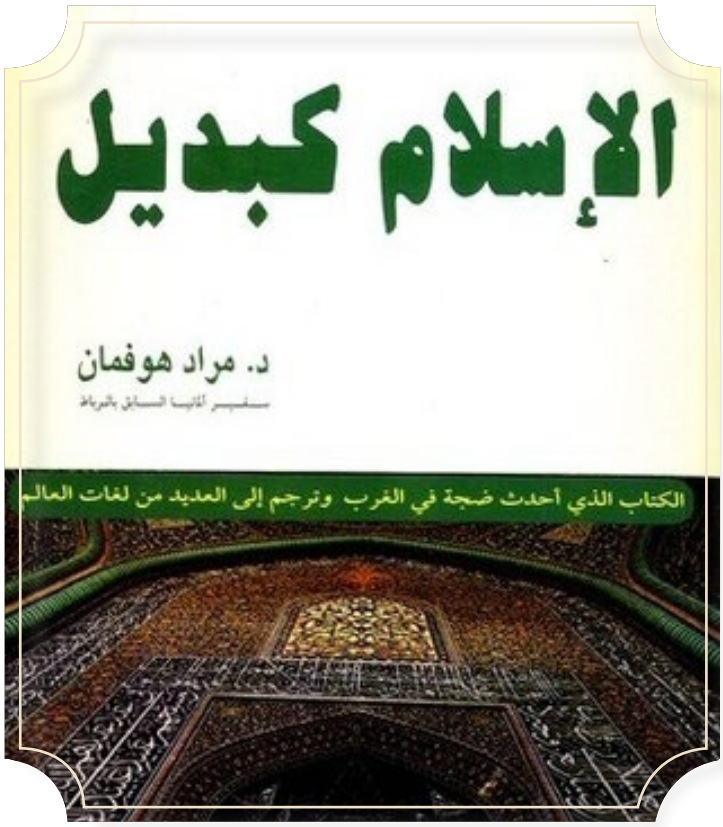

ومثله عدد من سفراء الدول الغربية، وعدد من رجالتها، وساستها، وعلمائها، وخبرائها، يعلنون دخولهم في هذا الدين، إذ أن هذا الدين هو دين الله عز وجل وهذا سر المعجزة، فهو يصلح للأعرابي في صحرائه، كما يصلح للطبيب في مختبره أو عيادته، كما يصلح للسياسي في أروقته، كما يصلح للرجل في معمله، كما يصلح للمرأة في عقر دارها، إنه الدين الذي يلائم عقول الجميع ونظراتهم، ويلبي كل مطالبهم الفطرية الجبلية.

إن أولئك الفتية الذين تخرجوا على يد النبي ﷺ، وخرجوا من صحرائهم لأول مرة، لا يزالون معلماً تتخرج على ضوئه الأجيال بعد الأجيال، لقد جعل منهم الوحي رجالاً خير من عرف الناس، ومشى الدين فيهم مشي العافية في المريض المضنى المقعد، وفي لمحة بصر تحولوا من رعاة الشاء والغنم، إلى قادة العصور وسادة الأمم، تحولوا إلى فرسان النهار رهبان الليل، تسمع بالليل بكاءهم بالقرآن كدوي النحل، وتسمع بالنهار صليل سيوفهم، كما قال الشاعر:

مشى الوحي فيهم مشية البرء في الضنى •• فأي فتى من سحره غير طافح
فطاروا إلى الدنيا بدين محمد •• وقد فتحوا الدنيا كلمحة لامح
كأن الرياح الذاريات مطيهم •• يلفون وجه الأرض لف الوشائح
تجوز بهم رمضاء كل تنوفة •• سوابح خيل تهتدي بسوابح
ففي كل بر منهم زحفُ زاحفٍ •• وفي كل يمٍّ منهم سبحُ سابح

كأن دوي النحل مثل دويهم .. إذا ارتفعت أصواتهم بالفواتح
يجول بهم إسلامهم كل جولة .. ويلقي بهم إيمانهم في الطوائح
فما الموت في الإيمان مرٌّ مذاقه ولا .. الحتف في الإسلام صعب الجوائح
فقادوا على أرماحهم كل مصعب .. وراضوا على أسيافهم كل جامح
فلا قيصر يزهو على الشام تاجه .. ولا تاج كسرى كالنجوم اللوامح
تناثرت التيجان تحت خيولهم .. وأهوى على أقدامهم كل طامع
فأين عيون الحق تشهد أمة .. تئن أنين الطير من كل ذابح
تعالت فطاحت فاستكانت فأصبحت .. لإذلالها يلهو بها كل مازح
فلا ملكها في الأرض مشتبك العرى .. ولا عيشها في الناس عيش الصحائح
على مثلها من ذلة بعد عزة .. تفيض جفون بالدموع السوافح
فهل صيحة في العرب تبعث ملكهم .. ألا ربما هبوا لصيحة صائح

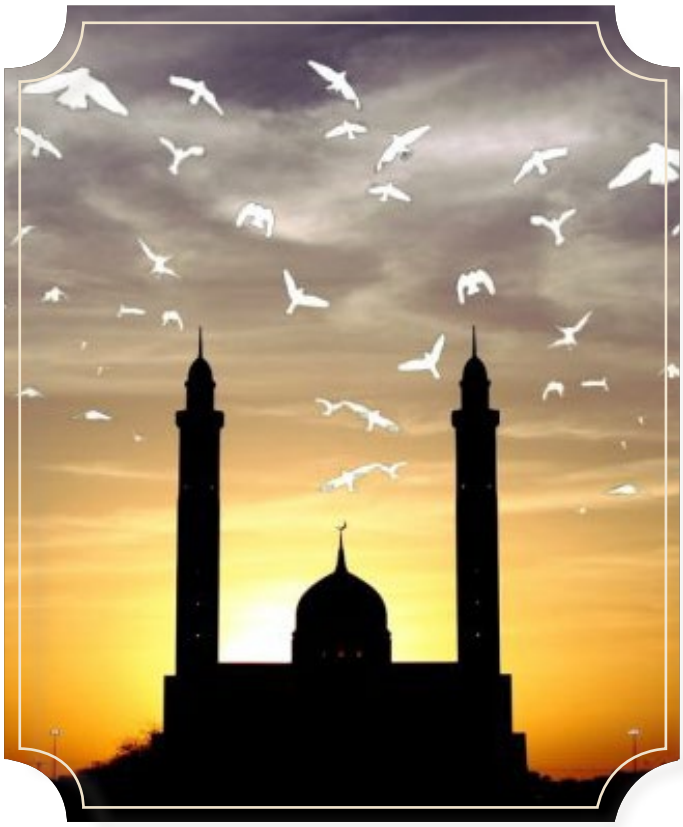

إن هذه المسافة التاريخية الهائلة التي قطعها الإسلام وهو يكتسب في كل يوم مواقع جديدة، وانتصارات جديدة، على رغم الضعف الذي ألم بأهله، وحملته، إن ذلك كفيل بأن يطمئن القلوب، ويهدئ النفوس، ويقطع للناس جميعاً أن المستقبل لهذا الدين اليوم، كما كان له المستقبل بالأمس، وأن كلمة الله تعالى ماضية على الناس في هذا الزمان، كما هي ماضية في كل زمان، وأن الله تعالى قال في محكم التنزيل: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

قصة سراقة بن مالك في الهجرة ودلالتها

إن مما يجدر ذكره ما رواه سفيان عن أبي موسى عن الحسن، وهو حديث مرسل، وقد ذكره الحافظ ابن عبد البر، وابن حجر وغيرهما من أهل السير: أن النبي ﷺ لما لحقه سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، يبحث عن أعطية قريش وهديتها لمن يأتي برسول الله ﷺ، فساخت قوائم فرسه في الأرض، فبعد ذلك قال الرسول ﷺ، وقد طلب كتاب الأمان: كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى؟! فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟! قال له النبي ﷺ: نعم كسرى بن هرمز [وحدث هذا فعلاً] فجاءت التيجان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أين سراقة؟ فجيء به، فأخذ التاج بيده، وألبسه سراقة، وقال: الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز، وألبسها أعرابياً من بني مدلج.

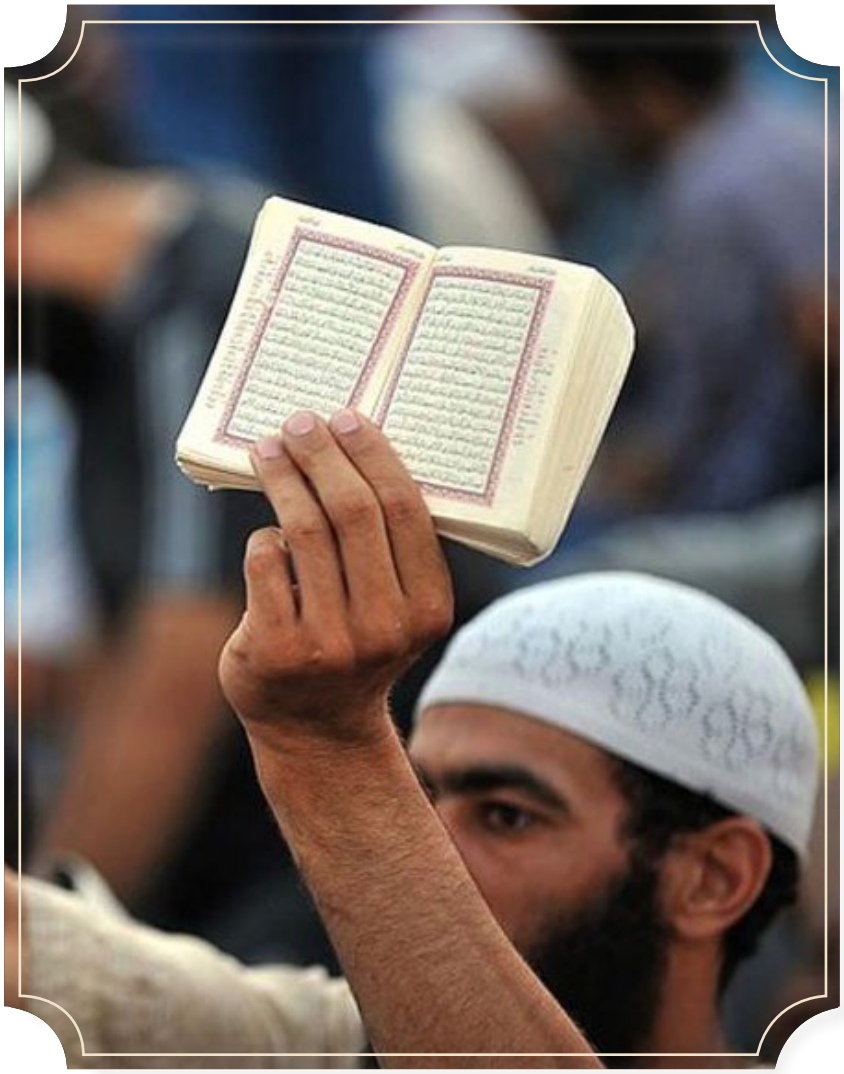

إنها أحلام الأمس، ولكنها حقائق اليوم.. وقد جاءت القصة في الأصل في صحيح البخاري: {أن سراقة طلب من النبي ﷺ كتاب أمان فكتبه له}.

إنها الثقة بالله عز وجل ووعده بمستقبل هذا الدين في غمرة الأحداث، وفي أشد الأوقات، وأعظم الأزمات، فقد كان الناس يعتقدون أنه ربما يقبض على هذا النبي الكريم في أي مكان، وينتهي تاريخ الدين، ولكن الأمر عند الله تعالى كان على غير ذلك.

بشائر النصر تبرق يوم الأحزاب

ومثل هذا تماماً ما حدث يوم الأحزاب، حين جاءت الأحزاب من كل مكان، وتحالفت كل القوى العظمى في ذلك الوقت على المسلمين. والمسلمون كانوا قلة في المدينة، وحوصروا حصاراً اقتصادياً وعسكرياً، وظن الناس بالله الظنون، وارتاب المنافقون، حتى قال قائلهم: الواحد منا لا يستطيع أن يذهب في قضاء حاجته، ومحمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر.

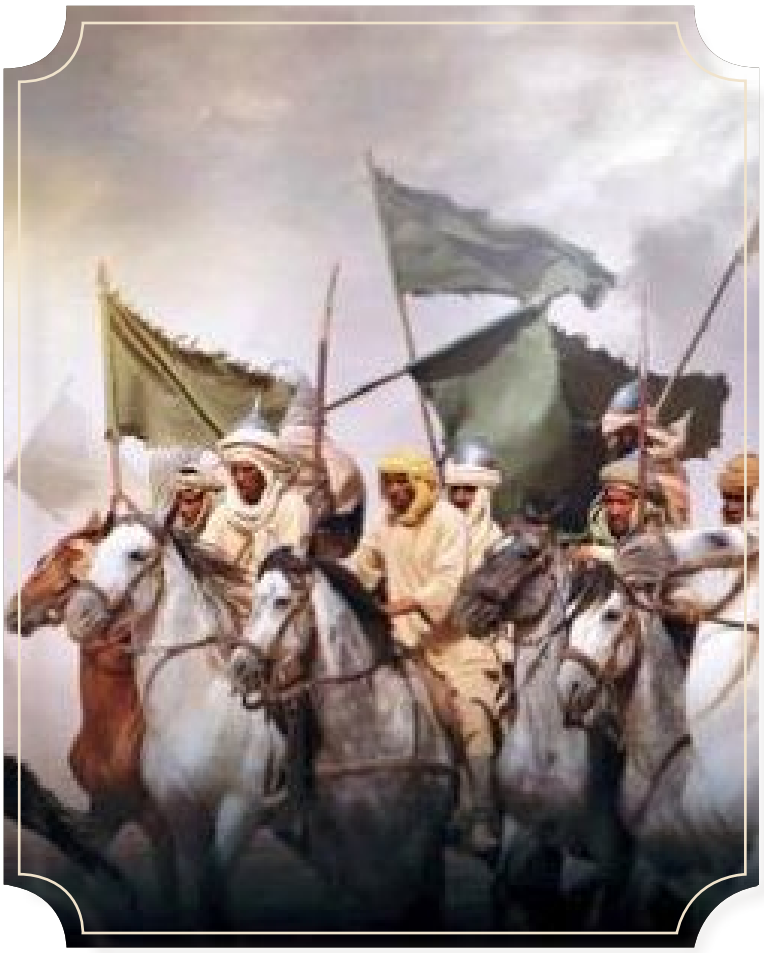

وهنا تأتي البشارة من الرسول ﷺ، فلما ضرب النبي ﷺ الصخرة، وبرقت قال: أضيئت لي قصور بصرى، وقصور صنعاء، فأخبر أصحابه أن آية النصر تتجلى في هذا الموقف الذي تحالف الناس فيه ضد الدعوة، إنهم لم يتحالفوا ضدها إلا لأنها تملك القوة، وتملك التهديد، وتملك المستقبل، ثم جاء الوعد من الرب عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٢].

إن الحاجة ماسة في أوقات الضعف -ضعف المسلمين- وتكالب أعدائهم عليهم، ووجود ألوان مما يظنه الناس هزائم تعانيها الأمة الإسلامية في أكثر من موقع، إنهم أحوج ما يكونون إلى تأكيد ثقتهم بوعد ربهم، ويكفي أن تتلى عليهم آيات الله عز وجل: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢] ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-١٤] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

لا هجرة بغير تضحية

د. خالد أبو شادي

فكّ الله أسره

هجر رسول الله - فراشه امتثالاً لأمر ربه: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢] ، وهجر الراحة امتثالاً لأمر ربه: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]، وهجر ماله وعشيرته وبلده مكة امتثالاً لأمر ربه.

ونحن يا أخي- ماذا هجرنا امتثالاً لأمر ربنا؟! لقد تحمل سيلاً من العذاب والمشاق في طريق هجرته بينما منا من لا يقبل أن يشاك الشوكة في دين الله، وهو إلى الله سائر!!

وخاطر بحياته والمشركون به متربصون ومنا من لا يريد أن يخاطر بماله فيدفع الزكاة!! وقطع القفار والصحاري، ليصل بالدعوة إلى بر الأمان، ومنا من يكسل عن المشي إلى المسجد المجاور.

ومثلما ضحّى رسول الله ﷺ ضحّى أصحابه تضحيةً تابعةً عن حبٍ ورضا، لا عن حزن وألم. قالت أم المؤمنين عائشة تصف حال أبيها حين علم بصحبته لرسول الله ﷺ في الهجرة:«فوا لله ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يومئذٍ يبكي».

وهذا والله بكاء الرجال.. فسبحان من فاوت بين الهمم، فمنها القمم، ومنها الرمم، ومنها السارح في الطاعات، ومنها الهائم في الشهوات، فأبو بكر يبكي فرحاً لأنه خارج في رحلة الموت!! ويبكي فرحاً لفراق ماله وهو الغني الموسر!! ويبكي فرحاً لفراق قومه، وهو صاحب الكلمة والمكانة فيهم!! ويبكي فرحاً لمخاطرته في رحلة شاقةٍ طويلة، يطارَد فيها، ويطلب فيها دمه، وهو الآمن المطمئن!!

فلا عجب أن يحوز وسام الشرف، وراية الكرم، فيسميه الله بالصديق من فوق سبع سماوات. قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]،

فلقد صدّق رسول الله بفعله قبل قوله، وبحاله قبل لسانه، ولذا استحق مدح الله وثناءه في قوله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]

قال الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر: ضحوا في سبيل الله لأن عقولهم الذكية أرشدتهم إلى هذه المعادلة الزكية، والتي صارت شعاراً لكل مهاجر:

بغض الحياة، وخوف الله أخرجني .. وبيع نفسي بما ليست له ثمناً

إنـــي وزنت الذي يبقى ليعدله .. ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

وصف رسول الله ﷺ عبادة المهاجرين الجدد فقال: «**عبادة الهرج كهجرة إلي**»

والهرج هو الفتنة واختلاط أمور الناس بين الحلال والحرام، حين ينتشر الحرام يظنه الناس حلالاً لكثرته، ويُهجر الحلال. وينساه الناس لندرته.

قال النووي: «وسبب فضل العبادة فيه: أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد» ، من قام بالليل يصلي، وغيره غارق في لهوه، سكران في شهوته، فهو من المهاجرين.

من غض بصره عن الحرام في زمن غرق فيه الشباب في براثن القنوات الفضائية، والأفلام الإباحية، فهو من المهاجرين.

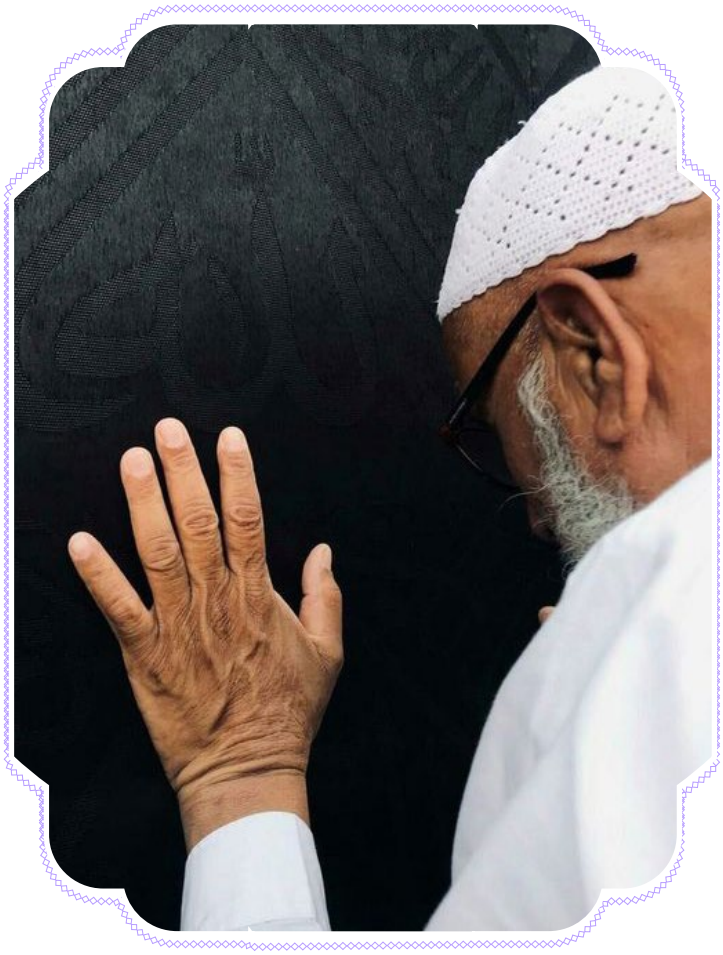

من عفت يده عن الحرام، حين تغلغل الحرام إلى النخاع، وطريق أبواب الأنقياء، فهو من المهاجرين.

من أمسك لسانه عن ذكر الناس، والناس فاكهتهم ذكر فلان وغيبة فلان، فهو من المهاجرين.

من تركت التبرج والزينة الحرام، وسط أخواتٍ لها كاسياتٍ عارياتٍ، فهي من المهاجرين.

ما أحوجنا إلى هذا النوع من الهجرة في زماننا هذا، الذي تنكبت فيه أمتنا طريق الهداية، ونافست أهل الكفر في إتيان المنكرات، إلا من عصم ربك، فشاع الزنا، وعم الربا، وشُربت الخمر جهاراً نهاراً،

وجاهر أقوام بعبادة الشيطان، وفشا الفجور في صورة الزواج العرفي، وصار القابض على دينه كالقابض على الجمر، وما أحوجنا إلى أن نتسلى بحديث عبد الله بن حبشي الخثعمي

حين « سأل رسول الله ﷺ: أي الهجرة أفضل؟ فقال: من هجر ما حرم الله عليه.. لنردد بالسنتنا ونجسد بجوارحنا قوله ﷺ: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» . صحيح

أعلى درجات التوكل. هذه هي السمة الثانية من سمات المهاجرين الجدد تعلموها من خير معلم وأعظم قدوة: رسول الله.

قال أبو بكر: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه، فقال: يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما «. يجيبه النبي - بجواب ملؤه التوكل والاعتماد على الله وحده، لأن الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

فمن كان في معية الله فهو أيضا ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

قال الله عز وجل:﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

فلا حزن لأن من كان الله معه لا يغلب، ومن لا يغلب فيحق له أن لا يحزن.

فمعنى المعية هنا:

النصر والدفاع، وليس مجرد العلم والإحاطة، وظهرت هذه الطمأنينة جلية حين انتهى المشركون إلى الجبل الذي كان فيه رسول الله ﷺ، وجلس رجل يبول مواجهة الغار، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذا الرجل ليرانا، وكان مواجهه، فقال ﷺ: كلا إن ملائكةً تسترنا بأجنحتها، ولو كان يرانا ما فعل هذا.

ولذا صح عن الرسول ﷺ أنه كان طوال الرحلة مطمئناً لا يلتفت يمنةً ولا يسرةً حتى بعد أن أدركه سراقة بن مالك.

وما أحوجنا إلى أن نتعلم هذا التوكل، فلا يعود في قلوبنا غير الله، لا نرجو ولا ندعو، ولا نثق ولا نطلب، ولا نلجأ ولا تعتصم، ولا نخاف ولا نرهب إلا الله، ومن كان هذا حاله في الدنيا، فهو يعيش في الجنة قبل دخولها، وفي النعيم وأي نعيم. كيف الوصول؟!

لكن كيف يصل مثلي ومثلك إلى مثل هذه القمة الباسقة، والدرجة العالية من صدق التوكل على الله، والاطمئنان إليه، وعدم الركود إلى غيره؟! تولى ابن القيم الإجابة فقال: إنما يودع الله ذخائره في قلب يرى الفقر غني مع الله، والغنى فقراً من دون الله، والعز ذلاً دونه، والذل عزاً معه، والنعيم عذاباً دونه، والعذاب نعيماً معه، وبالجملة فلا يرى الحياة إلا بالله، ومع الله، والموت والألم والهم والغم والحزن إذا لم يكن مع الله، فهذا له جنتان، جنة في الدنيا معجلة، وجنة يوم القيامة.

وقد قص الله علينا قصة ذلك التوكل الفريد في كتابه المجيد

فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

لم تنزل هذه الآيات وقت الهجرة أو بعدها بقليل، كما قد يتبادر إلى الأذهان، ولكنها نزلت في العام التاسع من الهجرة، وهو العام الذي شهد غزوة تبوك والتي سميت بالعسرة ...

عسرةٌ في الظَّهر: حيث كان الثمانية عشر صحابياً يتعاقبون على بعير واحد.

وعسرةٌ في الماء: حيث كان الرجل ينحر دابته فيعصر روثها فيشربه من شدة العطش.

وعسرةٌ في النفقة: حيث تخلَّف من لم يكن معه تكاليف هذه الرحلة الطويلة الشاقة. وقد نزلت حين تأخر بعض أصحاب النبي ﷺ عن الخروج معه، فقال الله لهم: إلا تنصروه فإن الله ناصره ومؤيده، كما نصره برجل واحد فحسب هو أبو بكر يوم الهجرة، فالله غني عن الألوف منكم إذا تأخروا عن نصرة نبيه، أما جنوده التي يستطيع أن يؤيده بها فهي لا تعد ولا تحصى، فانصروه لا لحاجته إليكم - حاشاه- بل لحاجتكم أنتم إليه وإلى شفاعته وإلى رضاه.

وختم الله الآية بقوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ ، وهي كما ترى جملة فعلية، والجملة الفعلية تفيد التغير، وعدم الدوام، فكلمة الكافرين وإن علت في زمن من الأزمان، فهو علوٌ طارئ مصيره حتماً إلى هبوط، وعزٌ سائر إلى ذلٍ، وقوة من ورائها الضعف. ثم قال: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، وهي جملة إسمية، والجملة الاسمية تستخدم للتعبير عن الحقائق، والإخبار عن الثوابت، فكلمة الله دائما وأبداً هي العليا، لم تهبط يوماً ولم تذل: إنما هبط من فرط فيها، فلم يحملها، ولم يرعها حق رعايتها، فأُذل وأُهين، وذاق الخسران المبين.

من أنصاري إلى الله؟!

إخوتاه .. هل لنا أن نخاطب أنفسنا مثل هذا الخطاب الآن، ونقول: إن لم ننصر رسول الله فينا بالتزام سنته، ونشر هدايته، والذود عن حماه، والتأسي به في معاشه ومعاده، وحربه وسلمه، وعلمه وعمله، وعاداته وعباداته، وإن لم نكن جنداً في جيشه وسهماً في كنائته، ورهناً لإشارته، فإن الله ناصره: بـ

﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

إن دين الله منتصر، وشريعته ظاهرة على الكون كله، سواء تكبدنا مشقة العمل له، أم رضينا بالنوم والرقاد، لكن هل يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله؟! هيهات هيهات:

﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥].

وهي درجة ليست هيئة، وفرق ليس بسيطاً، بل هو كما أخبر ربنا:

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]

الآن إلى السمة الثالثة من سمات المهاجرين: نتجول في رحابها، وتنعم في ظلالها، بالأنوار المشرقة الساطعة، من محبة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

لما مشى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار، جعل أبو بكر الصديق يكون أمام النبي ﷺ مرة وخلفه مرة، فسأله النبي عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تُؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تُؤتى من خلفك، حتى إذا انتهيا إلى غار ثور ليلاً قال أبو بكر: أدخل فأحسه وأقصه، فإن كان فيه دابةٌ أصابتني قبلك، وكان في ذلك الغار جُحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفاً من أن يخرج منه دابةٌ أو شيء يؤذي رسول الله.

أخي الحبيب..

أحب أبو بكر رسولَ الله ﷺ حباً صادقاً، فدفعه ذلك إلى أن يحميه من كل ما يؤذيه، أو يسوؤه أو يضره، ولكن توقف معي لحظة !!

أريد أن أهمس في أذنك بكلمة: وهل يؤذي رسول الله، أو يسوؤه، أو يضره شيء، أكثر من أن تخالف سنته، وتهجر شريعته؟!

إن جراحات بدنه ﷺ لم تكن تضيره، بدليل أنه لما أصيب إصبعه في بعض المشاهد أنشد قائلا:

هل أنت إلا إصبع دميت .. وفي سبيل الله ما لقيت

لكنه في المقابل.. لا يطيق جراحات قلبه بعصيان قومه، أليس هو الذي كان لا يغضبه شيء إلا أن تنتهك محارم الله؟ فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء؟! فيا أخي.. هل أرضيت رسول الله أم أغضبته؟! هل أحببته أم أحببت مخالفته؟! هل أطعته أم عصيته؟! محبة صديقية.

يا أخي: من أحب رسول الله حماه من كل ما يؤذيه، تماماً كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ليس في حياة النبي ﷺ فحسب حين حمى جسده الشريف مما يؤذيه، بل كذلك بعد موته، حين حمي شريعته الغراء ممن أراد أن يبدلها، وامتنع عن دفع الزكاة، فحارب المرتدين قائلاً:

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه، إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص وأنا حي؟ ولما كلمه الناس في أن لا يبعث جيش

أسامة، وهو الجيش الذي كان رسول الله ﷺ قد أنفذه ثم لقي ربه قبل خروجه، لما كلموه أن لا ينفذ الجيش لحاجته إليه، زمجر كالأسد الهصور، وأردف كالرعد القاصف: والله لو أن الطير تخطفتني، وأن السباع من حول المدينة، وأن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ولا حللت لواء عقده.

والله لو لم يكن في القرى غيري لأنفذته، أوَ أُطيعه حياً وأعصيه ميتاً؟؟

يعلمنا بذلك درسا بليغا في المحبة الصادقة، على أنها ليست في قصائد المدح وأشعار الثناء، بل في التزام النهج وحسن الاقتداء، ألا ما أرخص الحب إذا كان كلاماً، وما أغلاه حين يكون قدوةً والتزاماً.

نساء عاشقات

لما رأى رسول الله ﷺ اختلاط النساء بالرجال في الطريق قال للنساء:«استأخرن.. عليكن بحافات الطريق» فسمعن وأطعن، فكانت المرأة تلتصق بالجدار: حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل منهن، لقد أنزلت سورة النور:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وكل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل - المزخرف - فاعتجرت به - شدته على رأسها - تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كان على رؤوسهن الغربان.

من القيد إلى الحرية

كيف كانت الهجرة تحريراً للإنسان

الشيخ أحمد التلفيتي

فكّ الله أسره

الحمد لله رب العالمين.. شرع لنا الدين القويم وهدانا الصراط المستقيم، وأتانا الكتاب المبين، وجعلنا من خيرة أمة أخرجت للعالمين، وأرسل إلينا خاتم الأنبياء والمرسلين، وخير البشر أجمعين، سيدنا محمد بن عبدالله.. النبي البسّام، والفيصل القسام، عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام.

قد تكون العلامة الفارقة والحادثة المفصلية في التاريخ شخصية أو رحلة أو فكرة، تلقي بظلالها على مر الزمان بعدها، فتجعل من المتأثرين بها دلائل على عمقها واستمرارها بقصصهم ومبادئهم وتجاربهم.

في ظلال الرحلة الأشهر والأهم والأطيب على مستوى تاريخ البشر، بطلها وفارسها أطهر وأصدق مَن خط على الثرى، أي في ظلال هجرة محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، أو من ظلام الجاهلية الذي استعصى وتمنّع أمام العقل والحوار والحجة والمنطق والدليل، إلى النموذج المشرق الذي يتغنى الزمان به في مدينة رسول الله ﷺ الفاضلة المنورة، في حمى تلك الظلال الوارفة التي لا سبيل إلى الهدى دون النزول بها، ولا قرار ولا استقرار للنفوس أو القلوب دون اللياذ إليها، ولا تمامَ لوعي ولا فهم دون قصدها..

فهي:

١ ذات المعنى السّامي.. عدم الاستسلام لأرباب الظلام في ظل وجود أرض للنور، وعدم الانكفاء عن الإصلاح ما دامت الحاجة إليه، وبذل كل سبب، وصبر كل صبر، فكانت الهجرة من ظلام إلى نور، من جهل إلى علم، من أثرة إلى إيثار، من بهيمية إلى إنسانية، من غوغائية إلى نظام، من خوف إلى أمن، أمنٍ نفسي ومجتمعي وميداني، ومن قلق واضطراب إلى سلام وسكينة.

والأهم على الإطلاق: من القيد إلى الحرية، فقد كانت رسالة محمد ﷺ رسالة حرية كاملة، في النفس والسلوك الواقع، تحرر الإنسان من قيد الخرافة والاستعباد والشهوة، لتنطلق به في معارج روحٍ نفخها الله في آدم من روحه، حرية لا تقتصر على جنس أو عرق أو طبقة أو مجال، كل من كان في صفها كان حراً، وكل من عاداها كان مقيداً مهما تكن دواعي عداوته.

ولأنها كذلك:

٢ فقد حوربت بهمجية بلا هوادة ولا اعتبار لذمة أو عهد، حوربت في الفكرة والأشخاص والكلمة والعمل، فكان لابد من هجرة إلى واقع تتمكن فيه من إقامة نموذجها الناصع.

وبعد انتظار اللحظة المناسبة، وإعداد الرجال المناسبين لهذا الحدث الكبير، انطلقت الرحلة.. مع اتخاذ الأسباب المادية كافة لإنجاحها، حتى باستخدام الدليل المشرك، واتكالاً على الله سبحانه في أتم وأكمل ما يكون التوكل ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وكان يلزم الرحلة صديق بحجم أبي بكر رضي الله عنه.. يحرسه من الجهات كافة، يسلمه زمام قلبه بعد أن وجد لديه كل ما يتمنى الإنسان في الأسوة القدوة، وأفلح مَن أمسى رفيق محمد ﷺ، وأصبحت كل تفصيلات الرحلة دروساً في التاريخ وعبراً للبشر.

نطاق أسماء، غار ثور، سراقة بن مالك، شاة أم معبد، فداء علي، عدوان أبي جهل على بيت الصديق.. وغيرها، رحلة مضطهد في وطنه: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

٣ ومثل تلك الرحلة صنعت التاريخ تحدثت مئات المصنفات عنها ولا تزال أقصر من أن تحيط بكافة ما صنعت، أصبحت البرية تقول ما قبل البعثة وما بعدها، ما قبل الهجرة وما بعدها.

وأهم ما صنعته تلك الرحلة: الإنسان، الذي رضي أن يهجر النزاع مع أخيه الإنسان، ويتقاسم معه داره وماله، ويفديه بروحه.

صنعت الفتح الذي كان محتماً منذ بداية الرحلة، لأن الهجرة تبني بنيانها، والباطل يهدم عروشه بُحمقه، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. ولسان الحال:

فلولا مبعث المختار كنا •• عبيداً في سلاسل من غزانا
فصلى الله رب العرش دوماً •• على الحر الذي أحيا الزمانَ

وبفطنة وبصيرة محمد ﷺ.. قرر للمسلمين في زمانه ومن بعدهم، أن الهجرة ليست بشكلها، فيوم الفتح قال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية». لتستمر الهجرة حيثما ووقتما تطلب الأمر، ولكن بالجهاد والنية.

ولذلك، يحرص أتباع محمد ﷺ الأحرار على الهجرة بمعناها السامي، فيجاهدون في كل مجال وبكل وسيلة أعداء الحرية المنتشرين في بقاع العالم، الأعداء هم ذاتهم أولئك الجاهليون، بذات أساليبهم وأهدافهم، لا يدخرون وُسعاً في شتم وهجاء النبي ﷺ في كل فترة ملؤهم الغيظ، وقد ترك لهم الرسول ﷺ أحراراً يواجهونهم ويرفضون الاستكانة ولو جارت عليهم الدنيا، لتبقى القاعدة الثابتة حاضرة في هذا الصراع الممتد منذ بداية رحلة الهجرة حتى اليوم: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

في بيت المقدس وأكنافه مهاجرون، هجروا فتناً ومغريات ولو كانت جذابة، لكنها في حقيقتها قيود، واختاروا رحلة الحرية بأسباب مادية وبتوكل على الله: إن الله معنا، ولو قست عليهم الظروف، لكنهم في سكينة وطمأنينة أنهم على حق سينتصر، وفي هجرة ستثمر، وعدوهم مدجج بكل أحقاد وغايات الجاهلية، وهو في اضطراب وأفول، اخترنا نصرة النبي ﷺ بهجرةٍ من تفصيلِه وهديِه، لعل الله عز وجل يكرمنا بفتح ونصر من توفيقه وتمكينه.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

الوعد والأجل ..
لماذا يتأخر تحقق الوعد الرباني؟

الشيخ أشرف عبد المنعم*

فكّ الله أسره

لم تزل حركة المؤمنين عبر تاريخهم، سائرة في ظل الوعود الربانية. سواء أوصلت تلك الوعود للمؤمنين من خلال الكلمات الإلهية، أو الكلمات النبوية، أو الرؤى المعصومة من الأنبياء، أو الرؤى المبشرة من المؤمنين.

---

* الشيخ أشرف عبد المنعم، مقال الوعد والأجل لماذا يتأخر تحقق الوعد الرباني، ١٣ يونيو ٢٠١٩م، موقع «الجبهة السلفية» الإلكتروني.

ما الحكمة من الوعد؟

إن الوعد يبث اليقين بالنهاية، فيحفز النفس البشرية على العمل، لأن للعمل نتيجته المرجوة، ويعقبه الجزاء، ويعينها على الصبر في مواجهة مشاق الطريق، لأن للصبر مدته المقضية، وتعقبه الراحة. إذ أنه لا عمل بلا أمل، ولا صبر بلا غاية. و ليس مثل الوعد الرباني يحيي آمال نفوس البشر، ويريهم غايتهم يقينا في القلوب. ولأجل هذه الحكمة العظيمة، والمصلحة المرتبطة بطبيعة النفس البشرية وباحتياجاتها، أوصل الله - تعالى - وعوده للمؤمنين.

هل يتأخر تحقق الوعد؟

لقد حكى الله - عز وجل - لنا عن وعده الكريم لرسله وللمؤمنين ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. وحكى لنا مع ذلك أنهم قد لا يضبطون موعد تحقق الوعد، وربما يتأخر ذلك التحقق عما كانوا ينتظرون ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] مع أن تحققه يقين، ووقوعه قريب ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

مثال يحل الإشكال:

في العام السادس من الهجرة النبوية الشريفة، رأى رسول الله ﷺ في منامه أنه يطوف بالبيت الحرام، ورؤيا الأنبياء وحي معصوم، وحق لا شك فيه. فبشر ﷺ أصحابه، وحثهم على الخروج معه للعمرة، فخرج ﷺ ومعه نحو ألف وخمسمائة من الصحابة - رضي الله عنهم -.

مسجد الحديبية

ثم كان ثمرة ذلك الخروج للعمرة صلح الحديبية بين المسلمين ومشركي مكة، و الذي سماه الله فتحا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ففتحت كثير من القلوب لدعوة الإسلام، و تضاعف أنصاره في الأرض مرات ومرات، و فتحت خيبر اليهود، والتي كانت وكرا للمؤامرات، ثم توج ذلك بفتح مكة في العام الثامن من الهجرة ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

أما وعد العمرة والذي كان المسلمون يتوقون لتحقيقه في العام السادس من الهجرة، والذي حصل ببركة السعي لتحقيقه لما ذكرنا، فإنه لم يتحقق في ذلك العام.

لقد كان من شروط صلح الحديبية أن يرجع الرسول ﷺ و أصحابه، فلا يعتمرون في ذلك العام. ثم يعودون في العام التالي ليعتمروا. وهكذا تأخر تحقق وعد العمرة إلى العام السابع من الهجرة، ثم تحقق في عمرة القضاء. [سيرة ابن هشام ٣٢٠/٣] وصحيح البخاري [حديث ٢٥٤٢].

أين المشكلة؟

إن المشكلة ليست أبدا في الوعد الرباني، ولا في تحققه. لكن المشكلة دائما ما تكون في عجلة الإنسان، وهي من لوازم النقص البشري ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الانبياء: ٣٧].

فعندما يتصور الإنسان موعدا لتحقق الوعد، باجتهاد في فهمه بحسب علمه، و بما تشتاق إليه نفسه، ثم لا يتحقق الوعد في هذا الموعد، فإن الإنسان قد يصدم و يتألم . و لهذا صدم الصحابة -رضى الله عنهم - لأنهم لم يكونوا يتصورون بعد استبشارهم برؤيا النبي ﷺ و بعد خروجهم للعمرة معه، ألا يعتمروا في ذلك العام. حتى دار ما دار بين أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - و هما خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ حين قال الفاروق: ألم يخبرنا أنا نأتي البيت، ونطوف به؟ فأجابه الصديق: أقال لك: عامك هذا؟ فإنك آتيه ومطوف به. وقد كان الأمر كذلك.

فلم يكن توقع موعد التحقق يقيناً، كما كان نفس تحقق الوعد يقيناً. والواقع الحقيقي لا يعارض الموعد الحقيقي، لكنه قد يعارض فهما اجتهادياً وشوقاً بشرياً. لتتحقق بهذا الأجل في الحقيقة، وبهذا التأخر في حس المؤمنين، حكم أخرى عظيمة، قد توازي حكمة الوعد، أو قد تزيد عليها.

ما الحكمة من تأخر تحقق الوعد؟

إن لتأخر تحقق وعد الله بالنصر - خاصة - حِكماً عامة لا تخطئها عين البصيرة، كتنقية الصدور من أطماع الدنيا، وتصفية الصفوف من غير الأصفياء، مصداقاً لقول رب العالمين - عز و جل -: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران ١٤٠ -١٤١]، ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ثم إن لتأخر تحقق الوعود الربانية التفصيلية، حكماً أخرى كثيرة تفصيلية، كما كان في وعد العمرة الذي حكى الله تحققه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧] وحكى طرفا من عظيم حكمته وفضله في تأخيره: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

وهكذا في كل تأخر في تحقق وعد رباني.. يتألم ناس و يصدمون، وربما يتشكك ناس أو ييأسون، والله - تعالى - يعلم ما لا يعلمون. فيجري - عز وجل - قدره بالوعد وبالتأخير جميعاً لتتحقق الحكمة البالغة وليتحقق الوعد في موعده الحقيقي. بعد أن يتحقق بالتأخير ما لم يكن ليتحقق لولاه مما قد يكون أعظم من تحقق الوعد نفسه، ومما قد يكون هو أفضل طريق لتحقق

الوعد، وإن خفي أكثر ذلك على أكثر الناس، لنقص العلم، و لعجلة الطبع. لكن الله لا يعجل لعجلة أحدكم وهو - سبحانه - ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

سر الجواب

إن لكل وعد رباني حكمة، فلا تضيعوا ثمرته، ولا تسمحوا لوقت ما طال أو قصر قبل تحقق الوعد أن يشوش عليها في قلوبكم. وإن لكل أجل قبل تحقق الوعد - وإن كان تأخيراً لذلك التحقق في حس المؤمنين حكم أخرى عظيمة، فلا تغفلوا عنها، بل تلمسوها وإن لم تحيطوا بها علماً، إذ يبقى الغيب من أسرار الله في خلقه. وإن في بعض حكم تظهر في الطريق، لمعونة وتثبيت للمؤمنين، كما إن في بعض وعود أخرى جزئية تتحقق في الطريق، لزيادة في اليقين، و لطف بالعباد المساكين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

كيف انتقم الله ممن سب الرسول عبر التاريخ؟

د. عادل باناعمة

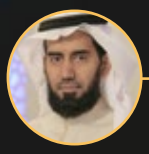

فكّ الله أسره

قصة كسرى وقيصر المشهورة مع النبي ﷺ جديرة بالتأمل، فقد كتب إليهما النبي ﷺ، فامتنع كلاهما من الإسلام، لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ، وأكرم رسوله، فثبَّت الله ملكه، وكسرى مزَّق كتاب رسول الله ﷺ، واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك[1].

---

* عادل باناعمة، كيف انتقم الله ممن سب الرسول عبر التاريخ، موقع: قصة الإسلام، منشور بتاريخ ٢٥/٠٣/٢٠١٢.

١. ابن تيمية: الصارم المسلول ص١٤٤.

وكان من أثر ذلك ما ذكره السهيليُ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيمًا له، وهم لم يزالوا يتوارثونه، حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة، ثم كان عند سِبْطه، فحدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قُوَّاد المسلمين اجتمع بذلك الملك، فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله، فامتنع.

ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتابًا قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خِرقَة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظِّمه ونكتمه عن النصارى؛ ليدوم الملك فينا.

وكان من أثر ذلك ما ذكره السهيليُ أنه بلغه أن هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيمًا له، وهم لم يزالوا يتوارثونه، حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة، ثم كان عند سِبْطه، فحدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قُوَّاد المسلمين اجتمع بذلك الملك، فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر، وسأل أن يمكِّنه من تقبيله، فامتنع.

ثم ذكر ابن حجر عن سيف الدين فليح المنصوري أن ملك الفرنج أطلعه على صندوق مُصفَّح بذهب، فأخرج منه مقلمة ذهب، فأخرج منها كتابًا قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خِرقَة حرير، فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ، ونعظِّمه ونكتمه عن النصارى؛ ليدوم الملك فينا.

وإليكم هذا الخبر العجيب!

كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقَنَّ إلى محمد ولأوذينَّه في ربه. فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، كفرت بالذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى. فدعا عليه النبي ﷺ قائلاً: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك».

ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه فقال: يا بُنَيّ، ما قلت له؟ فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك». قال: يا بني، والله ما آمن عليك دعاءه!

فساروا حتى نزلوا بالشراة وهي أرضٌ كثيرة الأسد، فقال أبو لهب: إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها. ففعلنا، فجاء الأسد فشمَّ وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع، فشمَّ وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه!! فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا يتفلت من دعوة محمد[٢]!!

وذكر الكتاني في ذيل مولد العلماء (١٣٩/١) أنه ظهر في زمن الحاكم رجلٌ سَمَّى نفسه هادي المستجيبين، وكان يدعو إلى عبادة الحاكم، وحُكِيَ عنه أنه سبَّ النبيَّ ﷺ، وبصق على المصحف، فلما ورد مكة شكاه أهلها إلى أميرها، فدافع عنه، واعتذر بتوبته، فقالوا: مثل هذا لا توبة له! فأَبَى، فاجتمع الناس عند الكعبة وضجُّوا إلى الله، فأرسل الله ريحًا سوداء حتى أظلمت الدنيا، ثم تجلت الظلمة وصار على الكعبة فوق أستارها كهيئة الترس الأبيض له نور كنور الشمس، فلم يزل كذلك ترى ليلاً ونهارًا، فلما رأى أميرُ مكة ذلك أمر بـ«هادي المستجيبين»، فضربَ عنقَهُ وصلبَه.

---

٢. تفسير ابن كثير.

وذكر القاضي عياض في الشفا (٢١٨/٢) قصة عجيبة لساخرٍ بالنبي ﷺ! وذلك أن فقهاء القيروان وأصحابَ سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعرًا متفننًا في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ، فأمر القاضي يحيى بن عمر بقتله وصلبه، فطُعن بالسكين وصُلب مُنكسًا. وحكى بعضُ المؤرخين أنه لما رُفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت وحوَّلته عن القبلة، فكان آيةً للجميع، وكبَّر الناسُ، وجاء كلبٌ فولغ في دمه!

وحكى الشيخ العلامة أحمد شاكر أن خطيبًا فصيحًا مفوهًا أراد أن يثني على أحد كبار المسئولين؛ لأنه احتفى بطه حسين، فلم يجد إلا التعريض برسول الله ﷺ.. فقال في خطبته: جاءه الأعمى، فما عبس وما تولى!

قال الشيخ أحمدُ: ولكن الله لم يَدَعْ لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين -وبعد أن كان عاليًا منتفخًا، مستعزًّا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء- رأيته مهينًا ذليلاً، خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار!

وذكروا أن رجلاً ذهب لنيل الشهادة العليا من جامعة غربية، وكانت رسالتُهُ متعلقة بالنبي ﷺ، وكان مشرفُهُ شانئًا حانقًا، فأبى أن يمنحه الدرجة حتى يضمِّن رسالته انتقاصًا للمصطفى ﷺ، فضعفت نفسه، وآثر الأولى على الآخرة. فلما حاز شهادته ورجع إلى دياره، فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ.

لا إله إلا الله..

صدق الله ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

وليُعلمْ أن كفاية الله لنبيه ممن استهزأ به أو آذاه ليست مقصورة على إهلاك هذا المعتدي بقارعة أو نازلة، بل صور هذه الكفاية والحماية متنوعة متعددة..

فقد يكفيه الله عز وجل بأن يسلط على هذا المستهزئ المعتدي رجلاً من المؤمنين يثأر لنبيه ﷺ، كما حصل في قصة كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يهجو النبي ﷺ، واليهودية التي كانت تشتمُ النبي ﷺ، فخنقها رجل حتى ماتت[٣]، وأم الولد التي قتلها سيِّدها الأعمى لما شتمت النبي ﷺ[٤]، وأبي جهل إذ قتله معاذٌ ومعوّذٌ لأنه كان يسبُّ رسول الله ﷺ، والخُطْمِيةِ التي هجت النبي ﷺ فانتدب لها رجل من قومها[٥]، وأبي عَفَكٍ اليهودي الذي هجا النبي ﷺ فاقتصّه سالم بن عمير[٦]، وأنسِ بن زُنَيم الذي هجا النبي ﷺ فشجَّه غلام من خزاعة[٧]، وسلامِ بن أبي الحقيق إذ ثأر للنبي ﷺ منه عبدُ الله بن عتيك وصحبه[٨].

ولعل أغرب وأعجب وأطرف ما وقفت عليه في هذا الباب ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مؤلفه المشهور الصارم المسلول على شاتم الرسول، قال رحمه الله: وقد ذكروا أن الجن الذين آمنوا به، كانت تقصد من سبّه من الجن الكفار فتقتله، فيقرها على ذلك، ويشكر لها ذلك[٩]!

ونُقل عن أصحاب المغازي أن هاتفًا هتف على جبل أبي قبيس بشِعْرٍ فيه تعريض بالنبي ﷺ، فما مرت ثلاثة أيام حتى هتف هاتف على الجبل يقول:

---

٣. سنن أبي داود.

٤. سنن أبي داود.

٥. ابن تيمية: الصارم المسلول على شاتم الرسول ص٩٥.

٦. المصدر السابق ص١٠٢.

٧. السابق ص١٠٣.

٨. السابق ص١٣٥.

٩. السابق ص١٣٤.

نحن قتلنا في ثلاثٍ مِسعرا إذ سفه الحق وسنَّ المنكرا
قنَّعتُهُ سيفًا حسامًا مبترا بشتمه نبينا المطهرا

ومسعرٌ -كما في الخبر- اسم الجني الذي هجا النبي ﷺ.

❁ ومن صور كلاءة الله لنبيه ممن تعرض له بالأذى أن يحولَ بين المعتدي وبين ما أراد بخوفٍ يقذفه في قلبه، أو ملكٍ يمنعه مما أراد.. وقد روي أن غورث بن الحرث قال: لأقتلَنَّ محمدًا. فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قال: أقول له: أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به. فأتاه فقال: يا محمد، أعطني سيفك أشمُّه. فأعطاه إياه، فرعدت يده، فسقط السيف، فقال رسول الله ﷺ: «حال الله بينك وبين ما تريد»[١٠].

ومثل ذلك ما ذكره ابن كثير في تفسيره من أن أبا جهل قال لقومه: واللات والعزى لئن رأيت محمدًا يصلي، لأطأنَّ على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكصُ على عقبيه، ويتقي بيديه! فقيل: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحةً! فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا»[١١].

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- أن رجالاً من قريش اجتمعوا في الحجر، ثم تعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف أن لو قد رأوا محمدًا لقد قمنا إليه مقام رجل واحد فقتلناه قبل أن نفارقه، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي ﷺ، فقالت: هؤلاء الملأ من قومك لقد تعاهدوا لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل واحد إلا قد عرف نصيبه من دمك. فقال: «يا بنية أتيني بوضوء»، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد..

١٠. السيوطي: الدر المنثور ٣/١١٩.
١١. تفسير ابن كثير ٤/٥٣٠.

فلما رأوه قالوا: ها هو ذا. وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم منهم إليه رجل، فأقبل النبي ﷺ حتى قام على رءوسهم، وأخذ قبضةً من التراب ثم قال: «شاهت الوجوه»، ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصا حصاةٌ إلا قُتل يوم بدر كافرًا[١٢].

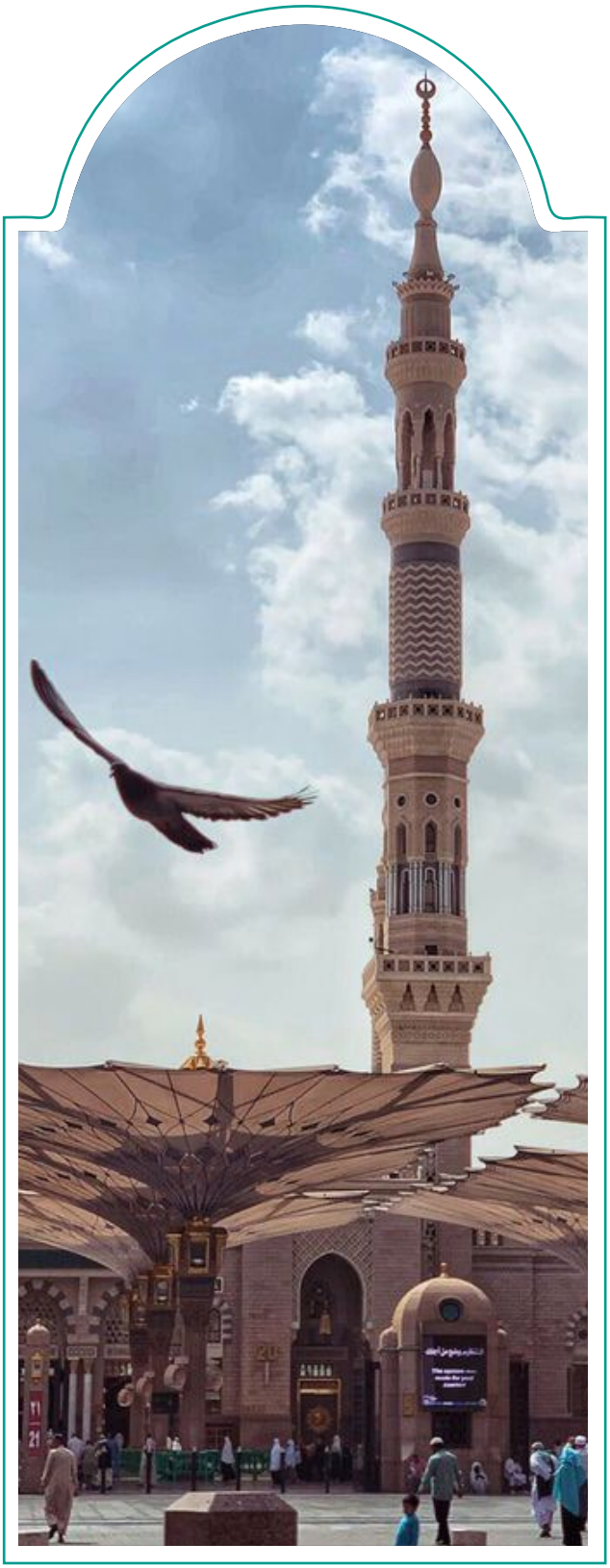

لا إله إلا الله..

صدق الله ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

ومن صور حماية الله لنبيه، وكفايته إياه استهزاء المستهزئين - أن يصرف الشتيمة والذم والاستهزاء إلى غيره، فإذا بالشاتم يريد أن يشتمه فيشتم غيره من حيث لا يشعر!

قال ﷺ: «ألا ترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمَّمًا، ويلعنون مذمَّمًا، وأنا محمد»[١٣]. قال ابن حجر: كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسم الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده فيقولون: مذمّم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم. ومذمم ليس اسمه، ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم مصروفًا إلى غيره[١٤]!

لا إله إلا الله..

صدق الله ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

١٢. أبو نعيم الأصبهاني: دلائل النبوة ٦٥/١.

١٣. رواه البخاري.

١٤. الفتح ٥٥٨/٦.

ومن صور الحماية الربانية أن يغيِّر الله السنن الكونية؛ صيانةً لنبيه ﷺ، ورعاية له.

وشاهد ذلك قصةُ الشاةِ المسمومة، فهذه زينب بنت الحارث جاءت للنبي ﷺ بشاة مشوية دسَّتْ فيها سمًّا كثيرًا، فلما لاك النبي ﷺ منها مضغةً لم يسغها، وقال: «إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم»! ثم دعا باليهودية، فاعترفت.

فانظر كيف خرم الله السنن الكونية من جهتين:

أولاهما: أنه لم يتأثر ﷺ بالسم الذي لاكه.

وثانيتهما: أن الله أنطقَ العظم، فأخبره عليه الصلاة والسلام بما فيه.

ومن صور الكفاية الربانية لنبي الهدى ﷺ ممن آذاه أن يقذف الله في قلب هذا المؤذي المعتدي - الإسلامَ، فيئوب ويتوب، حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين!!

ومن أعجب الأمثلة في ذلك قصة أبي سفيان بن الحارث أخي النبي ﷺ من الرضاع، وكان يألف النبي ﷺ أيام الصبا وكان له تِرْبًا، فلما بُعث النبي ﷺ عاداه أبو سفيان عداوةً لم يعادها أحدًا قط، وهجا رسول الله ﷺ وهجا أصحابه.. ثم شاء الله أن يكفي رسوله ﷺ لسان أبي سفيان وهجاءه، لا بإهلاكه وإنما بهدايته!

قال أبو سفيان عن نفسه: ثم إن الله ألقى في قلبي الإسلام، فسرت وزوجي وولدي حتى نزلنا بالأبواء، فتنكرتُ وخرجتُ حتى صرت تلقاء وجه النبي ﷺ، فلما ملأ عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتحولت إلى ناحية وجهِهِ الأخرى.

قالوا: فما زال أبو سفيان يتبعُهُ، لا ينزلُ منزلاً إلا وهو على بابه ومعه ابني جعفر وهو لا يكلمه، حتى قال أبو سفيان: والله ليأذنن لي رسول له أو لآخذن بيد ابني هذا حتى نموت عطشًا أو جوعًا. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما فدخلا عليه[١٥]. فسبحان من حوَّل العداوة الماحقة إلى حب وتذلُّل، وملازمة للباب طلبًا للرضا!

لا إله إلا الله.. صدق الله ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

---

١٥. انظر: سيرة ابن هشام ٤/٤١.

إلّا تَنصروه فقد نصرَه الله

د. عبدالمحسن الأحمد*

فكّ الله أسره

يثور السؤال التالي: ماذا لو لم يتحرك المسلمون تجاه هذا الحملة ضد النبي ﷺ، هل هذا من الخذلان للنبي ﷺ ولدين الإسلام؟

فأقول: الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف خلق الله أجمعين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحابته أفضل الصلاة وأتم التسليم.

* المقال مقتبس من محاضرة للدكتور عبدالمحسن الأحمد فك الله أسره، بعنوان: «محمد رحمة للعالمين»، منشورة بموقع شبكة الإسلام (إسلام ويب).

نرجع للأصل فعندنا كتاب، وعندنا سُنة، هل هذا الذي حدث لم يُذكر في القرآن، ولم يذكر في السُنة؟ أم أنه ذُكر؟ الله سبحانه وتعالى يعلمنا فيقول جل في علاه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢] أيّ حدث يكون في أرض الله عز وجل منذ أن خلق الله آدم إلى قيام الساعة موجود ومفصل، وقد ذكر الله عز وجل فيه هل حصل، دوافعه وأسبابه، وما هو موقف المسلم المؤمن المتقي المحسن، وموقف المنافق، فالله عز وجل ذكر هذا الأمر.

قبل أن نبدأ بالنبي ﷺ، ذكر الله عز وجل لنا أن مَن ينصر دين الله عز وجل ينصره، ودين الله منصور، نصروه أو خذلوه. هب أن إنساناً قام بسُنة النبي ﷺ، ونصر الله عز وجل، وطبق سنة النبي ﷺ في نفسه ونشرها، لكن كل العالم ضده، هل هو مخذول أو منصور؟ والله إنه منصور وحده، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ قديماً قبل أن تحدث هذه الأشياء ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ فحكمك وحكم العالم، كل هذا هباء، يتكسر أمام هذه الكلمات، ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وقد يقول شخص إن ذلك في الآخرة. لا، بل في الدنيا والآخرة، كل شيء مفصل في القرآن، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾، الرسل فقط هم من ينصرهم الله عز وجل؟ لا، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي أنت تنصر الله سبحانه بذلك البرنامج، والمصور الذي يصور البرنامج، والمخرج والمعد، كل مَن احتسب نصرة النبي ﷺ برسالة في (تويتر)، بتغريدة في أي مكان، احتسب ذلك وافعله قاصداً أن تنصر دين الله.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

هل في الدنيا فقط؟ لا، بل ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ في ذاك اليوم ما فيه، يأتي مَن رسم، ومن استهزأ، ومَن دعم، ومَن تباكى على قتلاهم وموتاهم، ولم يتباكَ على سُنة سيد الخلق ﷺ الذي أنقذه هو وأهله من النار. ويأتي أيضاً هؤلاء ويأتي أولئك، رؤساء دول ورؤساء تحرير.

انظر ماذا يقول الله عز وجل بعدها.. لأن هناك أناساً كثيرين يتورطون، فلم ينصروا النبي ﷺ ولو ببنت شفة، ولكن نصَر الغرب بتغريداته وكتاباته وكلامه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾، هناك مَن نصر الدين، ومَن لم ينصر الدين سماه الله ظالماً، والساكت الذي لا يتكلم ويقول «ما لنا ولهم» إذا ما نصر الله ورسوله فهو مع الطائفة الثانية. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾، يعتذر ولكن فات وقت الاعتذار، فات وقت نصرتك، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

سؤال لحبيبي الغالي: هل لو خذله الناس كلهم يصير النبي ﷺ مخذولاً؟ ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾، إذا لم تنصروا رسول الله فهل بذلك قد خُذل؟ لا، فقد نصره الله، والجميع ضده، ما معه إلا واحد هو سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، وليس وهو في الجنان، لا، بل وهو في أسوأ الأحوال من جهة الأمور المادية. الذين كفروا أخرجوه، وخرج بنفسية لا يعلمها إلا الله عز وجل، ثم اضطروه فجلس في الغار هو وصاحبه. نزلت هذه الآية في وقت صعب لا يستطيع فيه رسول الله الهرب، إلا أن معه الله رب العالمين، قال الله عز وجل: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾، تغيرت النفسية من الداخل: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾، الآن يوجد أنصار ما تراهم أنت، من جن ورياح وأمراض، المهم أننا لا نراها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

ثم انظر إلى الكلمة: ﴿ وَجَعَلَ ﴾، الله عز وجل له الأمر فعال لما يريد، مع كل هذه الهجمة الشرسة والمطاردة للنبي ﷺ، يقول الله في هذا الموقف الحالك - الذي هو بالحسابات المادية الأرضية - من أسوأ المواقف، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ﴾، سيقول شخص: كيف تكون كلمة الذين كفروا السفلى، وهم منتصرون، بل ووضعوا جائزةً لمن يأتي برسول الله وصاحبه حياً أو ميتاً لا أحد يعارضهم؟ وانظر إلى السلطة، ورغم ذلك يقول الله: ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، عزيز: فعال لما يريد، حكيم: لماذا لم يخسف الله بالجريدة وبمَن رسم فيها، وشل يده قبل أن يرسمها؟ الله عز وجل يريد أن يختبر المسلمين ماذا سيفعلون؟

وإذا كان الله ناصر دينه لا محالة، فلماذا مطلوب منا أن نفعل ونقدم؟ أنت تقدم لأنك محتاج، هو لا يحتاج ﷺ، أنت تحتاج أن تجعل لك بصمة عند رب العالمين أنك فعلت.

الله عز وجل إذا أراد أن يختبر إيمانك، لا يجعل الناس كلهم منتصرين، وكل القنوات تشجب مَن رسموا وتكلموا عن النبي ﷺ، والحكومات تشجع مَن يناصر، أصلاً المنافق والكذاب والتافه يقولون اجعل فيها جوائز، لكن إذا صارت القضية كلها لأهل الباطل، وهم مَن يتحكمون في الإعلام، وهؤلاء المساكين الضعفاء مضطهدون، ومَن يتكلم منهم يُحبس، هنا تأتي قضية النصرة، فالله سبحانه يرفع الباطل رفعة مادية أمام الناس فقط، حتى يختبر الناس أين أنت؟ ومع من تقف؟ ولا يثبت هنا إلا الصادق.

لهذا لما جاء في بدر خرجوا لقتال غير ذات الشوكة، قافلة أبي سفيان أغلبهم تجار وغير مستعدين للحرب، يغيرون عليهم ويأخذون ما سرقه الكفار من النبي ﷺ ومن الصحابة، فخرج الصحابة لأخذ هذه الأموال رداً للاعتبار، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]، لكن الصحابة لم يكونوا مستعدين لا نفسياً ولا معنوياً ولا

مادياً، يقول ابن مسعود: سيوفنا مكسرة. حتى أن ابن مسعود لما أراد أن يقطع رقبة أبي جهل ما أسعفه سيفه، فأخذ سيف أبي جهل فقطع رأسه به، الشاهد أنه في هذه اللحظة قد بدأ الامتحان، لأنهم علموا أن كفار قريش قد خرجوا بطراً ورئاء الناس.

أراد الله أن يمتحنهم فطاروا فوق السماء، منهم ذلك الرجل وهو المقداد بن الأسود، رأى النبي ﷺ يبكي، يقول يا رب حتى يسقط رداؤه، يحتضنه أبو بكر ويقول يا رسول الله كفاك مناجاتك ربك، والله لينصرنّك الله. تخيل! موقف شديد ورسول الله يقول في دعائه: «إنك إن تهلك هذه العصابة لن تُعبد»، فقال المقداد: والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، خُضْ بنا هذه الغمار، والله لنقاتلن من بين يديك ومن خلفك.

فسُر رسول الله بهذه الكلمات ودعا له بخير، والله عز وجل أنزل جبريل وألفاً من الملائكة مردفين، وثلاثة آلاف مسومين، لكن هذه الكلمة نفعت صاحبها فسرّى عن النبي ﷺ.

أفعال الصحابة لم تقارن بعمل ألف من الملائكة مردفين، والمسومين والملائكة نزلت، الله وصفهم بالكتيبة، يقول ابن مسعود: لما انتهت المعركة قال رسول الله ﷺ: أين المقداد بن الأسود، قال فإذا وجهه مغبّر، فجاء فأخذه النبي ﷺ والصحابة كلهم ينظرون، قال فذهب المقداد مع النبي ﷺ، قال ثم أقبل علينا مرة أخرى، يقول ابن مسعود: والله رأيت وجه المقداد، بعد أن كان وجهه مغبّراً وشكله متغيراً من الحرب، قال فأقبل علينا المقداد بوجه غير الذي ذهب به، وقد تهلل وجهه، قال فسألته ماذا قال لك النبي ﷺ؟ قال قال لي النبي ﷺ: إن جبريل أتاني يقول قال الله عز وجل: قل لمحمد ﷺ يقول للمقداد إن الله يحبك!

من الذي يحتاج النصرة؟ الله جل في علاه الذي بيده ملكوت كل شيء يقول: إن الله يحبك! قالها الله لكعب، فقال أسماني لك؟ أذَكَر اسمي؟!

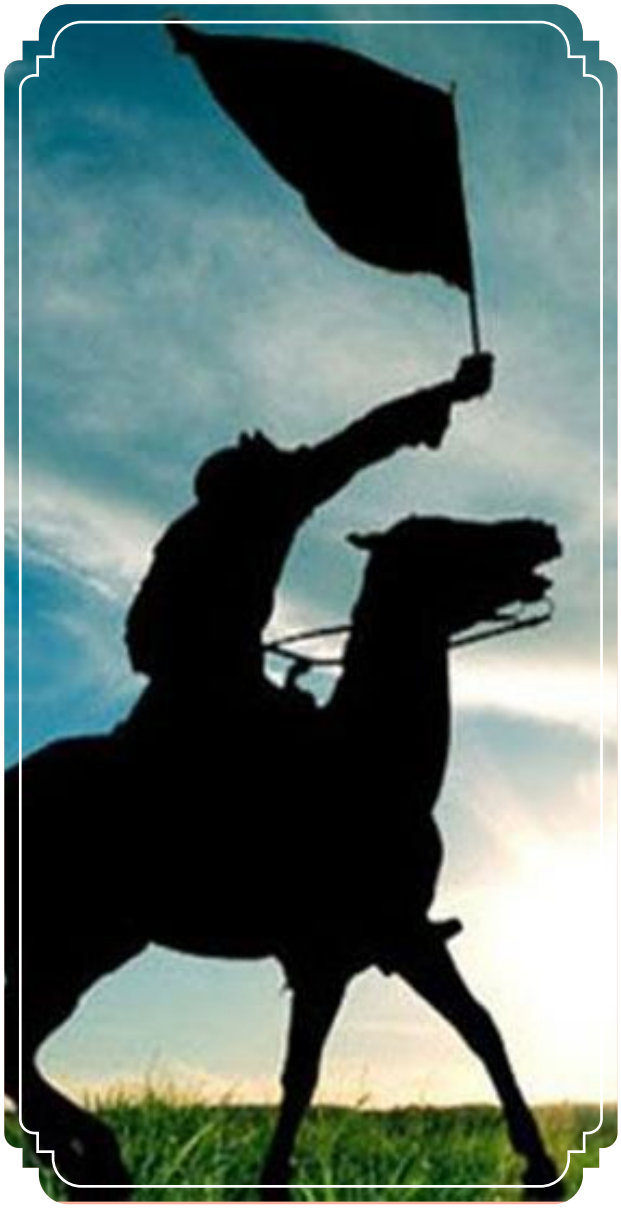

وكما قال الحبيب ﷺ يأتي من بعدي رجل لم يرَني يتمنى أن يراني بماله وولده، تخيل شخص عنده عشرون مليار، وعشرون من الولد، ثم يقول يموت هؤلاء كلهم وأفقدهم كلهم، وأخسر أموالي، وأشحذ، في مقابل أن أرى صفحة وجه النبي ﷺ!

إذاً من الذي يحتاج النصرة؟ هو أنا وأنت، إذا كان الله سبحانه وتعالى قد نصر عبده.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠] لماذا انتهت الآية بـ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؟ كأنه يقول لك أنت ترى هذا الكلام وترى الواقع لا يصدقه، لكن هل أنت مصدق لله عز وجل أنك بمجرد أن تنصر الله ينصرك وما أحد يغلبك؟ قناعة ويقين وعقيدة؟

وإذا خذلك الله، والله لن ينصرك أحد.

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فأنا إذا نصرت دين الله عز وجل يجب عليّ وأنا أنصر دين الله وأطبق سنة النبي ﷺ ألا أكون مقتنعاً من داخلي أني مكسور، وأني ما نصرت الدين. لا! أنا منصور وأعتز، لأن الله عز وجل إذا قال لك: إني ناصرك. فهو ناصرُك يقيناً.

وأما بالنسبة لردة فعل المسلمين تجاه الإساءة إلى النبي ﷺ، وهل هذه النصرة محمودة؟ وهل نصرتنا وقتية فقط؟ أم أن هذا يكفي وقد أدينا ما علينا وما هي التبعات والمستقبل بالنسبة لنصرة النبي ﷺ؟

من يوم أن تُكلف إلى أن يخرج آخر نفس منك، وأنت المفروض في نصرة، لأنك لو سألت لماذا ننصر النبي ﷺ، ولماذا نحبه أكثر من أنفسنا؟

فالإجابة: لأجل الله الواحد الأحد سبحانه وتعالى، فنصرتنا للنبي ﷺ نصرة لدين الله عز وجل، الذي نعيش له كل لحظة من حياتنا، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

فحياتي كلها لله، فمتى تنتهي النصرة؟

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، أي حتى تنتهي حياتك، فعندما تنام فأنت تنصر النبي ﷺ، فعندما تنام ويراك أولادك وزوجتك، وأنت تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن، وتقول دعاء النوم، ثم تستيقظ وتقول دعاء الاستيقاظ من النوم، كل هذا نصرة للنبي ﷺ، كل ما يسألك ولدك ماذا تفعل يا أبي؟ تقول النبي ﷺ فعلها، تلبس حذاءك باليمين، وتقول لولدك قدمّ هذه، لماذا؟ هذا نصرة، فحياتك كلها تطبيق لسنة النبي ﷺ، الله عز وجل يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ لمن؟ ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾، تقول أرجو الله فأقول لك ، ما الذي فعلته اقتداء بالنبي ﷺ؟

(هو الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبِالمُؤْمِنِين)

@ AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي